جبـــــروت

# جـــبروت

روايـة

هـانـي أبوطالب

اسم الكتاب: جبـــروت

اسم الكاتب: هاني أبوطالب

تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية

تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات

الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم

الطبعة / الأولـى – ديسمبر ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: 2019 / 28865

Arabiclibrary2017@gmail.com

Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# الإهـــــداء

إلى تلك التي اكتفيت بها ولن أكتفي منها تلك التي في حضور عينيها تتلاشى كل الوجوه فلا أبصر سواها، إليها وإليها فقط اهدي روايتي الثالثة.

كم من طغاة على مدار التاريخ ظنوا في أنفسهم مقدرةً على مجاراة الكون في سننه أو مصارعته في ثوابته.. فصنعوا بذلك أفخاخهم بأفعالهم.. وكانت نهايتهم الحتمية هي الدليل الكافي على بلاهتهم وسوء صنيعهم.

في ظهر يوم شديد الحرارة جلستْ رحمة (وهي فتاة في منتصف العقد الثالث من عمرها، تبدو عليها مظاهرُ جمال الريف وحُسن الطلعة ورشاقةُ البدن وطيبُ المنطق) رُسمت على خديها حُمرة من جرّاء الحرارة ووهج النيران، وقد جلست أمام الفرن المتوهجة لتخرج الخبز منها.

جلست رحمة وهي تدندن ببعض الأغنيات الريفية المعروفة وهي تخرج الخبز، وإذا بشبح أسود يقف خلفها، امرأة في الستين أو ما دون ذلك ترتدي ثياباً سوداء، تدل عليها مظاهر الغضب، وما إن رأتها رحمة حتى بدا على وجهها الإرتباك وحاولت أن تُظهر قليلاً من الإحترام لها.

إلتفتت رحمة بارتباك بدا واضحاً على محياها الجميل، فنظرت إليها العجوز نظرة تكاد تحرقها، وبدأت في تقليب الخبز في محاولة لإيجاد عيب فيه وعندما لم تجد ما تعلق عليه قالت:

- هفضل أعلم فيكي لحد ميتا؟ أنتي بهيمة، عمرك ما هتعرفي تخبزي خبزة ولا تتطبخي طبخة عدلة زي الناس.

تصنَّعَت رحمة ابتسامة انتزعتها من داخلها نزعاً في محاولةً لإمتصاص غضب حماتها وقالت:

- يا ستي أنا هروح فين في خبرتك، علميني وأنا من إيدك دي لإيدك دي.

ردت عليها العجوز بسخرية قائلة:

- مانا فاضيالك أصلاً، والله يموت الحمار ولا يتعلم.

حاولت رحمة الحفاظ على هدوءها فقالت:

- حمار! الله يسامحك يا عمتي، أهو برضه الحمار بيتحمل القرف والذل بتاع الناس وعمره ما يشتكي من حاجة.

بدا الغضب على وجه العجوز وأمسكت رحمة من معصمها وقالت ناهرة:

- بلاش حديتك الماسخ ده وكلامك الفاضي اللي لا يودي ولا يجيب ، ياللاه خلصي الخبيز عشان تروحي تسقي البهايم.

نزعت رحمة يدها برفق من يد العجوز وقالت باستعطاف:

- طب ما تتسلي كده يا حجة وتروحي تسقيهم انتي عبال ما أخلص الخبيز.

إمتعضت العجوز في غضبٍ وقالت :

- إيه إيه إيه! عايزاني أنا أروح أسقيلك البهايم وانتي قاعدة كده على رجليكي، ياختي بطلوا ده واسمعو ده، قومي فزي يا دكتورة واسقي البهايم

ارتعشت رحمة خوفاً لصوت العجوز وقالت:

- طيب حاضر حاضر حاضر، على طول زعيق كده مفيش حاجة بالهداوة ، دي عيشة تقصر العمر.

قالت رحمة كلماتها وهمَّت بالمغادرة فأوقفتها كلمات العجوز :

- ولما هيا عيشة تقصر العمر إيه اللي مصبرك عليها

تأففت رحمة معلنةً أنها تود أن تُنهى ذلك الحوار الذي يتكرر كل يوم تقريباً فرجعت إلى العجوز وقالت:

- اللي مصبرني عليها انتي عارفاه كويس، وربنا اللي خلقني لولا ولدي مكنتش قعدتلكم دقيقة واحدة.

- مش تحمدي ربنا اللي مستحملينك ومستحملين قرفك انتي وولدك .

وضعت رحمة كلتا يديها في وسطها وقالت وهي تهز قدمها اليمنى :

- هو مش ولدي ده يبقى ولدكم برضه ، ولا جايباه من بيت أبويا

تغيَّرت نبرة العجوز للتهديد مرة أخري وقالت :

- انتي كمان بتعلي صوتك عليا ، واللهِ عال والله .
- ولا أعلي صوتي ولا تعلي صوتك أنا قايمة أهو ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

ثم غادرت المكان وهي تقاوم دمعةً بالكاد تملأ عينيها وتُصبِّر نفسها وتقول :

- هانت بكرة هيجي أبو"علاء" ويخلصني من اللى أنا فيه .

كانت تتساءل كثيراً ما الذي يدعوها لكي تصبر على هذا الوضع ، ما الذي يجعلها تتحمل مضايقات حماتها ، وما الذي يضطرها أن تعيش بين أسرة لا يربطها بهم سوى رجلاً قضى معها شهراً من عمره وتركها مع والديه وترك لها في بطنها ولداً يعيش معها ويُذكِرُها به ، تمنت في كثيرٍ من الأحيان ألا يكون هذا الفتى على وجه الحياة فتهرب من هذا البيت ، بل ومن هذا الجحيم ، إلى بيت أبيها حيث كانت أميرة البيت ، ولكن أين هو بيت أبيها ، فلقد مات أبيها بعد شهور قلائل من زواجها ، فكَّرت كثيراً أن تذهب إلى أخوتها الذين قاطعوها، كانوا غير موافقين على هذه الزيجة من الأساس، أتذهب إليهم وتقول لهم أنها أخطأت الاختيار حين عارضتهم وتزوجت عبدالعال؟ وأنها لم تعد تطيق العيش مع هذه الأسرة ؟ ، ولكن ما ذنب عبد العال زوجها وحبيبها ، نعم والداه قد عذباها ولكنها ما زالت تُحبه وتنتظره وتحلم باليوم الذي يأتي فيه ويخلصها من عذابها ويضع حداً لكل تجاوزات والدته ووالده، ولكن هذا اليوم بعيد كأنه السماء ولكن ما زال الأمل في قلبها موجود ، وما دام ابنها في حضنها سيهون عليها كل شيء .

*****

في أرضهِ الواسعة ، وأمام عماله الذي يزيد عددهم عن خمسين جلس كامل تحت مظلة يحملها له عوض (ذراعه الأيمن والذي يعتمد عليه في كل أعماله الشرعية منها والغير شرعية)، جلس يحتسي كوباً من الشاي ثم وقف فجأة ونادى على عوض:

- انت يا زفت الطين، روح شوف الجحش اللي قاعد مش شغال ده ماله، وهاتهولي بسرعة

انطلق عوض بسرعة البرق إلى الرجل الجالس من فرط التعب والإرهاق، وعندما وصل إليه وقف الرجل متهالكاً وقبل أن يتم وقوفه قال له عوض:

- انت قاعد ليه ومش شايف شغلك يا بهيم انت؟
- معلش يا عم عوض أصلي تعبان من العشية وكان جسمي سُخن.

قال تلك الكلمات طمعاً في رحمة عوض أن يتركه يجلس ولكن الرد جاء سريعاً:

- أنا أعرف اللي تعبان يقعد في البيت وميتزلش الشغل، تعالى كلّم كامل بيه عاوزك

ظهرت على الرجل علامات الخوف وقال باسترحام :

- عاوزني أنا، أنا والمصحف ما عملت حاجة والله

قاطعه عوض :

- لما تروحله هتعرف ومترغيش كتير

سار عوض عائداً إلى كامل وخلفه الرجل وفي عينيه الكثير من التساؤلات، وعندما وصلا إلى كامل تحدث كامل بدون أن ينظر إليه بعدما رشف رشفة من كوب الشاي الذي كان بيده:

- أنا هسألك سؤال واحد

رد الرجل خائفاً:

- تحت أمرك يا كامل بيه

نظر "كامل" إلى الرجل بطرف عينه وقال :

- أنا بديك يوميّه ليه ، عشان تشتغل ولا تقعد
- عشان اشتغل طبعاً
- امال لما انت عارف كده ، قاعد على حيلك ليه وسايب شغلك

رد الرجل والخوف ما زال يكسو ملامح وجهه الهزيل :

- أصلي.. أصلي.. كنت تعبان من عشية ومنمتش كويس، وفجأة كده حسيت نَفَسي ضاق والدنيا لفت بيا، ومقدرتش أكمل، روحت قعدت ارتاح شويه

استند كامل بظهره على كرسيه واضعاً ساق على ساق قائلاً :

- اممممم، عال والله، انت ترتاح وأنا ادفع فلوس تمن راحتك

جلس الرجل على ركبتيه قائلاً باستعطاف:

- والله يا كامل بيه أنا عمري ما قصرت ف شغلي بس النهارده عندي ظروف وتعبان شويه.

اعتدل كامل في جِلسته ثم نظر إليه طويلا ووقف واقترب منه وأمسك به من أذنه هامساً :

- اللي تعبان يقعد في بيتهم

قبَّلَ الرجل يد كامل قائلاً متوسلاً :

- طب والعيال أوكلهم منين؟

وقف كامل غاضباً ثم قال :

- حد قالك إني فاتحها جمعية خيرية .... حد قالك فاتحها سبيل

ثم نادى على عوض بصوتٍ عالٍ:

- شوف حسابه كام وميشتغلش معانا تاني

حاول عوض أن يقول شيئا فقاطعه كامل بنظرة جعلته يتسمر في مكانه فأكمل كامل كلامه قائلاً : اللي قولت عليه يتنفذ.

- تحت أمرك يا كامل بيه

انصرف الرجل بكل تعاويذ الحسبنة والسخط على كامل ثم بعد صمت دام لمدة دقيقة تكلم عوض بتردد :

- يا سعادة البيه أنا عاوز أقول لجنابك حاجة، متقساش على الناس قوي عشان الناس تحبك.

ابتسم كامل ابتسامة صفراء ثم اعتدل قائلاً :

مش لازم الناس تحبك يا عوض، المهم الناس تخاف منك، والناس مش هتخاف منك إلا لما تحسسهم إنك تملك قوتهم، وفي إيدك رزقهم، كده تضمن إنهم تحت ضرسك، عشان بعد كده اللي يفكر يخرج عن طوعك أو يعصي أمرك تدوس عليه، تهرسه.

ضمَّ كامل يديه لبعضهما ليعبرَ عن معنى كلامه فنظر إليه عوض بغيظ ولكن عندما إلتفت إليه كامل أظهر ابتسامةً صفراء منافقة فأكمل كامل حديثه قائلاً :

- فهمت ولا لسه
- فهمت يا كامل بيه
- عفارم عليك

في وسط جو يشوبه التطلع والتشوق جلست رحمة ومعها ولدها علاء (طفل في الخامسة من عمره تبدو عليه آثار النبوغ والذكاء ) وبجوارها حماتها وحماها، جلسوا أمام جهاز التسجيل لسماع "شريط كاسيت" قد أُرسل إليها من زوجها ( وقد كانت تلك هي أحدث وسائل الاتصال حين ذاك).

جلست العائلة وكلها آذان صاغية تنتظر أن تسمع صوت عبد العال في الجهاز وقد ارتسمت على وجوههم تعبيرات مختلفة، فـ رحمة كأن على رأسها الطير وتبدو عليها آثار اللهفة والشوق إلى سماع الصوت، صوت زوجها، صوت حبيبها، صوت مخلصها، أما علاء فلا يدري هل يفرح أم يحزن، هل يبكي أم يضحك، فهم يقولون أن أبيه سيتكلم في هذا الجهاز، فلا يدري كيف يتكلم وكيف دخل أبيه هذا الجهاز الصغير، وتكلم من داخله ، وما دام أبيه قريب منه هكذا لماذا لا يخرج ليراه ويفرح به ويمشي بجواره في الشارع كما يفعل كل الآباء مع أبنائهم؟، و في وسط كل هذه التساؤلات يصمت كالآخرين وينتظر، أما الأم فترتسم على وجهها علامات الغضب لأن عبد العال لم يرسل مع الشريط هذه المرة نقوداً كما كان معتاداً أن يفعل، حاولت أن تخفي هذا الشعور ولكن فشلت، لأن حبها للمال قد طغى على أمومتها، أما الأب فهو الحاضر الغائب في هذا اللقاء فكان لا يهتم بشئ، فقد وضع مبسم (الجوزة) في فمه وسحب نفساً منها وأخرج دخانه من فمه وأنفه ثم قال:

- ما تشغلولنا المخروب ده، سمعونا الواد بيقول إيه .

وضعت رحمة الشريط في الجهاز، ثم ضغطت على زر التشغيل وبعد ثواني تكلم عبدالعال قائلاً:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إيه أخباركم يا جماعة وحشتوني

عاملين إيه، إزيك يا أمي عامله إيه ، إيه أخبارك انتي وأبويا ، إن شاء الله تكونوا في أحسن حال وأحسن صحة ، و إزيك يا أم علاء عاملة ايه وحشتيني والله و إزيك يا واد يا علاء عامل إيه ، انت وحشني قوي يا حبيبي ، أنا هجيلك قريب وأجيبلك كل اللعب اللي بتحبها، وعلى فكرة يا جماعة أنا مبعتش فلوس المرة دي عشان أنا جاي أول الشهر اللي جاي يعني بعد شهر، وسلامي لكل الأهل والقرايب وأشوفكم على خير.

أوقفت رحمة جهاز التسجيل بعدما تأكدت أن عبد العال قد أنهى كلامه ثم وقفت الأم وامتعضت وقالت :

- مش كان قعد شويا تاني، على إيه مستعجل وجاي.

وقف الأب وأمسك العجوز من ذراعها قائلاً :

- يا وليه ما تسيبي الواد في حاله، هو ناقصك انتي، كفاية عليه قوي كده غربة خليه يجي يقعد جنب مرته ويربي ولده.

- ما هي مرزوعة مرته أهي، واكلة شاربة نايمة هي والمحروس ولدها، تقدر تقولي لما يجي هيشتغل إيه ولا هنصرف منين؟ واحنا ملناش غيره.

- محلولة ان شاء الله نشوفله شغلانة عند كامل بيه، انتي ناسية ان الواد بيعرف يقرا ويكتب.

- شوف يا خويا شوف.

ثم همست لنفسها قائلة:

- والله ما حد هيودينا في داهية غيرك انت.

- بتبرطمي تقولي إيه يا ولية انتي.

لم تسمع رحمة من هذا الحوار شيء، فقد كانت في عالم آخر، كانت تفكر في زوجها عندما سيرجع إليها ماذا ستقول له؟ هل تخبره عن أمه كيف كانت تعاملها؟ وهل فعلاً سينتهي هذا الجحيم بعد أن يأتي؟

وظلت في شرودها لم تدري كم من الوقت مرَّ عليها وهي غارقة في التفكير على هذا الحال ، لم تفق من غفلتها إلا بيد حماتها تنهرها وتقول لها :

- قومي يا بت جهزي الوكل

نهضت رحمة ولم تنطق بكلمة واحدة وكأنها أصلاً لم تكلمها ، وغادرت المكان وهي ما زالت في عالمها وخيالها الذي وضعها فيه ذلك الخبر.

اقترب الأب من زوجته وقال بهدوء:

- بالراحة ع البت شويه، انتي على طول كده، متكسريش نفس البت، البنية فرحانة برجوع جوزها وخلي بالك لأحسن جوزها راجع قريب وهيزعل لو عرف إنك بتعاملها كده .

حركت الأم شفتيها بسخرية وقالت :

- يا راجل بس بلا سهوكة حريم .

*****

هناك أمام العمارة التي يسكن بها وقف جلال وهو يقدم قدم ويؤخر الأخرى تردداً ثم دخل وصعد أول درجات السلم فجلس عليها وهو يحدث نفسه:

- لا أنا مش هقولها حاجة ..

بعد دقائق من الصمت قال لنفسه :

- طب ما هيا أكيد هتسألني أول ما تشوفني يا ترى أقولها إيه ، أحسن حاجة أقولها الحقيقة، بس لا دي فاطمة غلبانة ومتستاهلش يحصل فيها كده ، يادي الحيرة يا ربي

في نفس الوقت كان الحج حسين- الذي يقطن نفس العمارة والذي يعتبر بمثابة الأب لجلال – يهبط الدرج فوجد جلال على حالته تلك فاندهش كثيراً وذهب إليه وربت على كتفه قائلاً :

- مالك يا ولدي انت تعبان ، فيك حاجة؟

عندما شعر جلال بيد الحج حسين وكلماته وقف مسرعاً وحاول إخفاء ما به بفشل ثم قال :

- لا أبداً بس تعبت شويا قولت أريح على السلم

بدهاء ومكر وخبرة اكتسبها الحج حسين من سنين عمره وشعره الذي شاب استطاع أن يعرف أن جلال يخبئ أمراً جللاً يستغرق كل تفكيره ، فوضع يده على كتف جلال وقال :

- ده على أساس إني مش مربيك وعارفك وحافظك .

أيقن جلال وقتها أن الحج حسين قد قرأ ما بعينيه وشعر ببعض الخجل من كذبته البيضاء ولم يرد ، فربت الحج حسين على كتفه مرة أخرى قائلاً :

- على العموم لو حابب تحكيلي هاكون سعيد بده، و لو مش عايز مينفعش أغصب عليك في حاجة زي دي.

واصل جلال سكوته محاولاً تفادي النظر في عيني الحج حسين، فأكمل الحج حسين كلامه قائلاً :

- إيه رأيك لو تيجي تشرب معايا كوباية شاي جوه وتحكيلي وإن شاء الله يكون حل مشكلتك على إيديا

هزَّ جلال رأسه بالموافقة دون أن ينبس ببنت شفة وتحرك خلف الحج حسين.

*****

لم تدر رحمة كم من الوقت قضته في طهي الطعام ، لم تدر ماذا طهت ؟ أو ماذا فعلت ؟ لم تدر كم من الملح والماء وضعت ، كانت مثل الآلة يدها تطهو وعقلها وقلبها في عالم آخر ، عالم أجمل من أي جمال، كادت أن تطير من على الأرض، وبينما هي كذلك إذا بـ علاء أمسك بها من جلبابها ذو اللون الأزرق الباهت الدال على أن الزمان أكل عليه وشرب وقال لها :

- ماما .. ماما .. يعني إيه شهر
- شهر يا ضنايا يعني ٣٠ يوم
- يعني بابا جاي بعد ٣٠ يوم
- أيوه ، شطور حبيب قلب أمك
- طب امتا يعدوا الـ ٣٠ يوم دول
- كل ما هنام بالليل ونصحى الصبح يبقى عدى يوم واحد
- يعني احنا هننام ونصحى ٣٠ مرة
- حبيب قلب أمك ، عفارم عليك
- طب هما الـ ٣٠ يوم يعني يوم ويوم ويوم ويوم ويوم قد ايه ؟

- يعني ٣٠ مرة
- أنا عاوز أتعلم أعد لحد ٣٠ يوم عشان أبويا هيجي بعدهم
- أنا هعدهم وأقولك لما يجي
- لا يا ماما أنا عايز أعدهم لوحدى

سكت علاء لبرهة ثم دار حول نفسه دورتين وقال :

- ماما عاوز كيس فاضي
- هتعمل بيه إيه
- هاتي بس وهقولك

لم تجد رحمة غير كيس به بعض وحيدات الخيار فأفرغته في أحد الأطباق وأعطته له فأخذ الكيس وجرى ، ثم عادت رحمة إلى شرودها ثم عاد علاء مرة أخرى إلى والدته ومعه الكثير من الحصى ، فنظرت إليه وقد ظهرت عليها مظاهر الدهشة والاستغراب ثم قالت متسائلة :

- إيه ده كله
- عاوزك تعديلي ٣٠ ظلطة
- اشمعنا
- أصل أنا فكرت فكيرة حلوة، أنا هحط ٣٠ ظلطة في الكيس وكل يوم أول ما أقوم من النوم أطّلع ظلطة من الكيس وأول ما الظلط يخلص أعرف أن أبويا جاي في اليوم ده .

ضحكت الأم كثيرة وضمت ابنها لحضنها بحنان

*****

في منزله البسيط كان الحج حسين يجلس وبجواره جلال وأمامهما كوبين من الشاي رشف جلال رشفة ونظر الى السقف بينما بدأ الحج حسين في الحديث :

- خير بقى يا سيدي قول اللي عندك

نظر إليه جلال ثم وضع يديه متشابكتان خلف رأسه ثم قال :

- أنا لسه راجع من عند الدكتورة بتاعة النسا والتوليد وقالتلي خبر مش كويس

باهتمام رد الحج حسين :

- خير إن شاء الله

أخذ جلال نفس عميق وأكمل :

- قالتلي إني أنا وفاطمة مش هنخلف ، أو بمعنى تاني إننا مع بعض مستحيل نخلف إنما لو كل واحد فينا اتجوز حد تاني ممكن يخلف

لحظات من الصمت كست المكان ثم اقترب الحج حسين من جلال وربت بيده على كتفه قائلاً :

- بص يا ابني الموضوع ده بإيدين ربنا لا انت ولا كل دكاترة العالم يقدروا يمنعوا حاجة ربنا عايزها ، أو يجيبوا حاجة ربنا مش عايزها ، محدش عارف الخير فين ، ربنا مش بيكتبلنا حاجة وحشة.

بتأثر وبدمعة كادت أن تفر من عينيه رد جلال :

- ونعم بالله يا حج، بس فاطمة صعبانة عليا أوي وبعدين أنا مقدرش استغنى عنها.

قاطعه الحج حسين بصوت عال :

-يا ابني ربنا يخليكوا لبعض، مين جاب سيرة بس إنكوا تستغنوا عن بعض؟

وضع جلال رأسه بين يديه :

- أنا خايف لما أقولها كده تطلب الطلاق وكمان ...

قاطعه الحج حسين مرة أخرى قائلاً :

- فال الله ولا فالك ، فاطمة مراتك ست عاقلة وتعرف توزن الأمور كويس وأكيد هتقدَّر ظروفكم ومستحيل تفكر حتى تطلب منك طلب زي ده .

رجع جلال بظهره للخلف متنهداً ثم قال :

- أنا مش عارف هقولها ازاي !!!

سيب الموضوع ده عليا ، بس انت روح الجامع صليلك ركعتين وادعي ربنا وإن شاء الله مش هيرجعك مكسور الخاطر

*****

مرت الأيام تلو الأيام كعادتها وكل شيء على حاله لا شيء جديد غير أن كل من أفراد الأسرة الكريمة التي تقيم بها رحمة ينتظر قدوم المسافر بشعور وإحساس مختلف .

أما رحمة فقد كانت الثواني تمر عليها كالسنين ، كانت تعد الأيام والساعات والدقائق بل والثواني للقاء المُخَلِّص والمُنَجِّي ، كانت كثيراً ما تسأل نفسها ماذا تُخبئ لها الأيام؟ هل تُخبئ لها الفرح والخلاص من شر حماتها أم لا شيء سيحدث وتظل على حالها.

جاء اليوم الموعود بعد انتهاء الثلاثين يوماً ، قام علاء من نومه وكالعادة يخرج حصاة من كيسه فوجدها الأخيرة فيجري على أمه فرحاً وقال لها :

- ماما ماما ، أبويا جاي النهارده صح ، صح ؟؟؟

- أيوه يا حبيبي، يالاه عشان تلحق تستحمى وتلبس هدوم حلوة عشان لما يقابلك يلاقيك حلو
- أنا هروح أستناه

جرى علاء وجلس أمام جهاز الكاسيت فقالت الأم بحنان :

- بتعمل إيه عندك يا علاء
- مستني أبويا ، هو مش هيخرج من هنا

ضحكت رحمة ضحكة جمعت بين كل معاني الحب والفرح والبسمة والشوق وكل معاني الحياة الجميلة وتركته في أحلامه ينتظر من يظن أنه الحياة بالنسبة له حتى غلبه النعاس فنام

*****

استيقظ كامل على صوت زوجته نعمة قائلاً :

- في إيه ع الصبح يا بوز الإخص.

استقبلت كلمته كالرصاصة وتجاهلتها قائلة :

- عوض تحت ، وبيقول عاوزك في موضع مهم

تثائب كامل وهو يمسح وجهه بكفيه وقال :

- طب غوري انزلي وأنا جاي وراكي

تركته وأغلقت الباب بخبطة وتمتمت بكلام غير مفهوم فبصق عليها وهو يرفع يديه للأعلى محاولاً أن يفيق من نومه وقال :

- يقل مزاجك يا فقر، قال نعمة قال!! المفروض يسموكي نقمة، يسموكي مصيبة.

ثم نهض ولبس شبشبه وهو يتثاءب ودخل حمامه ، ثم هبط إلى الطابق الأسفل ليرى عوض ويسأله عن الذي أتى به باكراً على غير عادته وعندما رآه عوض هرول إليه قائلاً:

- صباح الخير يا كامل بيه

بغيظ بدا على وجهه قال :

- صباحك زي وشك ، فيه إيه ع الصبح

بتردد وخوف تعلثم عوض ثم قال:

- الحقيقة أنا جاي أبلغ جنابك إن الأستاذ محمد اللي ماسك حسابات العمال والأراضي ربنا افتكره النهارده الصبح

- لا حول ولا قوة الا بالله ، والمطلوب مني إيه دلوقتي

قال كلمته وهو يسير في طريقه إلى السفرة فتبعه عوض قائلا متوسلا:

- واجب حضرتك تروح تعزي ده مهما كان برضه راجلك وكان ماسك أرضك وحساباتك سنين، وكمان تزور أهل بيته، وتشوف ناقصهم حاجة كده ولا كده.

نظر كامل نحوه نظرة جعلته تسمَّرَ في مكانه فأكمل عوض:

- يا بيه أنا بقول ، يعني تعمل الواجب بس مش أكتر

جلس كامل على السفرة لتناول الطعام قائلاً:

- وماله يا عوض بيه، أروح وأشوف طلبات بيته وكمان أطبخلهم الوكل وأنضفلهم البيت وأغسلهم هدومهم، فيه إيه يا عوض ما توزن كلامك، هو أنا فاضي.

- يا سعادة البيه

قاطعه كامل وهو يرشف رشفة من كوب به لبن :

- خلص الكلام روح انت بدالي وشوف لو ليه فلوس بقيت حسابه اديهاله

همَّ عوض بالإنصراف فأوقفه كامل قائلاً :

- متنساش تشوفلنا حد يمسك الشغل مكانه ويكون بيعرف يقرا كويس وأهم حاجة يكون أمين وبيسمع الكلام، هاااه ، بيسمع الكلام انت فاهم

هزَّ عوض رأسه معلناً عن انصرافه ، ورمق كامل بنظرة ساخطة ثم قال بغيظ محاولاً أن يخفيه :

- أمرك يا كامل بيه

انصرف عوض بجلبابه الواسع وجاكت البدلة الذي يرتديه فوق الجلباب ، بينما بدأ كامل في تناول إفطاره المكون من عسل وجبن وبيض وعيش بلدي ولبن وشاي وغيره مما يكفي لإطعام عشرين مسكيناً وبينما هو كذلك لمح أم الخير تسير أمامه (وأم الخير خادمة زوجته والتي أصرت أن تحضرها معها من بيت أبيها ووافق هو على ذلك بنفس غير راضية ) فقال لها :

- انتي يا زفتة ، يا أم الشر

اقتربت أم الخير من السفرة بسرعة قائلة :

- نعم يا كامل بيه

بحركة من يده صرفها قائلاً :

- روحي ازعقي على ستك نعمة بسرعة

- حاضر يا كامل بيه

انصرفت أم الخير وبعد قليل أتت نعمة وجلست على كرسي بجوار كامل ، وبحركة من يده صرف أم الخير ونظر إلى نعمة قائلاً :

- عملتي إيه في العشية عند الحكيمة

نظرت إليه نعمة ولم تنطق بشئ فنظر إليها بغيظ قائلاً :

- بكلم نفسي أنا

نظرت نعمة للأسفل تحاول أن ترتب كلماتها ثم تشجعت وقالت :

- قالتلي إني معنديش أي مشكلة وإني صاغ سليم

رمى كامل لقمة كان قد أوشك أن يضعها في فمه قائلاً:

- أُمال المشكلة عند مين ؟

ما زالت نعمة تهرب من النظر لعينيه وقالت له بخوف :

- هيا قالتلي احتمال يكون عندك انت

خبط كامل الصفرة بيده ووقف غاضباً وقال :

- إنتي اتخوتي ولا راحت منك ، ازاي تقولي عليا كده

ثم أمسكها من ذراعها وأحكم قبضته عليها حتى أحست أنه سيقتلها وكانت عينيه قد احمَّرت من كثرة الغضب فقالت بخوف وبصوت متقطع :

- أنا بقول إنك تروح تشوفها بس ، مش هتخسر حاجة

لم يرد عليها وتركها وانصرف وبعد خطوتين إلتفت إليها ثم قال مهدداً:

- بصي يا بت الناس قدامك مهلة شهر واحد يا إما تحبلي يا إما هتلاقيني راميكي ومتجوز واحدة غيرك، وحسك عينك حد يعرف بموضوع الحكيمة ده، مفهوم ولا لاه

هزت رأسها خوفاً، وانصرف كامل تاركاً لها جرحاً يأبى أن يندمل، لم تستطع أن توقف دموعها التي اتخذت إلى فمها سبيلاً لتذيقه من ملحها ومرارتها حتى وجدت يداً تربت على كتفها ، كانت تلك اليد لـ أم الخير التي قالت :

- إن شاء الله قبل ما يعدي الشهر تكون العادة قاطعاكي وبتتوحمي كمان

ابتسمت نعمة ابتسامة ساخرة وقالت :

- هتصدقيني لو قولتلك إني مش عاوزة

باستغراب ظهر واضحاً على وجه أم الخير التي دارت لتقف أمامها وقالت :

- إنتي مسمعتيهوش ، ده بيقول إنه هيطلقك

تنهدت نعمة ارتياحاً وجلست على كرسي السفرة وقالت :

- يا ريت أنا زهقت من العيشة معاه ويمكن ربنا حاسس باللي جوايا عشان كده مش عاوزني أخلف منه عشان متربطش بيه.

اقتربت منها أم الخير أكثر قائلة :

- لا ملكيش حق يا ست نعمة دي الناس كلها بتحسدك على اللي انتي فيه.

وقفت نعمة بغضب وضربت الكرسي بيدها حتى وقع على الأرض وقالت :

- يجوا يشوفوا اللي أنا فيه، الناس كلها شايفة إني أنا مرات كامل بيه عين أعيان البلد واللي محدش يقدر يتنّيله كلمة ، الناس شايفة إني عايشة في قصر مش عايشة فيه مرات العمدة، ميعرفوش إن القصر ده يعتبر سجن ليا معيرفوش إن القصر نار مولعة على كل اللي جواه ، لكن خلاص أنا مش عاوزة أبقى مرات كامل بيه ومش عاوزه أعيش في قصر زي ده ، كل اللي عاوزاه إني أعيش مع واحد بيحترمني ويقدرني حتى لو حنعيش في عشة مش في قصر

اقتربت منها أم الخير من الخلف وربتت علي كتفها بحنية قائلة:

- بس اخزي الشيطان ، جوزك لو سمعك هتبقى مشكلة كبيرة

دون أن تلتفت إليها نعمة قالت :

- هيعمل فيا إيه أكتر من كده ، إهانة وذل ليل ونهار

- ممكن يطلقك وده قادرويعملها ، ما هوَ عملها تلات مرات قبل كده
- معادتش تفرق ، يا ريت
- والله قطعتي قلبي يا ست هانم
- ده على أساس انك مش عايشة معانا وشايفة بنفسك

أطلقت أم الخير تنهيدة طويلة وقالت بعدها :

- شايفة يا ستي شايفة

*****

وقف الجميع أمام باب البيت ينتظرون قدوم عبدالعال ، وكلهم لهفة وشوق للقاء الابن الغائب ، حتى الأم نسيت حبها للمال وضجرها من مجئ ابنها وكذلك الأب قد ترك بعضاً من لا مبالاته ، ووقف معهم ينتظر.

أما عن رحمة كانت لا تدري كيف كانت ، فشعورها لا يمكن وصفه أو التعبير عنه ، كانت كمن ينتظر الحياة تدب مرة أخرى في أطرافه بعد معاناة طويلة مع المرض أوكمن عادت إليه روحه بعدما خرجت إلى السماء وقد أيقن برحيلها .

وظهر عبدالعال (وهو رجل طويل القامة شعره كثيف وممشط جانباً وبشارب كثيف يعطيه هيبةً و وقاراً ) يحمل حقيبتين كبيرتين والفرحة على وجهه ووصل إليهم وبدأ بأبيه فأخذه في حضنه مرددين عبارات التحية والحمد لله على السلامة ثم انتقل إلى أمه كذلك وكذلك زوجته، ولكن في وسط كل هذه الأحضان كانت عيناه تائهتان حائرتان تبحثان عن شيء ما، تبحثان عن ولده وفلذة كبده فهو لم يراه إلا مرةً واحدة وفي صورة قد أرسلها له والده في رسالة قبل ذلك، وفي وسط هذه التحيات إذا به يتسائل :

- فين علاء ؟

ردت رحمة بفرحة :

- كان مستنيك وغلبه النوم يا حبة عين أمه
- طب هو فين ؟
- نايم في الأوضة

جرى عبدالعال كمن يتلهف للقاء ليس بعده فراق ، لا يدري بماذا يبدأ كلامه؟ ولا ماذا يفعل عندما يراه لأول مرة بشحمه ولحمه؟ هل سيأخذه في حضنه؟!! ولكن ماذا إذا أخذه في حضنه واستيقظ ووجد نفسه بين يدي رجل غريب فيخاف منه؟ وإذا خاف منه سيخسر كل شيء .

يا للحيرة ماذا يفعل وبينما هو غارقاً في التفكير وجد نفسه أمام ملاك نائم حاضناً جهاز الكاسيت فوقف عن التفكير وبدأ يجري عليه ليأخذه في حضنه فسحبته رحمة من يده وقالت له :

- مش كده يا أبو علاء الواد يتفزع ، ثواني هصحيولك

اقتربت رحمة من علاء وحركت يدها على خده في رفق ورحمة لو أعطت لأقسى رجل في العالم لأصبح من الصالحين ، وقالت له :-

- علاء .. علاء ، قوم يا حبيبي بابا جه قوم سلم عليه

وعندما سمع علاء هذه الكلمات من أمه قفز جالساً وهو يصيح (بابا) وجال بعينيه فيمن حوله حتى وقفت على أبيه وهو يفتح له ذراعيه ، فنظر في الأرض وذهب إليه في خطاً مترددة كسوفة وكأنه خائف منه ولم يدعه عبدالعال يصل إليه فذهب هو وأخذه في حضنه وانهال عليه تقبيلاً ، ورحمة تشاهد الموقف وتنزل من عينها دمعة فرح فلأول مرة يجتمع معها حبيبيها (زوجها وولدها ) في مكان واحد .

*****

جلست فاطمة منهارة من البكاء بعينين قد ظهرتا بلون أحمر فاقع وأمامها جلال والحج حسين الذين أخبراها بالخبر المشئوم ، جلست لا تدري بنفسها ، فأمامها الآن خيار من اثنين إما أن تحرم نفسها من نعمة الحياة وتعيش مع زوجها الذي تحبه وتقدره والذي لن تجد له بديل أو مثيل ، وإما أن تطلب الطلاق لتحصل على أبسط الحقوق لأي امرأة أن يكون لها طفل يهون عليها حياتها ، إنه الاختيار الأصعب ماذا تختار؟ وكيف تختار؟ مضى من الوقت عليها ما مضى وهي جالسة لا تتحدث فقط تنظر الى السماء حتى قطع صمتها الحج حسين قائلاً :

- وحّدي ربنا يا بنتي انتي طول عمرك مؤمنة وبتعرفي ربنا وأكيد انتي عارفة إن ربنا لما بيمنع حاجة بتبقى لحكمة هو وحده اللي عارفها

ردت فاطمة بصوت متقطع ضعيف مع دموعها التي أوشكت على النفاذ :

- ونعم بالله يا حج حسين

تنهد حسين ثم قال :

- والله يا بنتي حالة جلال متقلش عنك وهو مكانش قادر يطلع يقولك عشان خايف إنك تسيبيه

نظرت فاطمة إلى جلال ثم قامت وجلست بجواره وقالت :

- احنا اتكتب علينا حاجة من اتنين يا إما نستحمل ونكمل حياتنا ونحرم نفسنا من أكتر حاجة بيحلم بيها أي إنسان ، يا إما نستحمل الفراق، انت أكيد زي أي حد نفسك ف ولد يحمل اسمك ويشيل عنك لما تكبر وأنا .....

نظر إليها جلال نظرة بلا معنى قطعها حسين بقوله :

- استهدي بالله يا بنتي، جلال ميقدرش يستغنى عنك ولا انتي كمان تقدري تستغنى عنه

نهض جلال من مكانه وسار قليلاً إلى أن وصل إلى صورة مكتوب عليها آية الكرسي فوقف أمامها قليلاً ثم استدار ونظر الى زوجته قائلاً:

- تفتكري إن اللي بينا ده كله ممكن يتنسي أو ممكن بسهولة كده نفرط فيه ، إنتي عارفة إن انتي كل حاجة في حياتي وإني مليش غيرك لا أهل ولا قرايب ، وانتي كمان مفيش غير أخوكي عوض اللي أصلا يعتبر مش موجود

اقتربت فاطمة منه ووقفت خلفه ووضعت يدها على كتفه برفق وقالت :

- يعنى مش هيجيلك يوم وتتمنى إن يكون عندك أولاد ، وتندم على إنك كمَّلت حياتك معايا

إلتفت إليها جلال ووضع كلتا يديه على كتفيها وقال بعد هزة نفي من رأسه:

- مش هيحصل أبداً

برفق نزعت يده من على كتفيها وأعطته ظهرها لتتحاشى النظر في عينيه ثم قالت:

- يمكن دلوقتى بتقول كده ، إنما بعد شويا يا عالم هيحصل إيه، النفوس بتتغير بين يوم وليلة

دار جلال حولها وطبع قبلة رقيقة على جبينها قائلاً :

- والله العظيم أبداً، يا فاطمة أنا وانتي لقينا بعض بعد ما كل واحد فينا كان مقطوع من شجرة، اتجوزنا وعشنا مع بعض سنين مش قليلة على الحلوة والمرة، العشرة متهونش إلا على ولاد الحرام

اقترب الحج حسين منهما وقال :

- أظن بقى بعد الكلمتين دول ملكيش حجة بقى يا ست فاطمة ، ده أنا جسمي قشعر وبعدين أنا شاهد على كلامه لو فكر بس في يوم يغيَّره هملَّصلك ودانه.

ابتسمت فاطمة ابتسامة خفيفة وكذلك جلال ثم اقترب منها فألقت نفسها في أحضانه تتجرع من حنان صدره كما تعودت فهو أبيها وأخيها وزوجها وابنها وكل ما لها وكذلك هي بالنسبة له ، ضمَّها إلى صدره وكأنها أول مرة ، ذرفا الدموع الغزيرة ، حتى إن الحاج حسين لم يستطع أن يتمالك نفسه فبكى حتى احمَّرت عيناه

*****

في مساء ذلك اليوم ، كانت رحمة في حجرتها تستعد للقاء الأول بعد خمس سنوات بينما جلس عبد العال مع والده - بصحبة الجوزة التي لا تفارقه أبداً - ووالدته يحكي لهما عمَّا لاقاه في الغربة من تعب وكد ومشقة ووجد نفسه يسألهما عن حالهما وحال رحمة معهما فرد أبوه :

- والله يا ولدي مرتك بت حلال استحملتنا طول غيابك وصانت عرضك وشرفك، والعيبة مش بتطلع منها.

امتعضت العجوز فضمَّ والد عبد العال على شفتيه تنبيهاً لها حتى لا تتفوه بشئ قد يضايق عبد العال ، فقالت العجوز :

- والله هيا بت حلال بس لولاش لسانها الطويل ده ، بس يالاه موجعش دماغك ، انت جاي من السفر تعبان ومحتاج تريحلك شويا والصباح رباح وبكرة أحكيلك عن كل حاجة .

اعتدل عبدالعال في جلسته وأظهر اهتمامه بكلام والدته وقال :

- يا أمي احكي، أنا ورايا إيه دي قعداتك وكلامك واحشيني قوي، بس قوليلي بت المرة كانت مضايقاكي في إيه

- بخبث الحموات نطقت وكأنها كالنار التي تنتظر من يشعلها :

- يا ضنايا متاخدش في بالك انت، عادي احنا اتعودنا على كده طول الليل والنهار نكاح مع بعض بس عادي، ياما قولتلك ياولدي خد بت الحجة عفاف هادية ومطيعة والعيبة متطلعش منها ، انت اللي جريت ورا المدعوك اللي اسمه قال ايه يا أخويا الحب ، يالاه مفيش داعي للحكى واللت والعجن ، دلوقتي الفاس وقعت في الراس وربطتك بعيل

اعتدل والد عبدالعال في جلسته وبعدما وضع الجوزة أمامه قال بغضب :

- يا ولية سيبي الواد يريحلوا شويا انتي إيه معندكيش دم ، خليه يقعد شويا مع مرته

نظرت العجوز لزوجها بغيظ قائلة :

- جرى إيه يا راجل ولدي واحشني وعاوزه أقعد معاه شويا هيا المغدورة دي هتطير

بإشارة من سبابته محذراً قال والد عبد العال :

- يا ولية اسمعي الكلام بدل ما انتي اللي تطيري ودلوقتي حالاً

وضعت العجوز كلتا يديها على رأسها نادبة قائلة :

- يا مُري يا مُري يا مُري ، بعد العمر ده كله تقولي كده ، ملكش حق يا أبو عبدالعال ، عاجبك كلام أبوك يا عبدالعال على طول كده كاسر نفسي وعمره ما قالي كلمة حلوة تبل الريق

ابتسم عبدالعال فطالما تعود على تلك المواقف بين أبيه وأمه فقال ضاحكاً :

- استهدوا بالله يا جماعة انتوا لسه فيكم العادة دي متغيرتوش

أمسك والد عبدالعال الجوزة مرة أخرى قائلاً :

- يا ولدي اسكت ده أنا مرارتي اتفقعت من الولية دي

أمسكت الأم ذقنها بسبابتها وإبهامها وقالت :

- شوفوا شوفوا يا اخواتي حقا بطلوا ده واسمعوا ده ، يا راجل دا أنا مشفتش معاك يوم حلو ، والله ما عارفة إيه اللي مصبرني عليك السنين دي كلها

قاطعها عبدالعال بسرعة محاولاً ترطيب الأجواء التي يبدو أنها وصلت لذروة السخونة قائلاً :

- حقا ملكيش حق يا أمي ، استهدي بالله كده والله انتي لو دورتي في الدنيا دي كلها مش هتلاقي ضفره ، هتلاقي فين واحد في طيبة قلبه ولا في حنيته

تراجعت الأم ميقنةً بخطأها فيما قالته من كلام فقالت :

- والله عندك حق يا ولدي ، حقك عليا يا أبو عبدالعال ، متزعلش مني

وقف والد عبد العال بعدما وضع الجوزة وهمَّ بالمغادرة وهو يقول :

- وأنا أقدر أزعل منك يا أم عبدالعال ، هو اللي بيناتنا قليل ، دي عشرة ٤٠ سنة ، يالاه سيبي الواد يرتاح وتعالي نكمل كلامنا جوا في أوضتنا

ضحك الجميع ودخل كلا منهم حجرته

*****

لأول مرة من خمسة سنوات دخل عبد العال حجرته فوجد بدراً منيراً ينتظره على سريره بإبتسامة تُنسي الشقيَّ شقاؤه وعلى وجنتيها حُمرة تفوق كل مساحيق الجمال ، نظر إليها فنسى كل ما دار أمامه من حوار ، نظر إليها نظرة فيها كل معاني الحب والعشق والشوق ، فيها دواء لجرح الفراق الذي دام لمدة خمسة أعوام ، لم ينسها ليلة واحدة ولم تنساه يوماً واحد ، إنما كانت كلما جنَّ عليها الليل وأغلقت عليها حجرتها وأنامت صغيرها ، كانت تنظر إلى صغيرها وتسرح في شكله لأنه يشبه كثيرا أبيه في كل شئ ملامح وجهه وروحه المرحة ، طريقة ابتسامته وضحكاته وأكله وشربه كان مثل عبدالعال في كل شئ ، وبعدما ينام صغيرها كانت تتخيل أنها بجواره ، واليوم تحقق حلمها فهو اليوم أمامها وبعد ثواني ستشعر بيده تلامس يدها ، بعد قليل ستشعر بحرارة أنفاسه ، ستشعر بقلبه الذي يبدوا أنه ينبض بسرعة ، كأنه يريد أن يخرج من ضلوعه ليذهب إليها ، قضيا ليلة تعادل خمس سنوات .

في الصباح الباكر استيقظت رحمة على عادتها فجراً لتفعل ما كانت تفعله كل يوم من كنس للمنزل وإطعام للحيوانات والطيور في المنزل ، ولكنها اليوم تشعر بحيوية ونشاط على غير عادتها ، كانت تفعل ما تعودت فعله ولكن بروح مختلفة ، كانت كالفراشة تطير في أجواء المنزل ، كانت تطعم المواشي وتكنس البيت وترتب أساسه وأشياء أخرى كثيرة كانت من قبل تفعلها مغصوبةً على أمرها ولكنها اليوم تفعلها من أجل زوجها وبكامل رضاها ، ولأول مرة لا تشعر أنها خادمة في هذا البيت ، إنها تشعر اليوم بأنها ربة البيت وصاحبته ، تشعر بأنها ملكة استردت عرشها بعدما تم استيلاؤه منها ، تشعر بأنها عليها الآن أن تعتني بهذا البيت ، شعور دام

لنصف ساعة ثم ما لبث أن اختفى حين رأت حماتها أمام عينها ، نظرت حماتها إليها باستغراب وقالت بسخرية وخبث :

- من امتى الحِمية دي كلها .. حِكَم

وقالت في نفسها دون أن يخرج لها صوت :

- أكيد عشان جوزها يعرف إنها كويسة ومش مخليانا محتاجين حاجة، كُهن حريم

قاطعت رحمة لحظة صمت حماتها قائلة :

- صباح الخيريا عمتي

بضيق وضح على وجهها حاولت أن تُخفيه ردت العجوز :

- صباح الخيريا بتي، امال فين جوزك

- لسه نايم جوه

- نوم العوافي يا حبيبي ، سقيتي البهايم ووكلتيهم و....

قاطعتها رحمة بابتسامة قائلة :

- حصل وكنست البيت وأكلت الفراخ وزغطت البط وجهزت الفطور

بادلتها العجوز ابتسامة خبيثة ونظرة من أسفل لأعلى وقالت :

- إيه ده كله ، ربنا ما يغيبلك حس يا ولدي

رفعت رحمة يدها إلى السماء داعية :

- يا رب يا عمتي ، أنا هدخل أصحيه عشان يجي يفطر

دخلت رحمة حجرتها فوجدت عبدالعال ما زال غارقاً في نومه فجلست بجواره وظلت تنظر في وجهه قليلا ثم طبعت على خده قبلة حب فشعر بحرارة أنفاسها فاستيقظ ونظر إليها باسماً وقال :

- صباح الخير يا أم علاء

طبعت قبلة أخرى على جبينه وقالت :

- صباحك كل حاجة حلوة ، مش كفياك نوم ، وتقوم عشان تفطر

بحركة فجائية أمسك بها من يدها وجذبها إليه قائلاً :

- طب متسيبك من الفطور وتيجي ، يالاه

حاولت رحمة أن تفلت نفسها من يد عبدالعال برفق ولكنه كان محكماً قبضته عليها فاستسلمت لحضنه قائلة :

- يا راجل الحجة بره، وبعدين تقول علينا إيه، ومش ناقصة كلامها بصراحة

شعر عبدالعال أن كلماتها غريبة فنظر إليها باستغراب ودهشة قائلاً :

- كلامها ، ليه مالها هيا مزعلاكي في حاجة

سرحت رحمة قليلا ، ثم قالت بتردد وتعلثم :

- لا أبدا ، يالاه عشان تفطر

ثم نزعت نفسها برفق من أيدي عبد العال وسارت بخطوات ثقيلة نحو الباب وثم إلتفتت إلى عبدالعال فوجدته ما زال جالساً مكانه وهو ما زال ينظر إليها بنظرة يفهم بها كل ما بداخل رحمة فرجعت إليه وقالت :

- يالاه قوم عشان تفطر معاهم

مدت يدها وأمسكت بيده وحاولت أن توقفه ولكنه نزع يده بشدة وقال لها :

- لا مش قايم غير غير لما تقوليلي وتحكيلي كل اللي جواكي

بعد ثواني من التفكير والخوف والقلق قالت :

- لا .....

قاطعها عبدالعال بحدة قائلاً :

- لا ليه ؟

- عشان .....

دارت رحمة حول السرير تبحث عن شئ تقوله له لتخرج من هذه الورطة التي ربما تخلق مشكلة بين عبدالعال ووالدته وهي تعرف أنه سوف يأخذ صف والدته كالعادة لأنه لا يريد إغضابها ، فقطع عبدالعال عليها الطريق وقام إليها قائلاً :

- خلاص أنا فهمت، أنا عارف أمي وانتي عارفاها كويس، وكان شرطي عليكي قبل ما نتجوز إنك تستحملها

- وأنا مشكتش والله ، بس .....

قاطعها بحدة قائلاً :

- بس إيه ، ع العموم يا ستي حقك عليا لو كانت أمي داستلك على طرف

احتضنته رحمة بشدة وقالت :

- عشان خاطرك يا حبيبي أستحمل كل حاجة وأي حاجة ، أنا مليش غيرك انت وعلاء في الدنيا بعد أبويا ما مات واخواتي كل واحد في ناحية

طبع عبدالعال على جبهتها قبلة ثم قال :

- إيه النكد اللي ع الصبح ده

ابتسمت رحمة إبتسامة رقيقة واحتضنت عبد العال مرة أخرى وقبلت صدره قائلة:

- معلش يا أخويا حقك عليا ، يالاه عاد عشان تفطر

- يالاه ...

خرج عبد العال أولاً و خلفه رحمة فوجدا الأب والأم على طبلية(سفرة صغيرة بدون كراسي ) جالسان وبجوارهما علاء في براءة الأطفال وقد بدأ يلتقط بعض اللقيمات وعندما رأى والده توقف عن المضغ ونظر إليه في كسوف وخجل، فقال عبد العال:

- صباح الخير يابا ، صباح الخيرياما

فرد الأب :

- صباح الخيريا ولدي

وردت أيضاً الأم :

- صباح الخيريا ضنايا والنور والرضا والسعادة

ثم جلس عبدالعال بجوارولده علاء وضمَّه إليه وأجلسه على رجله وقبله في جبينه قائلاً له :

- مش تستنى ياد عشان ناكل سوا

ببراءة الأطفال رد علاء قائلاً:

- أصل أنا جعان قوي وبعدين أن مش متعود أستنى حد

مسح الأب على شعرولده بحنية قائلاً:

- من هنا ورايح عايزك تتعلم الأدب، يعنى مينفعش تاكل قبل الناس الكبيرة

أخفض علاء جبينه أرضا وقال :

- ماشي

بدأ الجميع في تناول ألطعام ثم تكلم والده وهويضع لقمة في فمه :

- ناوى على إيه يا ولدى هتسافر تاني ولا هتقعد معانا هنا، والله إن جيت للحق أنا مش عايزك تسافر تاني ، وكفاياك غربة لحد كده

قاطعت الأم الحديث بغضب :

- وكفاياه ليه ، ده لسه في عز شبابه لو متغربش دلوقتي هيتغرب امتا

رد عبدالعال بمرارة وألم قائلاً :

- الغربة مُرة قوي يا أمي وأنا زهقت، بقالي خمس سنين على دا الحال ، نفسي أرتاح .

بنفس نبرة الغضب التي بدت جلية على وجهها قالت الأم :

- تقدر تقولي لو ما سافرتش هناكل منين ونشرب منين ، واحنا لا حيلتنا أرض ولا دكانة ولا أي حاجة، وأهو أبوك قدامك كبر ومعادش حمل الشغل، ومحدش هيرضى يشغله عشان سنه الكبير

رمى والد عبدالعال رغيف خبزكان على وشك أن يقسمه وقال متعصباً :

- يا وليه على طول كلامك زي الدبش كده، متمرش فيكي شقايا وعمري اللي ضيعته عليكي

شعرت الأم بخجل وكسوف وحاولت إنقاذ الموقف قائلة:

- والله ماقصدشي يا حاج بس أنا قصدي كفاياك شقا، هو أنا عندى بركة اللي انت، ده انت أبويا وأخويا وراجلي

أسند الوالد ظهره إلى مسند خلفه قائلاً :

- انتي تنيلي الدنيا وفي الاخرتقولي مقصدتش ، انتي مش صغيرة دلوقيتي انتي عندك ستين سنة

تدَّخل عبد العال ليوقف هذا الصدام الذي تعود عليه كثيراً قبل ذلك قائلاً :

- يا جماعة صلوا على النبي ، انتوا على طول كده زي القط والفار

ربت الأب على ركبة ولده قائلاً :

- سيبك منها يا ولدي ، المهم الاستاذ محمد اللي كان شغال عند كامل بيه ربنا افتكره النهارده الصبح وأكيد هيدوروا على واحد يشتغل مكانه ، فأنا قولت محدش هينفع للشغلانة دي غيرك انت

ظهر على وجه عبد العال عدم الرضا وترك الطعام وجلس بجوار والده قائلاً :

- مالقيتش غير اللي اسمه كامل ده وعاوزني أشتغل معاه

باستنكار قال الأب :

- وماله يا ولدي كامل بيه

رجع عبد العال بظهره للوراء قائلاً :

- ملهوش بس ، الناس بيقولوا عنه كلام مش ولا بد

- يا ولدي انت هتناسبه ، انت هتشتغل عنده

سرح عبد العال قليلاً في كلام والده في حيرة من أمره ، لم يكن يتوقع يوماً ما أنه سيصبح من أحد رجال كامل ، كان دائما يسمع عن تجارته المشبوهة ، فقد قيل أنه يتاجر في السلاح وقيل أنه يتاجر في المخدرات والآثار وغير ذلك ، مما جعل عبدالعال يعتقد في ذهنه أن كامل هذا شيطان من شياطين الإنس ، ولكن في نفس الوقت وجد في نفسه راحة لهذا الأمر خاصة أنه سيجعله قريبا من ابنه وزوجته ووالداه ، أيضاً سيوفر عليه متاعب الغربة لم يفق من سرحانه إلا على صوت والده عندما قال له :

- قولت إيه يا ولدي ، أكلمه ولا ولأ

تنهد عبد العال بحيرة وقال :

- خليها على الله يا أبويا

ثم وقف علاء من مكانه وجلس بجانب والده وببراءة قال له :

- انت هتسافر تاني يا بابا، متسافرش تاني وتسيبني عشان انت بتوحشني أنا وماما

كانت هذه الكلمة التي قالها علاء بمثابة قرار من والده أنه سيقبل العمل مع كامل حتى لا يترك ولده ، وبعد ثواني من التفكير قال :

- لا يا حبيبي مش هسافر

فرح علاء وصفق بيده وقفز مردداً :

- بابا مش هيسافر، بابا مش هيسافر

وقف عبد العال وضمه إلى صدره ووقع به على الأرض

*****

في كل يوم ثلاثاء كعادتها كانت رحمة تذهب الى السوق كي تشتري بعض مسلتزمات البيت شأنها شأن معظم نساء القرية كانت رحمة تخرج مبكراً ، كان الكل يحترمها ويوقرها الكل يعلم من تكون رحمة ، الكل يعلم أنها خارج البيت رجل له أنياب ينقض على كل من حاول أن يقترب ، كل من لا يحترمها يخافها فقد حدث في يوم من الأيام حيث كان أحد المارة يحاول معاكستها فكان جزاؤه عشرة غرز في رأسه والكثير من السباب التي لا تعرف هي من أين أتت بها ولكن كان حظه ، وقد تجمع الناس حولهما مما أدى الى فضيحته ومنذ ذلك الموقف والكل يتجنبها إما احتراماً أو خوفاً .

أما في ذلك اليوم المشئوم فقد كانت في طريقها إلى السوق وفجاة رأت سيارة تقف بعرض الطريق ، حاولت أن تعبر من خلفها أو من أمامها فلم تستطيع ، أخذت تدور ببصرها حول المكان الذي هي فيه فلم تر أحداً ، ما كان عليها إلا أن تنتظر

صاحب السيارة أن يأتي ويتحرك بها ، لم تنتظر كثيراً حتى لمحت شخصين قادمين من بعيد لم تكن تعرفهما ولكنها توقعت من هيئتهما أن أحدها ما يقولون عنه كامل بيه وتأكدت أن من بجواره هو أحد رجاله وبينما هي كذلك إذ حدثها عوض قائلاً :

- واقفة عندك بتعملي إيه يا ولية

ردت رحمة :

- والله اللي مبيشوفش من الغربال يبقى أعمى ، عاوزة أعدي وانتوا سادّين الطريق

ثم قالت في سرها :

- يسد بيت أبوكم بالحجارة

اقترب منها عوض هامساً :

- بس .. بس ، الله يخرب بيتك ، انتي مش عارفه ده مين

هزَّت رحمة قدمها بلا مبالاة :

- لا مش عارفة ومش عاوزة أعرف

أمسك بها عوض من كوعها فنزعت يدها بسرعة ، فنهرها قائلاً:

- يا بت الناس اكتمى متزعلهوش منك

دار الحوار بين عوض ورحمة ولكن كامل لم يسمع منه شيئا فجمال رحمة قد أخذه من عالمه الى عالم العشق والهيام، لم يكن يؤمن بالعشق من أول نظرة إلا عندما رأى رحمة، ظهر وكأنه مخطوف، إصفرَّ لون وجهه، لأول مرة يتحرك قلبه تجاه امرأة، كانت جيزاته السابقة حيوانية هدفها فقط إشباع رغبته الجنسية وتحقيق

المنشود من هذه الدنيا وهو إنجاب الأولاد حتى لا ينقطع نسله ، ولكنه عندما رأى رحمة أحس بإحساس غريب أفاقته منه رحمة بعبارة لاذعة :

- هو كل من كرمه ربنا وإداله عربية يقطع الطريق على خلق الله

أجاب بهيام منقطع النظير:

- قالولي القمر في السما وإيه جابه عندينا ، وكمان طالع في النهار ومعدي في أراضينا ، خطف قلبي وفؤادي ورماهم من غير لا مرسى ولا مينا

نظر إليه عوض مستغربا ً وقال :

- إيه ده يا كامل بيه ، انت بقيت بتقول شعر

رد كامل وهو مازال ينظر إليها ويعض على شفته السفلي بأسنانه ويهز رأسه :

- حد يشوف قمر زي ده وميقولش فيه شعر

بإندهاش بدا على وجه رحمة قالت :

- شوفوا ياخواتي الراجل العايب بيقول إيه

بغضب رد عوض قائلاً :

- - يا ولية اتكتمي بدل ما أوريكي شغلك

نظرت له باشمئزاز وقالت وقد ارتفع صوتها :

- ولولوا عليك بدري يا بعيد، ما توريني، ما هو مش جديد عليكم، عاوزين تتشطروا على حرمة وانتوا رجالة بشنبات ، لكن أنا ليا راجل يرد عليكم

رفع عوض يده بعصا وهمَّ بضربها فأوقفه كامل بإشارة من يده قائلاً :

- هتفضل طول عمرك حمار يا عوض ، حد يمد إيده على واحدة زي دي

باستغراب نظر عوض ولم يتكلم ثم أكمل كامل كلامه :

- يالاه اركب العربية وعدي السكة للقمر

ركب عوض السيارة وأدار مفتاحها وأوسع الطريق لها فمرت ورمتهم رحمة بنظرة ثم قالت :

- حكم ، صحيح اللي اختشوا ماتوا

انصرفت رحمة تاركة خلفها أنظار كامل التي لم تتركها لحظة واحدة ، ركب كامل السيارة بجوار عوض وقال له :

- مين دي ياد يا هباب البرك انت

- دي رحمة مرات الواد عبدالعال اللي لسه راجع من السفر امبارح

عندما سمع أنها متجوزة قُبض قلبه وتغيرت ملامح وجهه للحزن والأسى وقال :

- روح الله يسد نفسك يا شيخ

لم يستطع عوض إخفاء اندهاشه وفضوله فقال متسائلاً :

- ليه كده يا كامل بيه

بغيظ تنهد كامل قائلاً :

- أصل البت فرسه ، بصراحة خسارة في أي حد غيري

ترك عوض عجلة القيادة ووقف فجأة بطريقة جعلت كامل كاد أن يصطدم بالتابلوو وإلتفت لكامل قائلاً :

- دي متجوزة يا كامل بيه

بغيظ خبط كامل كتف عوض قائلاً :

- فيه إيه يا حمار انت، اسكت، بس مين عبدالعال ده، أنا عمري ما سمعت إن فيه حد في البلد عندينا اسمه عبدالعال

تحرك عوض بالسيارة وتكلم وهو ينظر للأمام :

- ده ابن الحج عبد الروؤف كان بره بقاله خمس سنين ، خلص الدبلوم وبعدين اتجوز الغلبانة دي وبعد شهر من الجواز ساب في بطنها عيل وسافر
- بتقول معاه دبلوم ، يعنى بيعرف يقرأ ويكتب
- أيوه
- طب أنا عاوزه يشتغل معايا بأي ماهيه يطلبها

رمقه عوض بنظرة استغراب وقال :

- أموت وأعرف بتفكر في إيه يا كامل بيه

ضحك كامل ضحكة عالية وقال وضحكاته ملئ فيه :

- يبقى هتموت ومش هتعرف

ثم تكلم بجدية قائلاً :

- النهارده تحدد لنا معاد معاهم أنا هروح أزورهم في البيت

باستغراب رد عوض :

- اشمعنا يا كامل بيه

عاد كامل لضحكاته وقال :

- هروح أخطبها

نظر إليه عوض مستغرباً :

- تخطب المتجوزة ، ازاي مش فاهم
- ولا هتفهم

ورجع مرة أخرى مواصلاً لضحكاته العالية فقطعها عوض قائلا :

- طب دلوقيتي أما أروح أقولهم جنابك جايلهم ليه

- جاي اشرب معاهم الشاي وبس ومتقولش أكتر من كده

خبط عوض على ركبته بيده ثم قال :

- عليا الطلاق ما فاهم حاجة

أطلق كامل ضحكة مدوية ساخرة ، وعندها أوقف عوض السيارة لأنهما قد وصلا إلى المنزل ، نزل كامل من السيارة ودخل المنزل بينما ظلت أعين عوض متعلقة به في استنكار واستغراب

*****

في منزل عبدالعال ووسط ملايين التساؤلات جلس عبدالعال وأبيه أمام كامل الذي لأول مرة في حياته يزور بيتهم ، بل ولأول مرة يدخل بيت لرجل فقير مثل هذا البيت ، وحتى رحمة عندما علمت بمجيئه لعبت برأسها الظنون والتساؤلات ، لماذا أتي ؟ ماذا يريد ؟ هل جاء يشكو ؟ هل جاء ينتقم من التي سبته صباحاً ؟ ولكن سرعان ما قل خوفها حينما لم تسمع صوت يعلو أو أحد يغضب ، عندما أحست أن الجلسة قد اتخذت حال الهدوء ولكن هناك تساؤلاً وحيداً ماذا يريد كامل ؟ فكرت كثيراً لكن بدون أن تجد جواباً ، كاد التفكير أن يقتلها ، لم تكن قبل ذلك تبالي بـ كامل وأفعاله أو تهتم به لكن زيارته المفاجأة اليوم وبعد لقاء الصباح الذي جمع بينهما أثار فضولها .

أما عن ذلك اللقاء فقد رسم على وجه الحج عبدالرؤوف آيات الفرحة ، إنه لشرفٌ عظيم أن يزوره كامل في بيته .

جلس ثلاثتهم وبدأ عبد الرؤوف الحديث :

- والله يا كامل بيه احنا زارنا النبي، والله الود ودنا نفرش الأرض رملة ، رملة إيه كنا فرشناها ورد ومسك

رد كامل بتواضع لم يعرفه الناس فيه من قبل :

- ربنا يكرم أصلك يا راجل يا طيب، بصوا عشان مسيبكمش في حيرتكم ، أنا...

رشف كامل رشفة من كوب الشاي وأكمل :

- جاي عشان حاجتين ، الحاجة الاولى عشان أقول لـ عبدالعال حمد لله ع السلامة

رد عبد العال بامتنان :

- الله يسلم جنابك يا كامل بيه ، بس والله ماليه لزوم تعب جنابك ، ولا كان ليه لزوم كمان تجيب معاك كل ده ، والله الواحد مش عارف يقولك ايه

بفرحة ظهرت على وجه كامل قال :

- ولا تقول ولا تعيد ده واجبكم يا راجل، المهم، أنا زي ما بيقولوا كده جاي ع السيرة ، سمعة الوالد اللي سابقه اسمه هي اللي شجعتني أجي اطلب الطلب اللي هطلبه دلوقتي

رد الحج عبدالرؤوف بامتنان :

- انت تؤمر يا كامل بيه

إلتفت كامل إلى الوالد وقال له :

- ده العشم برضه يا راجل يا طيب ، عشان مطولش عليكم ، في الحقيقة انتوا عارفين إن الأستاذ محمد اللي كان ماسك حسابات الأرض والعمال اتوفى وأنا

كنت بدور على حد عشان يمسك الشغل بداله وولاد الحلال دلوني على عبدالعال وحكولي عن أمانته وشطارته

نظر عبدالعال ووالده إلى بعضهما بدهشة واستغراب ، فأكمل كامل كلامه محاولاً أن يثير فضولهما أكثر:

- وبعدين كفاياك يا عبدالعال سفر واقعد جنب مرتك وابنك، ولا انت حابب الغربة

رد والد عبدالعال وعلى وجهه علامة الدهشة والاستغراب :

- احنا فعلا كنا عاوزين نيجي نكلم سعادتك في الموضوع ده

ضحك كامل حتى أسمعت صوت ضحكاته الجيران ثم قال :

- القلوب عند بعضها يا حج ، مسمعتش رأيك يا عبدالعال موافق ولا لأ ، وخلي بالك هيبقى ليك مرتب كبيروالي انت عاوزه مش هنختلف عليه

بصوت هادئ رد عبد العال :

- الشغل عند جنابك شرف لأي حد يا كامل بيه بس ....

قاطعه كامل ممتناً :

- مفيش بس ، أولاً الشرف ليا أني طبعا ، ثانياً هتبدأ الشغل معايا من امتى

تنهد عبد العال ثم قال :

- أي وقت مش هتفرق

- يبقى هستناك بكرة الصبح ، وتصبحوا عى خير

ثم وقف كامل استعداداً للانصراف ومد يده لـ عبدالعال فسلم عليه وكذلك لوالده فسلم عليه قائلاً:

- ما تخلي جنابك منورنا والله يا كامل بيه

ابتسم كامل منصرفاً :

- لا شكراً يا حج ، الجايات أكتر ، سلام عليكم

انصرف كامل وودعه عبدالعال ووالده على الباب ثم أغلقا خلفه الباب وعادا لمجلسهما فخرجت والدة عبدالعال مطلقة زغرودة رنت في أرجاء الدارثم أردفت :

- يا ألف نهار أبيض طول عمرك رافع راسنا يا ولدي، حد يصدق يا ولاد إن كامل بيه بشحمه ولحمه يجي عندينا في البيت ، عشان يطلب من عبدالعال إنه يشتغل معاه

ثم سكتت بعدما لاحظت عدم الفرحة على وجه عبدالعال وأبيه، فقد كانا جالسين وكأن على رأسيهما الطير فواصلت كلامها :

- مالكم كده قاعدين زي اللي ماتلكم حد

فرك والد عبدالعال يداه في بعضهما ومحدثاً نفسه قال :

- كامل بيه لما بيكون عاوز العمدة في حاجة بيبعتله الغفير والعمدة يروحله لحد عنده ، واحنا يجينا لحد البيت عشان الواد يشتغل معاه

ردت الأم بزهو وفخر:

- وانت مستقل بولدك ولا إيه يا راجل

باستنكار جاوبها والد عبدالعال قائلاً :

- لأ مش بالظبط ، بس الموضوع فيه سر خطير

ثم إلتفت إلى عبدالعال وسأله :

- إيه رأيك يا ولدي في الموضوع ده

خرجت رحمة وقاطعت الكلام قائلة :

- لا يا أبو علاء، انت مش هتشتغل مع البني آدم ده

غضبت الأم من كلام رحمة وبصقت داخل ثيابها مخضوضة :

- بيطلعوا منين دول

ثم اتجهت لـ رحمة محذرة غاضبة :

- وانتي مالك انتي ومال حديت الرجالة ، حقا بصوا وشوفوا يا ولاد

لم تبالي رحمة بتهديد ولا بكلام حماتها ثم قالت بجدية وحسم :

- لا مالي ونص، أنا طول عمري ساكتة وصابرة بس أما أحس إن فيه خطر على حياة جوزي لازم أتكلم

باستغراب نظر إليها عبدالعال قائلاً :

- خطر.... خطر إيه يا رحمة انتي مخبية حاجة علينا ولا إيه

تلعثمت رحمة قليلاً ، ثم حاولت جمع شتات الكلام الذي ضاع من رأسها وقالت :

- لا مش مخبية حاجة ، بس انت متعرفش حاجة عن كامل ده، يمكن الحج قاعد هنا وعارف هو بيشتغل في إيه وأكيد عاوزك تشتغل معاه في الحاجات دي

تدخل والد عبدالعال مقاطعاً :

- لا يا بتي كامل بيه مش عبيط قوي عشان يعمل كده، الموضوع مش كده خالص

أنهي عبدالعال الحوار قائلاً :

- أنا هروح أشتغل معاه شويا لحد ما أشوف الشغل، لو ما عجبنيش هسيبه

اقتربت منه رحمة وأمسكت بيده وقبَّلتها قائلة :

- بلاش يا عبدالعال أبوس إيدك بلاش ، وحياة علاء ولدك بلاش ، عشان خاطري بلاش ، عشان خاطر أبوك وأمك بلاش

باستغراب شديد قال :

- طب بلاش ليه

انصرفت رحمة من أمامه ودخلت حجرتها وهي تقول :

- أهو بلاش وخلاص ، قلبي مش مرتاح

بعدما دخلت رحمة حجرتها وأغلقت على نفسها الباب فقالت الأم ممتعضة :

- ضربة في قلبك ، روحي زي ما بتكرهيلنا الخيرروحي ربنا .....

وضع عبدالعال يده على فم والدته لكيلا تكمل دعائها ثم قال :

- لا يا أمي أكيد رحمة مش قصدها كده

حررت الأم فمها من يد ابنها قائلة :

- تقصد عاد ولا متقصدش ، سيبك منها يا ولدي ، المهم انت هتعمل إيه دلوقتي

دار عبد العال قليلاً في البيت ثم جلس على كنبة واضعاً كلتا يديه خلف رأسه متنهداً ثم قال :

- والله مش عارف يا أمي ، بس اللي محيرني ومخلي برج من نفوخي هيطيرهو إزاي كامل بيه اللي نسمع عن جبروته وقوته يعمل كده ، ما هوكده حاجة من اتنين يا إما اللي كنا بنسمعوه ده كلام كله غلط يا إما الموضوع خطيرزي ما بتقول رحمة

اقترب والده منه وربت على كتفه وجلس بجواره قائلاً :

- قوم يا ولدي استغفر ربنا وصليلك ركعتين استخارة وإن شاء الله ربنا هيهديك للصح واللي عايزه ربنا هيكون

أطلق عبدالعال تنهيده تدل على عدم الراحة :

- ونعم بالله

*****

على طريقة جلسته العادية في كل صباح جلس كامل ووقف خلفه عوض محدثاً إياه قائلاً :

- العمال كلموني عاوزين يرفعوا اليوميّة

نظر كامل إليه بغضب بدا جلياً على وجهه وقال :

- والله عال والله ، ميعملوا مظاهرة أحسن ، بص يا بوز الإخص انت ، اللي مش عاجبه الباب يفوت جمل

تحرك عوض قليلاً ووقف بمواجهة كامل قائلاً :

- يا كامل بيه ، في ناس بتروح تشتغل في البلد اللي جنبينا وبتاخد يومية زينا مرة ونص ، عشان كده العمال بتوعنا غاروا وعاوزين ياخدوا زي البلد اللي جنبينا

نظر إليه كامل بطرف عينه قائلاً :

- اللي يقولك كده قوله روح اشتغل في البلد اللي جنبينا

- يا سعادة البيه .....

قاطعه كامل بحدة :

- خلص الكلام ، آه ... بالمرة عبدالعال جاي النهارده ابقى استلمه وعلمه يشتغل ازاي وريحه على الآخر

باستغراب وبلاهة يتساءل :

- عبدالعال مين ؟

انفجر كامل ضحكاً ثم وقف وقال :

- انت مبلبع حاجة ع الصبح يا زفت ولا إيه

هز عوض رأسه متذكراً:

- آه عبدالعال جوز رحمة

تنهد كامل وجلس وهو يمسح صدره بكفه :

- جوز القمر يا بقف

- والله خايف يا كامل بيه من آخرة الموضوع ده ، بس لو ترسيني على اللي بيدور في مخك يا كامل بيه

ضحك كامل ضحكة مدوية أثارت غيظ عوض بدون أن يُظهر ذلك ، فأكمل كامل ساخراً :

- اللي بيدور في مخي ، مخك ومخ البلد كلاتها مش هيستحملوا

ثم عاد كامل لضحكاته المستفزة

*****

استيقظ عبدالعال مبكراً في هذااليوم ليجد رحمة قد أعدت الفطار وهو عبارة عن كوب من اللبن وبضع بيضات وبعض الأرغفة الناشفة التي سخنتها في الفرن ، ثم خرج عبدالعال من غرفته ليجد والده ينتظره على المائدة وكذلك والدته ، فألقى عليهم السلام وجلس ورشف رشفة من كوب اللبن ثم نهض متأهباً للخروج فأوقفه والده قائلاً:

- كمل يا ولدي فطورك ، هو الشغل هيطير

ربت علي يد والده قائلاً:

- الحمد لله يا أبويا ، مليش نفس

وضع الوالد يده اليمنى على رأس عبدالعال قائلاً :

- حد يبقى طالع مكشركده وهورايح أول يوم في الشغل ، يا ولدي هو مش كاتب معاك عقد ، لو قلقان ومش مرتاح بلاش منه الشغل ده

رد عبدالعال بتردد :

- مش عارف ليه قلبي مش مطمن ، أنا مش عاوز أروح

تدخلت والدته بسرعة :

- استهدى بالله ياولدي ، واللي تخاف منه ميجيش أحسن منه

شعر عبدالعال براحة بعثها بداخله كلام والدته فقال لها :

- عندك حق يا أمي أنا هروح النهارده أشوف الدنيا فيها إيه وبعدين نقرر

خبطت الأم خبطتين بيدها على كتف عبد العال قائلة :

- عين العقل يا ولدي ربنا يحميك لشبابك، ربنا يجعلك في كل خطوة سلامة ، ويبعد ولد الحرام وبت الحرام ويكفيك شر المستخبي واللي ما نطيق شره

ضمَّ عبدالعال أمه الى حضنه قائلاً:

- أهو أنا دلوقتي بعد الدعوة الحلوة دي ، أروح وميهمنيش أي حاجة ربنا يخليكي ليا يا ست الكل

تدخل والده في الحوار قائلاً:

- أيوه يا سيدي واحنا ملناش لازمة

ذهب عبدالعال إلى والده وقبَّل يده قائلاً :

- ليه بتقول كده يا حج ، ده انت الخيروالبركة ، هو أنا أقدر استغنى عنكم

أنهى الأب الحوار بجدية :

- يالاه عاد عشان متتأخرش على شغلك ، ربنا معاك

في وسط كل هذا كانت رحمة تتابع الموقف بدمعة أمسكتها داخلها حتى لا تحدث بلبلة في المنزل ، كم تمنت أن تصرخ بعلو صوتها وتقول لـ عبدالعال لا تذهب ، أرجوك لا تذهب ، إني أخاف عليك ، ولكن من ماذا تخاف عليه ؟ هل هي أوهام في عقلها فقط ؟ أم أنه إحساس ربما يتحول إلى حقيقة ؟ ملايين التساؤلات ، ما الذي يجعل شخص مثل كامل بعنده وجبروته يتواضع ويزور بيتهم الفقير ، ويطلب من عبدالعال أن يعمل معه في نفس اليوم الذي سبته وشتمته فيه ؟ كيف تسبه وتقذفه بأفظع الألفاظ وفي المساء يأتي ليكافئ زوجها ويطلبه للعمل معه ؟ كانت تعلم جيداً أن كامل ليس بالشخص السوي الذي يرد الإساءة بالإحسان ، لا بد وأنه يخطط كي ينتقم ، ولكن ينتقم مِن مَن ؟ ما ذنب زوجها كي ينتقم منه ، إذا أراد أن ينتقم فلينتقم منها وليس من زوجها ، يا للحيرة التي بها ، فكرت كثيرا في أن تقول لزوجها ما حدث بينها وبين كامل في ذلك اليوم المشئوم ولكنها تعلم جيداً زوجها كم يحبها ويغار عليها ، فلو قالت له ما حدث ربما دخل عبدالعال مع كامل في معركة حتماً هو خاسرها .

لم تنتبه رحمة إلا بصوت باب المنزل وهو يغلق معلناً مغادرة عبدالعال للمنزل ومعه قلبها وفكرها ، خفق قلبها كثيراً قلقاً وخوفاً ، ولكن لا شئ بيدها .

*****

مبهوراً بالمساحات الشاسعة ظلَّ عبدالعال يمشي باحثاً عن مكان كامل حتى دله أحد العمال على مكانه ، وفي طريقه إليه رأى كامل يجلس وبجواره كالعادة عوض واقفاً ، وعندما رآه كامل وقف له باسماً مازحاً :

- عندك تأخير نص ساعة يا أستاذ عبدالعال

رد عبدالعال مدركاً بمزحة كامل :

- أصلي ناموسيتي كُحلي

ضحك كامل وأكمل عبدالعال كلامه قائلاً :

- أنا روحت سألت على جنابك في البيت قالولي آجي على هنا

ربت كامل على كتف عبد العال معاتباً برفق :

- طب وإيه اللي وداك البيت ، هو انت هتشتغل في البيت ولا في الغيط

- جنابك عند حق يا كامل بيه ، بس أنا مش عارف هشتغل إيه ولا ازاي

وقف كامل ومشى خطوتين حتى صار عبدالعال في ظهره وقال مستفهماً :

- هو أنا وحش يا أستاذ عبدالعال ؟

صمت عبدالعال ويبدو أن لم يفهم أنه سؤال ولم يفهم ما يقصده كامل فأخرجه كامل من حيرته وهو مازال مولياً إياه ظهره وقال :

- على فكرة ده سؤال

بحذر قال عبدالعال :

- مش فاهم ، ياريت جنابك توضح أكتر

إلتفت كامل إليه ووضع يده على كتف عبدالعال قائلاً :

- أكيد قبل ما تيجي ، سمعت عني كلام كتير صح ؟

باستغراب نظر عبدالعال إلى وجه كامل محاولاً استخدام كل طاقات ذكاؤه حتى يفهم ما يقصده كامل ، حاول أن يبحث في قاموس لغته عن أي كلمات ليفلت من الإجابة على هذا السؤال فقال :

- في الحقيقة .....

قاطعه كامل بجدية دون أن ينظر إليه :

- في الحقيقة ، أهم حاجة الحقيقة ، بص يا عبدالعال أنا سمعت كتير عن ذكاءك عشان كده هوفر عليك كتير، الناس بتقول عليا ظالم وجبارده غير إني بتاجر في السلاح والمخدرات وشويا هيطلعوني قتال قتلة ، الناس بتقول عليا بمص دم الغلابة ، بس أنا غيركده خالص ولا إيه يا عوض

إلتفت الاثنان إلى عوض حيث يجدانه مبهور بكلام كامل لدرجة أنه صدَّقه فرد عوض محاولاً مجاراة حديث كامل قائلاً :

- طبعا طبعا يا كامل بيه

ثم أكمل كامل :

- ميهمنيش الناس بتكرهني ولا بتحبني ، اللي يهمنى إني أنا من جوايا مش حاسس إني ظالم حد، عاوزك يا عبدالعال طول ما انت شغال معايا أوعى تصدق كلام حد عني ، عاوزك تصدق اللي بتشوفه وبس، ومش عاوز منك تدافع عني ، أي حد يقولك عني كلام وحش سيبه يتكلم براحته، خلينا ناخد حسنات

هزَّ عبدالعال رأسه موافقاً فأكمل كامل :

- وحاجة تانية مهمة جداً ، لو شوفت أي حاجة من أعمال الخير اللي بنعملها اوعى تقول عليها بره أو تحكي لحد عليها ، عشان ثوابها ميروحش

مستغرباً هزَّعبدالعال رأسه متكلماً :

- طب أنا هشتغل إيه ، أنا لحد دلوقتي معرفش هشتغل إيه

جاوبه كامل بعدما اقترب إليه :

- كل اللي هتعمله إنك هتيجي كل يوم الصبح تشوف مين من العمال جه وتكتب أساميهم وآخر اليوم تقبضهم وكل واحد حقه لا أكتر ولا أقل ، وبعد كده تشوف مصاريف الأرض اللي صرفناها كام وكل حاجة تتصرف تقيّدها ، أظن دي حاجة مش صعبة عليك

رد عبد العال بفرحة :

- لا خالص مش صعبة

هزَّكامل رأسه مبتسماً وربت مرة أخرى على كتف عبد العال قائلاً :

- ودلوقتي هتروح مع عوض عشان يوريك مكانك اللي هناك ده ويرسيك على باقي الحوار

ثم استداركامل إلى عوض وقال :

- يالاه معاه يا عوض

همَّ عوض بالإنصراف ، وأمامه عبدالعال فنادى كامل على عوض وهمس له :

- زي ما فهمتك ، ماشي

هزَّعوض رأسه متفهماً ثم قال هامساً :

- حاضر يا كامل بيه، بس قولي صح، إيه حكاية أعمال الخير دي، احنا عمرنا ما عملنا أعمال خير قبل كده

ضمَّ كامل على شفتيه مشيراً لـ عوض بالسكوت :

- متضيعش علينا الثواب يا غبي

ضرب عوض كفاً بكف وقال في سره :

- عليا الطلاق ما حد فاهم حاجة

*****

في مكان مساحته لا تتعدي العشرة أمتار المربعة جدرانه من البوص والجريد ومسقوف أيضاً بالجريد، بدا بسيطاً ولكنه مريحاً بعيداً عن أشعة الشمس المحرقة .

دخل عبدالعال متأملاً وخلفه عوض الذي لم يدعه كثيراً في تأمله قائلاً :

- نورت الزربية يا أستاذ عبدالعال

ممتناً رد عبد العال :

- الله يخليك يا عوض

ما زال عبدالعال يجول ببصره في أركان الحجرة الصغيرة فوجد منضدة تستخدم كمكتب وعليها دفتر أمسك به عبدالعال وقلَّب فيه ثم جلس على الكرسي وحدث عوض :

- إلا قولي يا عوض

اقترب عوض منه مسرعاً :

- اؤمريا أستاذ عبدالعال

دون أن ينظر إليه وهو ما زال يقلب في الدفترقال له :

- هو ده كل الشغل، يعني قصدي كامل بيه مبيشتغلش غير في الأرض بس ، أصلي بيني وبينك الأرض متكسبش كل المكاسب دي

ونظر إلى عوض بطرف عينه والذي بدوره بدأ يبحث في رأسه عن كلمات كاذبة إجابة لهذا السؤال الذي بالتأكيد فهم ما يقصده عبدالعال فقال :

- لا هو كامل بيه بيشتغل في التجارة برضه ، وكمان مشارك ناس تقيلة قوي على مصانع في مصر بتجيبله ملايين كل سنة

نظر إليه عبد العال متسائلاً :

- مصانع، مصانع إيه دي؟

- مخابرش والله، عشان كده كان عاوز حد يكون أمين عشان يمشي الشغل في غيابه

- طب واشمعنا اختارني أنا بالذات

- والله دي حاجة معرفهاش أنا عبدٌ مأمور، وعلى فكرة الشغل هنا سهل ، بس كامل بيه مبيقبلش أي غلطة حتى لو كانت صغيرة، الجنيه عنده زي الألف

أطلق عبدالعال تنهيدة طويلة ثم قال :

- ربنا ما يجيب غلط

انصرف عوض مودعاً عبدالعال وتاركاً له الملل والتفكير، قضى عبدالعال ما يقارب الساعة يقلب في الدفتر الذي أمامه حتى حفظه وفهم ما فيه وفهم طبيعة عمله و التي بدت سهلة بالنسبة له وعندما فرغ أغلق دفتي الدفتر على بعضهما وخرج يمشط رجله مما أصابها من تنميلة بسيطة من الجلوس على المكتب وعلى باب العشة رأى كامل في طريقه إليه بإبتسامة ظاهرة على وجهه وعندما رآه أسرع عبدالعال إليه قائلاً :

- منور مكتبنا المتواضع يا كامل بيه

رد كامل بفرحة وهو يدلف داخل الحجرة :

- المكتب نور النهارده بيك يا أستاذ عبدالعال
- ربنا يخلي جنابك يا كامل بيه

دخل كامل العشة وخلفه عبدالعال وجلسا على كنبة أمام المكتب فقال كامل :

- إيه أخبار الشغل ، فهمته ولا صعب عليك

أمسك عبد العال الدفتر وأردف قائلاً :

- لا بالعكس ده سهل جداً
- طب عال عال، أهم حاجة عندي الأمانة ، أنا واثق فيك يا عبدالعال ، مش عاوز حد ياخد أكتر من حقه ولا أقل من حقه ، عاوزك عينك في نص راسك ، أنا ساعات بغيب بالأسبوع والاتنين ، عاوز أبقى مطمن إني فايت ورايا راجل أقدر أعتمد عليه ومكونش قلقان على أي حاجة
- ولا يهمك يا كامل بيه ، ميكونش عندي أي شاغل

همَّ كامل بالقيام قائلاً :

- ده العشم برضك يا عبدالعال ، واسمحلي أقولك عبد العال من غير أستاذ

ابتسم عبدالعال وقال :

- طبعاً ، طبعاً يا كامل بيه
- يالاه بقى أسيبك تشوف شغلك

انصرف كامل وظل عبدالعال وحيداً، وحدته جعلته يفكر في ذاك الشخص الغريب، كان مبهوراً به ، لماذا يقول الناس عنه أنه ظالم؟، في كل مرة يتعامل معه يثبت له أنه ليس كذلك، لابد أنه هناك سر ولابد أن يعرفه ، هذا آخر ما قاله

لنفسه قبل أن يعود ليفتح دفتره ويقلب فيه مرة أخرى عله يجد فيه ما يتسلى به ويضيع فيه وقته الذي لا يمر.

*****

بعد يوم من العمل الممل عاد عبدالعال إلى منزله متهالكاً لا من كثرة العمل بل من قلته ، لم يذق طعم الأكل طيلة النهار ، استقبله والداه وزوجته بحفاوة وتوق ليحكي لهم عن أول يوم للعمل كما أم تنتظر ابنها بعد أول يوم له في المدرسة ليحكي لها عا رآه ، دخلت رحمة مسرعة لتعد الطعام أما هو فجلس مع والداه يتسامرون ، بإرهاق تكلم عبدالعال :

- اللي محيرني، إني حاسس إني بتعامل مع حد تاني غير كامل بتاع بلدنا، طيبة إيه وأخلاق إيه، أنا استريحت خالص من الشغل معاه، بس المشكلة في الغدا، أنا قاعد على لحم بطني من الصبح

تتدخل الأم في الحديث :

- يا كبد أمك يا ولدي ، طب مكلتش ليه مع الناس
- يا أمي الناس كل واحد جايبله كيس في رغيف غداه ، هاجي هاكله منه

تكلم الوالد :

- طب وكامل بيه
- لا كامل بيه روح من الضهر ومجاش تاني وبعدين حتى لو جه أكيد مش هياكل في الغيط

دخلت رحمة بصينية الطعام ووضعتها أمام زوجها الذي بدأ يأكل بشراهة فنظرت إليه رحمة بعطف وقالت:

- أنا ممكن كل ضهرية أعمل أكل وأجيبهولك الغيط

نظر إليها عبدالعال بغضب قائلاً بعدما ابتلع ما في فيه من الطعام :

- لا طبعاً، إيه اللي بتقوليه ده

تَدَخَلَ والده قائلاً :

- والله عندها حق ، فيها إيه يعنى لما تجيبلك غداك كل يوم

كفَّ عبد العال عن تناول الطعام ورمى ما كان في يده من طعام قائلاً :

- وتفضل يا أبويا رايحة جاية كده واخده الطريق مقاسات

تدخلت الأم :

- يعنى يا ولدي هيا هتخس حتة ولا هياكلوها

- والناس هيقولوا عليها إيه لما يشوفوها رايحة جاية

بصوت هادي وكله استعطاف حتى يميل ويوافق قالت له رحمة :

- احنا مالنا ومال الناس، هو أنا رايحة لحد غريب مهو مينفعش تقعد لحد بالليل من غير أكل

ضرب عبد العال الأرض بيده قائلاً :

- لا خلاص أبقى أخدلي رغيف وحتة جبنة معايا الصبح وأنا ماشي

ترك الأب مبسم الجوزة الذي لا يفارقه وبعد كحة بسيطة قال :

- وده برضك اسمه أكل، خلاص يا ولدي أبقى أجيبلك الغدا أنا لو انت مش عاوز مراتك تطلع

ردت الأم غاضبة :

- أُمال إيه عاد، يطلع الراجل الكبير يجر في رجله، عشان ست هانم نقش الحنة على رجليها

رد عبدالعال محاولاً إخماد شرارة النار التي على وشك الاندلاع :

- لا يا أبويا أنا مرضهاش دي تتعب نفسك عشاني، خلاص تبقى رحمة تجيبلي الغدا وخلاص

ارتسمت ابتسامة على وجه رحمة التي أحست بالإنتصار الذي ما لبث أن زال حينما تذكرت أنها ربما ترى ذاك الشخص مرة أخرى ، ربما يحاول مرة أخرى أن يتعرض لها ويستفزها ، ولكن بعد تفكير هداها تفكيرها إلى أن زوجها أهم من تلك الهراءات ، دعت الله كثيراً ترجوه أن لا تحدث مواجهةً أخرى بينها وبين ذلك الحيوان الذي لا يبالي بأي شي إلا مصلحته ونزواته ، فكرت كثيراً أن تُخرج تلك الوساوس من عقلها ، حاولت أن تُقنع نفسها بأن كامل كما يقول لها عبدالعال رجلٌ سوي ، لكن كان هناك شيئاً في قلبها وعقلها يرفض ذلك ، كيف تستطيع أن تنسى ما يقال عن ذلك الرجل ، كانت تشعر أن كامل قد طلب من عبدالعال أن يعمل عنده كي يتقرب منها ، كلما كانت تتذكر اللقاء الذي دار بينهما في الطريق ونظراته التي كانت تتفحص كل جزء في جسدها ، كانت تخاف أكثر وأكثر، فكرت أن تقول لزوجها عن شكوكها ولكن منعها شئ لا تعرف ما هو ، فقررت أن تواري تفكيرها التراب ولا تتكلم

*****

مرَّ أسبوع بسلام كانت رحمة تذهب وتضع الطعام لزوجها وتغادر مسرعة حتى لا يقابلها كامل ، وفي يوم من الأيام طلب منها عبدالعال أن تظل معه وافقت على مضض ، جلست أمامه وهو يأكل خائفة مترددة ، لم يكن لديها تفسير لقلقها أو خوفها ، إلى الآن لم تر شيئا يقلقها ، لم يحدث أي شئ من الوساوس التي في رأسها ،

أوشكت على طرد الوساوس من رأسها ، ظلت أمام عبدالعال صامتة وهو يأكل ولا تدري أنه يلاحظها ما بين اللقمة واللقمة حتى أنه لم يستطع الصبر فقال :

- هو أنا قولتلك اقعدي معايا عشان تقعدي ساكتة

تلعثمت رحمة ثم قالت :

- مش عارفة أقول إيه
- طب كلي معايا
- أنا الحمد لله واكلة قبل أما أجي ، انت بس كل بالهنا والشفا

رمى عبدالعال قطعة من الخبز من يده وترك الطعام وقال :

- والله اللي ما كلتي معايا مش هاكل

بسرعة تمد يدها للطعام قائلة :

- لا خلاص أهو هاكل

أمسكت رحمة الخبز وبدأت في تناول الطعام فقال لها عبدالعال

- تعرفي إنك واحشاني قوي

احمرت وجنتيّ رحمة وأخفضت رأسها كسوفاً وخجلاً وفرحةً ، فأكمل عبدالعال حديثه محاولاً طرق الحديد وهو ساخن :

- بقولك وحشاني، قوليلي وانت كمان، وانت اكتر، الكلام اللي بيقولوه الحبيبة لبعض، ولا انتي متعرفيش

بكسوف ردت رحمة :

- كل الكلام اللي قالوه الحبيبة قبل كده واللي هيقولوا بعد كده ، مش هيكفى اللي جوايا

تهللَ وجه عبدالعال فرحاً وقال :

- اللهم صلِ ع النبي، ما انتي بتعرفي تقولي كلام حلو أهو، امال ساكتة ليه

خفضت رحمة رأسها كسوفاً بابتسامة تُنسي العليل مرضه ، وبعد وقت مرَّ بسلام في وجهة نظرها خرجت رحمة من عند عبدالعال وتبعها ببصره حتى اختفت عنه ثم عاد إلى مكانه .

وعندما خرجت رحمة من الأرض لمحت كامل وغفيره عوض بسيارته قادمان ناحيتها ، أحست بضيقٍ في نفسها عندما رأت السيارة فجدَّت في الخطى وعزمت ألا تنظر حتى إليهما ، وعندما اقتربت السيارة منها أخرج كامل رأسه منها وألقى السلام ، فرمقته بطرف عينها وهزَّت رأسها رداً للتحية وواصلت مشيها بسرعة حتى لا يُفتح باب الحوار مرة أخرى ، بعدما تعدت السيارة رجع معها كامل برقبته ثم استدار وقال :

- مسيرك تحن يا قمر، وهيجمعنا السهر

قال عوض :

- والله الست دي صعبانة عليا قوي، كل يوم يا عيني رايحة جاية تجيب الوكل لجوزها، مش كنا نجيب لـ عبدالعال الغدا زي ما كنا نعمل مع الأستاذ محمد الله يرحمه، ونريح الغلبانة دي

رد كامل بخبث :

- ولما نريحها نشوفها ازاي

ثم أطلق كامل ضحكة طويلة مستفزة فقال عوض مستفهماً :

- هو جنابك قولتلي مجيبش غدا لـ عبدالعال عشان كده ، والله ماني عارف أخرة الموضوع ده إيه

ضحك كامل قائلاً :

- لبن ... أخرته لبن إن شاء الله ، بكرة هننفذ الجزء التاني من الخطة

بذهول واستغراب رد عوض :

- خطة ، جزء تاني ، وإيه هو الجزء التاني ؟ أنا مش فاهم حاجة خالص

فرك كامل يديه في بعضهما قائلاً :

- ولا هتفهم، المهم اسمع اللي بقولك عليه ونفذه بالحرف الواحد ، بكرة وقت الغدا عاوزك تاخد عبدالعال من الزربية ، وتوديه أي مكان إن شاء الله حتى تفسحه

- واشمعنا وقت الغدا

تغيَّر وجه كامل للحدة واختفت ابتسامته وقال غاضباً :

- من امتى بتسألنى اشمعنا، نفذ اللي بقولك عليه من غير ما تسأل، مفهوم

مرعوباً رد عوض :

- مفهوم يا كامل بيه

قال عوض كلامه بتنهيده ، تنمَّ عن عدم الارتياح لما يريد أن يفعله كامل ، يا هل ترى ماذا يريد ؟ هل يريد أن يكرر مأساته مع أخته ؟ هل سيصبح شريكاً ولثاني مرة في جريمة قذرة مثل هذه ؟ ماذا سيفعل وهو لا يستطيع أن يخالف كلامه؟ كيف سينقذ عبدالعال وزوجته؟ تذكر تلك الأيام التي كانت أخته ضحية لنزوات كامل ، ووقف لم يستطع أن يفعل شيئاً أمام جبروته وطغيانه ، دعى ربه أن يمر ذلك اليوم على خير فهو يعلم أن كامل لا ينوي على خير ، ظل في تفكيره لم يفق منه إلا عندما خبط السيارة في شجرة على الطريق فانهال عليه السباب واللعن من كامل ، نزلا من السيارة وتأكدا أنها سليمة وركبا مرة أخرى وظلا في طريقهما

في ذلك اليوم الموعود وفي وقت الغذاء جاء عوض بسيارة كامل وطلب من عبدالعال أن يذهب معه لفعل شيئاً ما بخصوص العمل ، وافق عبدالعال بسرعة وترك العشة وركب السيارة مع عوض وبعدما انصرفا جاء كامل ودخل العشة وانتظر ، ولكنه انتظر كثيراً وكثيراً ، لم تأت رحمة ، يا ترى لماذا تأخرت ذلك اليوم على غير عادتها ؟ إنها يومياً وفي نفس الوقت تقريباً تأتي ولكن اليوم تأخرت كثيراً ، انتظر ساعة ساعتان ولم تأت ، (يا للحظ السئ) هكذا قال لنفسه معذياً إياها لكسرته التي لم تكن على البال ، ضاعت كل أمانيه التي ظل يخطط لها منذ فترة ، لأول مرة أحس بالفشل ، زاد سخطه على عبدالعال وعليها ، وأيضا زاد إصراره على الحصول على تلك المرأة التي أبهرته بجمالها وبشخصيتها ، ملَّ من الانتظار فغادر المكان وكأنه لقي حتفه ، كان لا يطيق نفسه ، يا ترى ماذا حدث؟ لماذا لم تأتِ ؟ هل كانت تشُمَّ على ظهر يدها ، ظل هكذا حتى صباح اليوم الثاني عندما رأى عوض قد أتى بالسيارة ليأخذه إلى الأرض فركب بجواره وقال له ناهراً:

- من امبارح يا زفت ومجتش بالعربية كنت فين ، أنا قولتلك خده ساعة ورجعه تاني ، مش يوم يا جحش

تحرك عوض بالسيارة متجهاً للحقل قائلاً:

- أصل واحنا ماشيين قابلنا أبو عبدالعال وكان بيجري وقفناله وقالنا إن مرات الأستاذ عبدالعال وهي جايباله الوكل رجلها ازحلقت على العتبة واتجسعت وخدناها على المشتشفي المركزي وجبسنالها رجلها وتوي راجعين حالاً

قال عوض كلامه وكأنه يطعن كامل بسكين تالمة، معنى ذلك أنه لن يراها لمدة لا تقل عن أسبوعين على الأقل،

ثم أخذه عوض من سرحانه منادياً :

- يا كامل بيه هنطلع على فين دلوقتي

رد كامل بحزن وضح على وجهه :

- اطلع على الأرض يا بوز الاخس ، هو عبدالعال هناك ؟

رد عوض :

- لا، أنا نسيت أقول لجنابك عبدالعال قالي استأذن جنابك النهارده مش هيقدر يجي

هزَّرأسه موافقا مشيراً لعوض أن يكمل طريقه، وبعد قليل أوقف عوض قائلاً :

- وقف ... وقف ... ارجع تاني ، اطلع بينا على السوق

باستغراب رد عوض :

- السوق ، جنابك عمرك ما عملتها، لو عاوز حاجة قولي وأنا أروح أجيبها بنفسي

- اطلع وانت ساكت يا زفت

بتعجب أدار عوض السيارة متجهاً للسوق، ووصلا للسوق فأوقفه أمام بائع الدواجن فاشترى خمسة دجاجات كبيرة في قفص ووضعها في السيارة، ثم ذهبا الى سوق الخضار واشترى كل ما لذ وطاب من الفواكه وحملها في السيارة . وفي وسط ذلك كله وقف عوض مذهولاً مما يراه، من هذا ؟ إنه ليس كامل، كل هذا تفعله امرأة، امرأة هي من غيَّرته بهذا الشكل، امرأة قابلته صدفة وسبَّته ونالت منه ، فيفعل كل هذا من أجلها ، ولكن ماذا يخبئ القدر لتلك المسكينة ؟ أو بالأحرى على ماذا ينوي كامل؟، هل يفعل كل ذلك من أجل أن يوقعها في شباكه فيأخذ منها ما يريد أم أنه يحبها وينوي لها على كل الخير، ولكن عمره الخير ما يأتي من جهة كامل ، من أول ما عرفه عوض وهو لا يرى منه إلا الشر ، لا يرى إلا ظُلمه لغيره وفساده

وتجاراته المشبوهة وأمواله التي لا يدري من أين ؟ أيُّ خير سيأتي من مثل هذا ؟ "لكي الله يا رحمة" كانت آخر كلمة قالها عوض في سره

*****

في مساء ذلك اليوم كان عبدالعال يجلس مع والده ووالدته بعد يوم شاق قضاه عبدالعال في المستشفى بجوار رحمة وإذا بطرقٍ على الباب ، فقامت والدة عبدالعال وفتحت الباب وفجأة على صوتها مرحبةً :

- يادي النور يادي الهنا كامل بيه بذات نفسيه عندينا ، اتفضل يا بيه اتفضل

وقف عبدالعال ووالده مسرعان ليستقبلاه على الباب ، وبعدما سلَّما عليه قال والد عبدالعال :

- والله ما كان ليه لزوم تتعب نفسك يا كامل بيه

رد كامل بعد أن دخل وقد كانت تجول عيناه في أركان المكان عله يجدها:

- ده واجب يا حج وانت سيد العارفين

قال عبدالعال ممتناءً:

- كلك واجب يا كامل بيه لو مؤاخذة البيت مكركب ، اللي كانت بترتبه رقدت خلاص

ردَّ كامل بأسى :

- متقولش كده ، ديتها أسبوع ولا اتنين وتلاقيها زي الحصان

رفع عبدالعال يده داعياً :

- يارب يا كامل بيه

رد كامل بخبث :

- ياه للدرجة دي غالية عليك قوي كده ، مكنتش أعرف ..
- أُمال يا كامل بيه .

قالت والدة عبدالعال بفرحة :

- والله يا كامل بيه مش عارفين نودوا جمايلك دي فين

رد كامل بإمتنان :

- ولا جمايل ولا حاجة يا حجة ، عبدالعال زي أخويا .

ردت الأم بصوت عالي داعيةً :

- ربنا يعلى مراتبك يا بيه ويخليك للغلابة ، ويديك ما يحرمك أبداً يارب

ابتسم كامل ابتسامة صفراء مردفاً :

- الله ع الدعوتين الحلوين دول

أكملت العجوز دعائها قائلة :

- ربنا يحلي مرار أيامك يا ولدي ، واسمحلي أقولك يا ولدي
- طبعا يا حجة أنا زي ولدك برضه ، وأستاذن أنا يا جماعة والحمد لله

جات على كده ربنا ستر، وربنا يطمنكم على أم علاء

هبَّ والد عبدالعال واقفاً قائلاً :

- ما لسه بدري يا سعادة البيه ، ما حضرتك مآنسنا ومشرفنا ، ده احنا

النهارده زارنا النبي

رد كامل وهو يهم بالقيام :

- والله أنا مش عاوز أقوم، جو العيلة ده من زمان نفسي فيه، بس والله مشاغل، أبقى أجيلكم تاني

قام كامل متجهاً للباب وخلفه عبدالعال وعند الباب إلتفت كامل قائلاً :

- أيوه صحيح يا عبدالعال خدلك أجازة يومين تلاتة أسبوع لحد ما مرتك تخف ومرتبك شغال زي ما هو

نظر إليه عبدالعال بإمتنان :

- متشكر خالص يا كامل بيه، أنا مش عاوز أجازة، بكرة إن شاء الله أكون في الشغل

تحرك كامل نحو الباب قائلاً :

- ع العموم براحتك ، فكرتاني في الموضوع ، وتتمسوا بالخير

في صوت واحد رد الأب والأم :

- وانت في نعم الله يا كامل بيه

غادر كامل المنزل في وسط العديد من التساؤلات التي خلَّفتها زيارته الغير متوقعة ، أغلق عبدالعال خلف كامل ورجع إلى أبيه محدثاً إياه :

- والله الراجل ده كل يوم بيزيد في نظري حبه، مكنتش أتوقع إنه بالطيبة دي

تنهد والده بعدم الارتياح :

- والله هيا حاجة تموخل صح، كامل بيه اللي طول عمره معروف بظلمه وجبروته يعمل كل ده، طب ليه وعشان إيه، أما غريبة قوي دي

تتدخل الام قائلة :

- ولا غريبة ولا حاجة ده كله بركة دعايا، أنا كل يوم بقلع براسي وادعيله يحبب فيه خلقه ، وينصره على مين يعاديه ويجعل محبته في قلوب الناس الغريب قبل القريب

رد عبدالعال :

- مش يمكن يا أبويا هو كده فعلاً بس الناس ظالماه، أو يمكن زمان كان كده بس دلوقتي ربنا هداه

رد الأب بحيرة بعدما هرش في رأسه :

- يمكن يا ولدي ربك بيقلب القلوب من يوم وليلة ، المهم انت خلي بالك من نفسك وادخل شوف مرتك يمكن عاوزة حاجة كده ولا كده

ودع عبدالعال أبواه وانصرف ليدخل غرفته فوجد رحمة نائمة فهمَّت بالاعتدال فأشار إليها كي لا تفعل ، ثم ذهب إليها وجلس بجوار رأسها وقبَّلها وقال لها بحنية وحب :

- مش تمشي على مهلك يأم علاء ، كان حد طايرو راكي

اعتدلت برأسها وحوَّطت وسط عبد العال بيدها قائلة :

- أصلي اتأخرت عليك وكنت عاوزة أجيلك بسرعة ، مهانش عليا أسيبك جعان

ابتسم عبد العال بعدما ربت بيده على يدها الملفوفة حول وسطه :

- شوفي النصيب يجيني عوض بالعربية ويقولي كامل بيه عاوزني أنا وهو نروح مشوار، فنلاقيكي ونوديكي بالعربية

عبثت بيدها في شعر صدره الذي يظهر من جلبابه الواسع قائلة :

- الحمد لله ، معلش اعذرني عطلتك عن شغلك ، وسببتلك المشاكل

طبع قبلة على جبينها قائلاً :

- بس يا عبيطة متقوليش كده ، هو أنا ليا غيرك انتي في الدنيا ديا

ابتسمت رحمة ابتسامة حب خجولة احمَّرت لها وجنتيها وهي تحاول أن تنظر لعينيه قالت :

- ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك أبداً

خبط رأسها برأسه بحنية قائلاً :

- مكنتش أعرف إنك غالية عندي قوي كده ، على فكرة كامل بيه إداني أجازة عشان أقعد جنبك وأراعيكي ، الراجل كتر خيره جه وتعب وجاب معاه شئ وشويات ، والله الواحد مش عارف يودي جمايله دي فين

عندما سمعت رحمة اسم كامل تغيَّر لون وجهها وشعرت بقبضة في نفسها ، حاولت أن تتنفس بسرعة كي تستعيد هدوءها حتى لاحظ عبد العال ذلك فقال :

- رحمة ... رحمة ... مالك رحمة رحمة

هزها برفق فانتبهت له فأكمل :

- رحتي فين

بتنهيدة دلت على عدم الارتياح همست :

- لا أبداً مفيش حاجة ، بس مستغربة

- من إيه ؟

وهي تتحاشى النظر في عينيه قالت :

- من عمايل اللي اسمه كامل ده، غريب أوي ، كامل اللي كنا بنخاف بس نسمع اسمه من كتر ظلمه وجبروته يطلع كده ، كامل اللي عمرنا ما سمعنا إن عمل خير في حياته يبقى كده ، تفتكر دي حاجة عادية ولا الموضوع في إنَّا

نظر عبدالعال لسقف الحجرة متنهداً بحيرة قائلاً :

- وأنا والله مستغرب حاسس إني شغال مع واحد تاني غير اللي انتوا بتحكوا عليه ، بس إنَّا ازاي يعني ، طب انتي في حاجة مخبياها عليا

تلعثمت قليلاً ثم استعادت رباطة جأشها واعتدلت في نومتها ووضعت رأسها على ذراعه قائلة :

- لا ... لا ... بقولك إيه يا أبو علاء ، ما تريحناش وتريح نفسك وتسيب الشغل مع الراجل ده

مسح بيده على جبينها قائلاً :

- طب هقوله إيه ، وبعدين الراجل مشفتش منه حاجة وحشة لحد دلوقتي ومرتاح في الشغل معاه ، والمرتب اللي هاخده زي اللي كنت بعمله لما كنت متغرب ، أي حد مكاني مش هيفرط في الشغلانة دي

- حتى لو قولتلك إني مش مرتاحة للشغل ده

- مكدبش عليكي أنا برضك مش مرتاح ، بس خليها على الله .

استند عبد العال على ظهر السرير سارحاً بعدما أنهى كلامه وكذلك رحمة سرحت ناظرةً إلى سقف الحجرة داعيةً الله أن يُلهم زوجها الصواب وأن يُبعده عن شر كامل وما يريده ، كان بداخلها إحساس يصل الى حد التأكيد أنه يريد شيئاً ما ، شيئاً غير سليم ، شيئاً قد تخسر من وراءه الكثير، كانت دائماً تدعوا الله أن يُخيب ظنها ، وأن يجعل ما بداخلها مجرد تراهات لا أساس لها ، كانت كثيراً تُقنع نفسها

بعكس ما بداخلها، استفاقت من سرحانها فوجدت أن عبدالعال قد غلبه النعاس ، فحاولت جاهدة أن تحرك نفسها لتجلس ونجحت بالفعل فجلست أعلى رأسه وأخذت تمشط شعره بيدها متأملة وجهه ، ثم طبعت على جبينه قُبلة ، وقالت بهمس حتى لا تقلق رقدته :

- مش هسمح لأي حاجة تأذيك طول ما أنا عايشة على وش الدنيا ، ربنا يخليك ليا

ثم طبعت قُبلة أخرى على جبينه وظلت تنظر إلي وجهه بحب .

*****

جلس كامل في أرضه وكعادته لا يفارقه مثل ظله وقف خلفه عوض يحمل له شمسيته فقال كامل بملل :

- مفيش أخبار عن القمر

قال عوض مازحاً :

- القمر بيطلع بالليل يا سعادة البيه

يبدو أن مزحة عوض لم تَرُق لكامل فتتغير نبرة كامل للجدية قائلاً :

- دم أمك خفيف يا زفت ، انت فاهم قصدي كويس

- لا مفيش يا بيه ، غير إن في العشية راحوا فكوا الجبس ، بس يا بيه لو ترسيني على اللي في مخ جنابك يا بيه

أطلق كامل ضحكة عالية جلجلت في الفضاء الواسع أثارت دهشة وغضب عوض فقال :

- هو أنا قولت نكتة ولا إيه

واصل كامل ضحكه مرة أخرى بصوت أعلى :

- طول عمرك حمار ومش هتفهم حاجة

قال عوض بحزن ظهر على كلماته وبنبرة لم يعتدها منه كامل :

- أنا فاهم كل حاجة وطبعاً منسيتش وعمري ما هنسى

اختفت ابتسامة كامل وظهر على وجهه الضيق والغضب عندما أحس بالتلميح في كلا عوض ثم قال :

- احنا مش كنا قفلنا الموضوع ده ، وراضيتك ، بتفتحوا ليه تاني

بانكسار رد عوض :

- مش قصدي والله يا سعادة البيه ، بس أنا شايف رحمة غلبانة وجوزها أغلب منها ومش ناقصين بلاوي

وقف كامل من مكانه سار خطوتين وهو ينظر بعيداً إلى أرضه وقال وعينيه تجول في حقله :

- ومين قلك يا بقف إني عاوز ائذيها ، ده أنا مخبيلها الخير والسعادة ، والعيشة اللي عمرها ما كانت تحلم بيها

هرش عوض في رأسه من تحت عمامته قائلاً :

- مش فاهم

عاد كامل لضحكاته العالية وقال وضحكاته لا تفارق فمه حتى ظهرت جميع أسنانه

- والله قعدتك مسلية أحسن من قرطاس لب، مش بقولك انت حمار ، رحمة هتعيش معايا في البيت

بإشارة تدل على الرفض من يده قال عوض مستنكراً :

- لا... لا ... مش هترضى اللي زي رحمة دي بالرغم حالتهم التعبانة وفقرهم نفسها عزيزة و عمرها ما هترضى بكده

- ترضى بإيه يا بهيم

- مش قصد حضرتك تشتغل خدامة في البيت

عاد كامل لضحكه مرة أخرى :

- مش بقولك حمار، وهتفضل طول عمرك حمار

بدت الحيرة على وجه عوض فقال :

- أُمال هتعيش معاك في البيت ازاي

تغيرت نبرة صوت كامل إلى الجدية حين قال :

- هاتجوزها

ضحك عوض في هذه المرة بصوت عالي ثم قال :

- حلوة النكتة دي يا سعادة البيه

اقترب كامل من عوض قائلاً :

- دي مش نكتة دي حقيقة

اختفت ابتسامة عوض تدريجياً ثم قال :

- يعنى ازاي مش فاهم ، يعنى جنابك والأستاذ عبدالعال هتبقوا ضراير

- لا ما هو هيطلقها

دارعوض حتى وقف في مواجهة كامل ثم قال :

- لا يا كامل بيه في الحالة دي أنا بقولك انسى ، مستحيل ده هيحصل

نظر إليه بغضب :

- اشمعنا يا أنبه اخواتك

- عبدالعال ورحمة بيناتهم حب ولا بتاع الأفلام ، ولو عملت إيه مش هتقدر تفرق ما بينهم ، انت مشفتش يوم ما رجلها اتكسرت كان شكله ازاي

ظهرت ملامح الغضب على وجه كامل قائلاً :

- أنا قولت يطلقها ، يعنى يطلقها يا إما ...

صمت كامل للحظات قطعها عوض قائلاً :

- يا سعادة البيه

بغضب قاطعه كامل :

- أنا لما أعوز حاجة محدش يقدر يقولي لا خالص ، مفهوم

وبينما هما كذلك إذ يلمحون شبح عبدالعال قادم من بعيد فغيَّر كامل وجهه إلى وضع الابتسامة الصفراء وتكلم بصوت عالي يسمعه عبدالعال :

- حمد لله ع السلامة يا راجل ، تصدق كنت لسه في سيرتك أنا والبغل ده

في أثناء ذلك الكلام يكون عبدالعال قد وصل إلى كامل فقال ممتناً :

- سألت عليك العافية يا كامل بيه

بطيبة منقطعة النظير وبأداء أفضل ممثل يستحق عليه جائزة الأوسكار سأل كامل:

- عاملين إيه جماعتك مش بقوا أحسن دلوقتي

- الحمد لله كنا فين وبقينا فين

- لا بس شكلك بتحبها قوي

ابتسم عبدالعال قائلاً :

- طبعا طبعا يا كامل بيه، هيا مراتي وأم ولدي، وأغلى حاجة عندي في الدنيا

بغيظ مكتوم لم يلاحظه عبدالعال قال كامل :

- طيب يا سيدي ربنا يخليكوا لبعض ، يالاه بقى عشان تشوف شغلك

همَّ عبد العال بالانصراف ثم تذكر شيئاً فرجع وقال :

- كان في سؤال محيرني ومش لاقيله إجابة ، واسمحلي بس أسأله وهمشي على طول ولو سعادتك مش عاوز تجاوب متجاوبش

باهتمام نظر كامل مشيراً لـ عبدالعال أن يكمل حديثه :

- من الأيام البسيطة اللي إني اشتغلتها مع جنابك ، شوفت قد إيه انت طيب، طب ليه الناس واخدة عنك فكرة غير كده خالص

ابتسم كامل ثم وقف واقترب من عبدالعال بهدوء ثم أدار وجهه للجهة الأخرى مولياً عبد العال ظهره باحثاً عن إجابة مقنعة ، طالت فترة صمته حتى أحس عبدالعال بالحرج فهمَّ بالإنصراف قائلاً :

- طب هستأذن أنا يا سعادة البيه

همَّ بالانصراف فأوقفه كامل بنداءه :

- عبدالعال ... استنى

انتبه له فواصل كامل كلامه :

- تفتكر لو أنا متساهل مع الناس كنت عرفت أوصل للي أنا فيه ، مشكلتنا اننا بنعتبروا الطيب فينا عبيط، العمال والناس لو مقرصتش عليهم كل واحد فيهم هيفكر ازاي يسرقني، ازاي يغشني، ازاي يخدعني ، لازم أحسسهم إني واعي وصاحي،

عشان مديش فرصة لحد فيهم إنه حتى يفكر في كده ، وكل واحد بياخد حقه لا زايد ولا ناقص .

اقترب كامل قليلاً :

- مشكلة الفقرا يا أستاذ عبدالعال إنهم شايفين فلوس الأغنيا فلوسهم ، وكل واحد مستني فرصة عشان ياخدله جزء من حقه زي ما بيقولوا ، عشان كده أنا كده وهفضل كده ، ومدام مش ظالم حد قدام ربنا يبقى ميهمنيش كلام الناس

بذهول رد عبدالعال :

- طب اشمعنا أنا مش بتعاملني بالطريقة ديا

- لأني عارفك وعارف معدنك انت وأبوك ، ومتأكد إنك عمرك ما هتفكر تسرقني أو تغشني ، لأنى حسيت لأول مرة في حياتي إن فيه حد ممكن أثق فيه وآمنه على فلوسي ومالي وأبقى مطمن عليه ، مش عارف الثقة دي جات منين ، بس أنا حسيت إنك تستاهلها وأنا اديتهالك ، أظن دلوقتي بقى عندك رد لكل الكلام اللي في دماغك

بارتياح ظهر على وجهه قال عبدالعال :

- صح يا كامل بيه ، وأنا أوعدك إني هكون قد الثقة دي

انصرف عبدالعال وهو يشعر بالارتياح لكلام كامل وكذلك كامل بعدما ينصرف عبدالعال قال لنفسه بصوت مسموع :

- النبي حلوين الكلمتين دول

نظر إليه عوض باستغراب قائلاً لنفسه بدون صوت :

- الله يخرب بيتك ده أنا صدقتك

*****

مرت الأيام وعادت رحمة إلى عادتها يومياً في وقت الظهيرة تذهب بالطعام إلى زوجها ، كان كامل يراقبها من بعيد ، دون أن تراه .

كان قد وصل إلى حد العشق لها ، لم يعرف ما به غير أنه يفرح عندما يراها ، كان دائما يلوم نفسه على تلك التصرفات ولكنه كان يُعزي نفسه بأنه أول مرة تتحرك مشاعره ،كان يعرف أنها مشاعر أنانية تريد أن تفرق بين زوج وزوجته ، بل بين حبيب وحبيبته ، كان يعرف أنه سيفرق بين أبوين وطفلهما ، ولكن كل ذلك لم يثنيه عما نواه ، كان يخبر نفسه أنه سيحصل عليها مهما كلفه ، كان عقله ليل نهار يفكر فيها ، يفكر كيف يراها ، بل أحيانا يفكر كيف يخطفها ، أما هي لا تعبأ به ظنت أن شكوكها نحوه ماتت حيث أنه لم يعترض طريقها في الأيام السابقة ، بدأت تشعر ببعض الإرتياح نحوه حتى جاء يوم من الأيام وفي الوقت نفسه كانت في طريقها الى زوجها إذ خرج إليها بسيارته قائلا :

- أنا رايح الغيط تيجي أوصلك معايا

انتبهت لصوته بفزع ، ثم تمالكت نفسها وجمعت شتات تفكيرها وقالت :

- متشكرة قوي يا كامل بيه ، أنا اتعودت على المشوارده كل يوم

ابتسم لها مجدِداً عرضه :

- طب تعالى انتي هتخسري حاجة ، الجو حر النهارده وبعدين ، مش حرام عليكي تمشي على رجلك وهيا تعبانة

بجدية حسمت الموقف قالت له رحمة :

- أرجوك يا كامل بيه، اتفضل امشي عشان الناس متشفناش، والناس ما بتصدق تلاقي حاجة تتكلم فيها و ....

قاطعها كامل قائلاً :

- قطع لسان اللي يقول عنك نص كلمة، طب خلي حد يتحدت وأنا أقطعلك لسانه من لغلوغه

- طب وعلى إيه كل ده، لا تقطع لسان لحد ولا ندي لحد فرصة يتكلم

أسرعت رحمة في المشي حتى لا يفتح مجالا للحديث معها وسبقته فعلاً فوقف بسيارته محدثاً نفسه :

- طب بالذمة مش خسارة العسل ده كله يتكب في الأرض ، ومرمي عند واحد زي المدعوك عبدالعال ، لكن هتروحي فين منى ، مسيرك يا توم تيجي تحت الهون و أدقك

ثم تحرك بسيارته عائداً من حيث جاء .

*****

جلست فاطمة كعادتها حزينة والحزن لم يفارق محياها الجميل منذ أن عرفت ذلك الخبر ، حاول جلال كثيراً أن يخرجها من حالتها تلك ولكن حزنها كان أقوى من إرادته ، فصدت كل محاولاته لإسعادها ، فقدت شهية الحياة وطعمها ، كان جلال يعذرها لأن الأمر ليس بهين أن يخبروها بأنها لن تصبح أم ، الحلم الذي طالما حلمت بها ، تذكرت حياتها الأولى في بلدتها وما حدث لها مع كامل ، تذكرت أن جلال هو من انتشلها من عارها وفضيحتها ولم يذكر لها يوماً أنه صاحب فضل عليها ، كانت تعلم أنه لا يستحق منها كل ذلك ، دعت الله كثيراً أن يفرج همها قريباً ، ولكن الاستجابة تأخرت لحكمة يعلمها وحده جل في علاه ، ظلت كذلك كثيراً حتى انتشلها جلال من حزنها قائلاً :

- جاتني فكرة حلوة أوي يا فاطمة

بإبتسامة تكاد لا تظهر على شفتيها :

- معادش فيه حاجة حلوة

جلس جلال بجانبها وقال لها :

- إن شاء الله الحلو كله جاي ، إيه رأيك لو نتبنوا طفل يتيم ، ونربيه وأهو نكسب فيه ثواب

يبدو أن الفكرة لم تنل إعجابها فردت بيأس :

- بس أنا نفسي في عيل يكون من صلبك ومن بطنى ، أحبل فيه وأتوحم وأتعب يوم بيوم وأولده

أمسك جلال يدها وقبَّلها قائلاً :

- يا ستى هما مش بيقولوا الأم هي اللي ربت مش اللي ولدت ، وأهو يسلينا ويملى علينا البيت لحد ما ربنا يحلها من عنده

وبعد نقاش كبير وافقت فاطمة على مضض واستسلمت لفكرة زوجها محاولةً أن تبدي اقتناعها برأيه ، وبعد فترة ليست كبيرة من الزمن اصطحب جلال زوجته إلى أحد ملاجئ الأيتام لتبني الطفل ، كان جلال قد أقدم على تلك الخطوة إرضاءاً فقط لزوجته أما عنه فهو لا يريد أن يربي ما ليس له ، فقط ... أراد أن يخرجها من حالتها التي كانت تصعب عليه فيها ، بعدما نصحه الحج حسين بذلك ، قرر أن يفعل علَّها تخرج من تلك الحالة ، أما عنها ففي طريقها للملجأ شعرت بإحساس الأمومة يدب فيها ، بدأت تشعر بالرضا والارتياح والفرحة تجاه ذلك الأمر ، دخلا من باب الملجأ واتجها الى غرفة المديرة ، ثم جلسا معها وتناولا الشاي ، ثم قالت المديرة باحترام :

- اؤمروا

بأدب تحدث جلال :

- أنا وفاطمة مراتي ربنا مش رايد إننا نخلف فكنا عاوزين نتبنى طفل

ظهرت الفرحة على وجه المديرة ثم قالت :

- بسم الله ما شاء الله ، تفكير رائع أوي يا فندم وربنا يجعله في ميزان حسناتكم ، ممكن تملى الإستمارة دي

مدت المديرة يدها الى دوسيه أمامها وفتحته وأخرجت منه استمارة وأعطتها لـ جلال الذي انهمك في ملئها ثم اتجهت المديرة إلى فاطمة قائلة :

- اوعديني طبعاً إن الطفل هيتعامل أحسن معاملة وهيتربى في جو أسري كويس وإلا يبقى احنا أولى بيه

بلهفة ردت فاطمة :

- طبعاً طبعاً ، ده هيبقى ابني ، في حد بيعامل ابنه وحش

- حضرتك عايزياه ولد بالتحديد

ترددت فاطمة في الرد ونظرت إلى جلال تنتظر رده وهو ما زال منهمكا في ملئ الاستمارة فانتبه لتردد فاطمة وقال :

- والله أي حاجة، مش هتفرق

عندئذ وقفت المديرة وفتحت ستارة تحتها شباك وقالت :

- تعالوا كده بصوا

تحرك جلال وفاطمة إليها ووقفا بجوارها ونظرا فوجدا مجموعة من الأطفال مع اثنان من المشرفات يلعبون في الفناء فقطعت المديرة لحظات الصمت قائلة :

- دي كل الأولاد اللي عندنا ، اختاروا حد منهم

- أحست فاطمة ببعض الحزن حينما رأت أن جميع الأطفال في سن كبيرة إلى حد ما فقالت :

- بس دول كلهم سن كبير مفيش أصغر من كده

رجعت المديرة إلى مكتبها قائلة :

- للأسف لا يا فندم، بس حضرتك لو مش عايزة من السن ده سيبي رقم تيلفونك وأول ما تتوفر حاجة هنبعتلك

- نظرت فاطمة إلى جلال الذي لم يعرف ما يقول ولكنه أومأ برأسه ففهمت فاطمة أنهم سينتظرون حتى يجدون الطفل المناسب فكتب جلال رقم هاتفه الأرضي وودع المديرة وانصرف، عادت فاطمة مكسورة الخاطر، بعد أن منَّتْ نفسها أنها سترجع بطفل، رجعت بخفيّ حنين ، ثم وصلا لمنزلهما فدخلاه فارتمت فاطمة على الأريكة تقاوم دمعة بالكاد تجرح خدها فجلس جلال بجوارها يواسيها قائلاً :

- مالك يا فاطمة كل حاجة مكتوبة، وإن شاء الله قريب هتلاقي تيلفون يقولك تعالي استلمي الولد ، انتي مش واثقة في ربنا ولا إيه

- ونعم بالله ، اشمعنا اللي احنا اللي ربنا يعمل معانا كده

ضرب جلال كفاً بكف قائلاً :

- استغفر الله العظيم ، إيه اللي بتقوليه ده ، أنا عمري ما شوفتك كده قبل كده ، بقى فاطمة المؤمنة اللي عمرها ما تفوت فرض تقول الكلام ده ، ياله قومي استغفري ربنا وربنا إن شاء الله هيسامحك

- أستغفر الله العظيم ، أكيد انت جعان أنا هقوم أجهزلك لقمة تاكلها

همَّت فاطمة بالقيام فأمسك جلال بيدها قائلاً :

- لا ، أنا مليش نفس
- لا مينفعش، انت مكلتش حاجة من امبارح، طب ما تيجي ناكل سوا ونفتح نفس بعض

- نظر إليها جلال بحب وأومأ موافقاً .

*****

على سريره تمدد كامل ناظراً لسقف حجرته سارحاً ، دخلت زوجته نعمة ثم فتحت دولابها وأخرجت منه شيئاً وخرجت وبعد قليل دخلت فلاحظت أنه ما زال على نفس الحالة التي كان عليها نظرت إليه باستغراب ووقفت أمامه فلاحظت علامات غريبة على وجهه ، فلأول مرة في حياتها معه تجده على هذه الحالة اقتربت منه قليلاً ، فينتبه من سرحانه وتتغير ملامح وجهه فقالت بإستنكار:

- شوفت عفريت إياك
- ومين سمعك ، (بصوت هادئ ) خير عاوزة إيه
- سلامتك ، مفيش ولا حاجة

همَّت نعمة بالانصراف فأوقفها منادياً :

- كام مرة أقولك لما أكون بتكلم معاكي متسيبنيش وتمشي

استدارت بتأفف غير مُلاحَظ وهي تنظر للأرض فأكمل حديثه :

- وبعدين ، انتي يا بقرة بيأكلوكي إيه ، هو أنا بتكلم لاتيني ، مالك فيه إيه

وهي ما زالت تظر للأرض وتتحاشى النظر في وجهه قالت :

- أصل .... أصل .... مش عارفة أبدأ الكلام منين

اعتدل كامل على سريره وضرب بكفيه على ركبتيه قائلاً:

- آه ... هيا ليلة مش فايتة عليكي وعلى اللي خلفوكي ، متحكي يا مرة فيكي إيه

ردت نعمة بصوت هادئ متقطع مرتجف :

- أنا روحت للحكيمة النهارده ، وقالتلي نفس الكلام ، أنا معنديش مشاكل ، ولازم انت تروح وتكشف

قالت نعمة جملتها الأخيرة ورجعت خطوتين للوراء من شدة خوفها من رد فعله ولكن هذه المرة خيب ظنها ، لم يغضب ولم يثور وإنما نظر إليها من أسفل لأعلى أشبه بنظرة احتقار قائلاً:

- وماله أروح، وأسيب شغلي ومصالحي وأفضح نفسي وأخلي مرة تكشف عليا، انتي اتجنيتي ، مش كنا قفلنا الموضوع ده خلاص

بخوف قد تملك منها ردت :

- خلاص .... أهو انت كده كل ما أكلمك في الموضوع ده تقلب وشك وتزعق فيا ، طب أنا أعمل إيه دلوقتي

نهض من علي سريره واقترب منها قائلاً بهمس مخيف :

- ولا تعملي ولا تنيلي، أنا قولت كلامي مش هرجع فيه تاني، هو شهر لو مفيش حمل يبقى تلمي هدومك وعلى بيت أبوكي

فكرت نعمة قليلاً قبل أن تقول بتردد :

- طب وليه شهر، ما من دلوقتي أحسن

إلتفت إليها مستغرباً قائلاً :

- يا سلام من دلوقتي من دلوقتي، بركة اللي جات منك يا جامع ، الباب يفوت جمل، وانتي طالق .... وبالتلاتة كمان

تلقت نعمة كلماته كالسجين الذي للتو فُك أسره ، لم تدري هل تفرح للخلاص أم تحزن لأنها أصبحت مُطلَّقة ، خرجت من الحجرة ونزلت منها دمعتين على خدها لا تدري ما سببهما هل حزن أم دموع فرح، كان كل ما يدور بداخلها أنها الآن أصبحت مطلقة، أصبحت حرة من قيد العبودية التي تكبَّلتْ به منذ ستة أشهر ، كان كل ما بداخلها مشاعر مبعثرة ولكن قالت لنفسها :

- كده أحسن ...

*****

بينما عبدالعال على مكتبه منهمكاً في عمله وفي يده قلم يكتب به في الدفتر، دخلت عليه رحمة وعلى رأسها صينية فانتبه لها فوقف مسرعاً قائلاً:

- جيتي في وقتك ، ده أنا هَيُغْمَى عليا من الجوع

وضعت الصينية على المكتب وأردفت :

- ألف بعد الشر عليك يأبو علاء

بهدوء أمسك بالصينية ونزع عنها غطائها وبدت عليه علامات الفرح والسرور لما رآه بها فقد رأى أشياءاً لم يكن يعتاد عليها فقال بفرحة :

- إش إش ، إيه كل ده فراخ ورز وملوخية

- أنا قولت انت بتتعب لازم تاكل كويس عشان تتقوت كده، وأهو كله من خيرك

بدأ عبد العال في كسر قطعة من الخبز وأسقطها في طبق به ملوخية ووضعها في فمه وتكلم وهو يأكل قائلاً :

- بقولك إيه صح ...

انتبهت رحمة عندما أحست جديته في الحديث قائلة :

- أؤمر يا أبو علاء

بغمزة من عينه قال لها :

- انتي ليه حلوة كده

أخفضت عينها في الأرض وبكسوف ردت :

- انت اللي عينك حلوة فبتشوف كل حاجة حلوة

وبينما هما كذلك سمعا صوت شخص يتنحنح من الخارج فنهض عبدالعال من مكانه قائلاً:

- اتفضل اتفضل يا كامل بيه

دخل كامل واصطنع أنه متفاجئاً لوجود رحمة فقال :

- إيه ده هي أم علاء هنا ، وأنا أقول العشة منورة ليه

ببرود منقطع النظيروبإشمئزازوكلمات انتزعتها من فمها انتزاعاً قالت رحمة :

- ده نورك يا سعادة البيه

لاحظ عبدالعال ذلك فأنقذ الموقف قائلاً :

- والله حماتك بتحبك يا كامل بيه

ضحك كامل بسخرية ثم قال :

- وأنا طلقت بتها النهارده

قال كامل كلمته وهو ما زال ينظر إلى رحمة فقال عبد العال مواسياً:

- ليه بس كده ، إن أبغض الحلال عند الله الطلاق

جلس كامل بجوار عبدالعال وهو ينظر إلى الطعام قائلاً :

- متشغلش بالك انت بس، مع إني مليش نفس لأي حاجة، بس لازم أدوق أكلك يا أم علاء دول بيقولوا إن نَفَسَك في الأكل حلو قوي

باستغراب ردت رحمة :

- هما مين دول اللي بيقولوا يا كامل بيه

بخبث نظر إليها كامل وهو يجلس على المكتب استعداداً لتناول الطعام قائلاً :

- اللي داقوه يا أم علاء

قال كلمته وهو يمسك رغيف ويكسره وكذلك فعل عبدالعال وظلت رحمة مراقبة الموقف فقال كامل :

- هو انتي مش هتاكلي معانا ولا إيه يا أم علاء

بتأفف غير ملحوظ ردت :

- والله متعودش آكل قبل ما راجلي يخلص أكل

وضع كامل لقمة في فمه وبدأ في مضغها مظهراً إعجابها بالطعام فقال :

- الله .... الله .... انتوا كده هتخلوني أجي كل يوم آكل معاكم ، أنا عمري ما دقت أكل بالحلاوة دي ، بصراحة تسلم الإيدين اللي طبخت

رد عبدالعال بالنيابة عن رحمة قائلاً :

- انت تشرفنا والله يا كامل بيه ...
- خلاص يا عم أنا كل يوم هاجي أتغدي معاك بس بشرط

ظهرت على عبدالعال علامات الاهتمام لكلمات كامل فقال :

- خير يا كامل بيه

وهو يضع لقمة أخرى في فمه قال :

- أدفع حق الأكل اللي هاكله

ظهرت على عبدالعال علامات الغضب :

- لا كده انت بتشتمني بالذوق يا سعادة البيه ، ده انت جمايلك مغرقانا

ابتسم كامل قائلاً :

- يا راجل يا طيب ، جمايل إيه بس وبتاع إيه بص أنا عندي حل حلو ، كل يوم الصبح هبعت طلبات الأكل للبيت عندك ، وأم علاء مشكورة تطبخه وتجيبه وكده نبقا خالصين أنا بالطلبات وانتوا بالمجهود ولا إيه رأيك يا أم علاء

لا تجد رحمة كلمات لتقولها فأنقذها عبدالعال قائلاً :

- والله اللي بتعمله ده كتير يا سعادة البيه
- ولا كتير ولا حاجة ، والحمد لله

ثم نفض كامل يديه في بعضهما معلناً الفراغ من الأكل فقال عبدالعال :

- ما تاكل يا كامل بيه ، انت لحقت

- الحمد لله ، تمام قوي كده ، تسلم إيدك مرة تانية ، والله الواحد من فترة كبيرة مكلش أكل حلو بالشكل ده

ردت رحمة على مضض :

- بالهنا والشفا يا بيه ، مطرح ما يسري يمري

استعد كامل للنهوض فنهض معه عبدالعال وسار خلفه حتى باب العشة ورجع فوجد رحمة ما زالت تقف مكانها لا تتحرك فهزها في كتفها :

- رحمة ... رحمة .... مالك

تجنبت رحمة النظر في وجهه فأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى قائلة :

- مفيش ، بس تعبانة شويا

- تعبانة ازاي يعني

- تعبانة وخلاص ، عادي أنا والله مفيش حاجة

دار عبدالعال حتى وقف أمامها قائلاً :

- ازاي ، وليه وشك متغير كده

تصنعت رحمة ابتسامة فاشلة لم يصدقها عبدالعال قائلة :

- مش متغير ولا حاجة يمكن شوية إرهاق وتعب ، هتاكل تاني ولا ألم الأكل

ضرب عبدالعال كفاً بكف قائلاً :

- لا خلاص أنا شبعت الحمد لله ...

همَّت رحمة بوضع الأطباق فوق الصينية فتركت بعضها وغادرت فنادى عليها عبدالعال مشيراً إلى بعض الأطباق التي على المكتب :

- طب ودول هتسيبهم لمين، وبتقولي مفيكيش حاجة، أنا عاوز أعرف مالك

رجعت رحمة وأخذت باقي الأطباق وهي تقول :

- مفيش والله مفيش ، أنا هروح أرتاح شويا وهبقى كويسة
- طب استني أنا هروحك .....

بحركة من يدها أوقفته قائلة :

- لا خليك انت في شغلك أنا كويسة ، صدقني مفيش حاجة

تركت العشة وغادرت وسارت بخطى تكاد تكون ثابتة وهي تتحدث مع نفسها وتقول:

- وبعدهالك يا رحمة ، لازم تعملي حاجة ، الزفت اللي اسمه كامل ده مش ناوي يجيبها لبر ، ده ناوي على نية مش كويسة ليكي ، بس طب أنا هعمل إيه ومين هيصدقني لو اتكلمت أو حكيت ، ولو حكيت هحكي أقول إيه ، وهو بمكره وخبثه مش مبين حاجة وحشة ، كله هيغلطني أنا ، يارب .... حلِّها من عندك يارب

*****

وهي تحمل ملاكاً صغيراً على كتفها دخلت فاطمة منزلها وهي ترقص فرحاً وعلى وجهها كل علامات الفرح والرضا والسعادة وخلفها جلال أيضاً سعيد ولكن ليس بنفس الصورة التي عليها وإنما سعيد لسعادتها ليس إلا ، دخلت فاطمة غرفتها وإذا بجرس الباب يرن إلتفت جلال قائلاً :

- أيوه

رجع جلال ليفتح الباب فوجد أمامه الحاج حسين :

- يا أهلا وسهلا بالراجل الطيب ، اتفضل اتفضل

- أغلق جلال الباب خلف حسين الذي بدا عليه الفرح قائلاً :

- يزيد فضلك يا ولدي ، أنا قولت أجي بنفسي أباركلكم على الطفل وربنا يجعله في ميزان حسناتك ويكبروتشوفه أحسن واحد في الدنيا

- الله يبارك فيك يا حج ، تفتكرده هيحصل

جلس حسين على الأريكة قائلاً :

- ازاي يعني مش فاهمك

جلس جلال بجواره وهو ينظر للأعلي ويحك ذقنه بيده قائلاً :

- يعني المثل بيقول يا مربي في غيرولدك يا باني في غير ملكك

ربت حسين على ركبة جلال قائلاً :

- لا ياولدي متقولش كده، طب ده انت ثوابك ثوابين، أولهم فرحت الغلبانة اللي جوه دي، وتانيهم ثواب كفالة اليتيم ، ده سيدنا النبي ...

قاطعه جلال مصلياً :

- عليه الصلاة والسلام

- عليه الصلاة والسلام ، بيقول أنا وكافل اليتيم كهاتين

عضَّ جلال يده بأسنانه متنهداً :

- عارف يا حج، بس مش عارف ليه حاسس إن جوايا حاجة مش طبيعية ، مش عارف أفرح ، أو مش عايز أفرح

ابتسم حسين وكأنه قد فهم ما يدور بداخل جلال فقال له :

- قوم بس صليلك ركعتين ، ومتبينش كده قدام مراتك عشان متكسرش فرحتها واندهالي عشان أباركلها

على آخر كلماته دخلت فاطمة وتبدو عليها جميع علامات الفرحة والسعادة فقالت وكأن صوتها يغني :

- وأنا أقول الشقة منورة ليه ، يا مرحب بالراجل الطيب

نهض حسين مواجهاً لـ فاطمة قائلاً :

- الشقة أكيد منورة بالنونو ربنا يجعله قدم السعد عليكم يارب ، ويكبر كده وتشوفوه أحسن حد في الدنيا

رفعت فاطمة يديها للسماء داعية :

- يارب يا حج يارب ، عهد عليا لأخليه أحسن واحد في الدنيا دي

ابتسم حسين بفرحة قائلاً :

- يارب تعيشوا انتوا الاتنين ليه ، وميحرمكوا منه أبداً ولا يحرموا منكم ، وعاوز أقولكم حاجة مهمة أوي ، يمكن ربنا هداكم للفكرة دي ، عشان عاوزلكم الخير ، ياله أنا هسيبكوا بقى عشان ترتبوا دنيتكم ، انتوا خلاص بقى وراكم مسئوليات دلوقتي

همَّ الحاج حسين بالانصراف فأوقفه جلال قائلاً :

- يا راجل ما انت قاعد معانا شويا لسه بدري ، انت وراك الديوان

أكدت فاطمة كلام زوجها قائلة :

- حتى نعملك حاجة تشربها ....

ردَّ حسين بامتنان :

- يا ستي عقبال ما أشرب شربات فرحه إن شاء الله

ردت فاطمة بابتسامة واسعة :

- فرحه، طب حتى قول نجاحه الأول

ضحك الجميع لجملة فاطمة واستأذن حسين وغادر المنزل ودخلت فاطمة لترى صغيرها الجديد وجلال جلس مكانه .

*****

دخلت رحمة في ميعادها وصينية الطعام فوق رأسها وفوجئت بشئ جعلها تفقد جزءاً من عقلها وتثبت مكانها لا تتحرك لا للأمام ولا للخلف ، وجدت كامل فقط جالس مكان زوجها وزوجها غير موجود ، وقف إليها كامل قائلاً :

- شوفتي عفريت ولا إيه

رجعت رحمة خطوتين للوراء قائلة :

- لا أبداً بس استغربت إن أبو علاء مش موجود

حمل كامل عنها الصينية من فوق رأسها ثم قال وهو يضعها على المكتب :

- هو راح يجيب حاجة وجاي مش هيتأخر

همَّت بالانصراف قائلة :

- طب أنا همشي دلوقتي ، وأبقى أرجع كمان شويا يكون جه

تحرك كامل بسرعة ووقف أمام الباب حتى لا تغادر قائلاً :

- يا ستي، هو مش هيتأخر ، على إيه تروحي وتيجي، وبعدين لو عايزاني أنا أمشي ... همشي

تلفتت رحمة يمينها ويسارها قلقة ثم قالت :

- لا يا كامل بيه هقولك امشي من مكانك وأرضك ، ميصحش برضه ، أنا بت أصول وأفهم في الأصول كويس

فهم كامل ما ترمي إليه رحمة بكلماتها تلك ولكنه تجاهلها قائلاً :

- أُمال مالك فيكي إيه
- خايفة بس من كلام الناس
- قطع لسان اللي يقول عليكي كلمة يا ست الحسن والجمال

إقترب منها كامل فابتعدت قليلاً لتحافظ على المسافة بينها وبينه فنظر إليها بإستغراب :

- انتي خايفة مني ولا إيه

رمقته رحمة بنظرة استغراب ثم قالت :

- وهخاف منك ليه

رمقها كامل بنظرة مريبة قائلاً :

- أُمال مالك مش واقفة على بعضك ليه

بتردد وخوف ظهرا على وجهها قالت :

- مش على بعضي ازاي، ما أنا كويسة أهو

تحرك كامل وجلس على كنبة مشيراً إليها :

- طب ما تيجي تقعدي جنبي ، حتى بيقولوا القرب حلو

نظرت إليه رحمة باستغراب نظرة من أسفل إلى الأعلى تدل على الإحتقار ولم تنطق ، وبعد قليل قالت :

- هو... عبدالعال اتأخر ليه كده

حاول جذبها من يدها فانتزعت يدها بسرعة فقال لها :

- هيجي ، يعني هيروح فين ، لازم يجي ....

ثم سكت قليلاً وقال :

- طب بذمتك مش حرام

لم تفهم ما يقصده فنظرت إليه نظرة استغراب قائلة :

- إيه هو اللي حرام بالظبط

وقف ودار حولها دورتين وهي تتبعه بعينها ثم قال :

- واحدة في جمالك وحلاوتك، تتدفن مع واحد زي عبدالعال ده ، والله المفروض اللي زيك تعيش في قصر، انتي مبسوطة لعيشتك دي

بكل رضا قبَّلت رحمة يمينها مرتين قائلة :

- الحمد لله، السعادة والانبساط يا بيه عمرهم ما كانوا بالفلوس ولا بالقصور ، السعادة الحقيقة في الرضا باللي قاسمهولنا ربنا

ضحك كامل ضحكة مريبة قائلاً :

- الأفكار اللي مالية دماغكم دي، انتوا بتضحكوا بيها على نفسكم عشان مش في إيدكم حاجة ، الحقيقة غيركده خالص

همَّت رحمة بالانصراف فقد تيَقَّنت أن زوجها لن يأتي الآن ، وأن هذا فخ قد نصبه لها كامل ، وبسرعة وقبل أن تصل إلى الباب وقف في طريقها ، حاولت أن تهرب ولكنه كرجل أقوى منها استطاع أن يوقفها قائلا :

- لسه مخلصناش كلامنا

ردت رحمة بحدة بنبرة أقرب للتهديد :

- مفيش كلام بيني وبينك ولو سمحت سيبني أروَّح

- هتروَّحي، بس لما تسمعي كلامي كله للآخر، وصدقيني مش هتخسري حاجة لو سمعتيني

- وقفت رحمة متأففة تستعد لسماع كلمات تعرف أنها ليست خيراً ولكنها لا كانت لا تدري ماذا تفعل ؟ لا تستطيع الهروب ، ظلت تدعو في سرها أن يخلصها الله من ذلك المأزق وبينما هي في شرودها تكلم كامل في نبرة هادئة قائلاً :

- تتجوزيني

دهشتُها من الكلمة لم تعطها الفرصة للتفكير فيما تقول فضحكت ضحكة خفيفة وقالت :

- ما هي حاجة من اتنين، يا إما سعادتك بتهزر ، ودي حاجة مش لايقة على مركز وسن جنابك ، يا إما سعادتك اتجنيت ، أنا ست متجوزة ولا انت مش واخد بالك

رد كامل ببرود :

- طب ما أنا عارف

نظرت إليه استنكاراً وامتعضت قائلة :

- حقا بطلوا ده واسمعوا ده ، صحيح اللي اختشوا ماتوا ، انت ...

قاطعها كامل بحدة :

- قبل ما تعلي صوتك، أنا مش بطلب حاجة عيب ولا حرام ، أنا هطلقك من جوزك وأتجوزك

استشاطت رحمة غضباً ولم تتمالك أعصابها فقالت بعلو صوتها :

- انت البعيد معندكش دم

محافظاً على هدوءه قال :

- لا عندي ، بس أنا من أول ما شوفتك وأنا مش عارف مالي ، اتهوست بيكي ، بقيت نايم صاحي بفكر فيكي ، فقولت لازم تبقى ليا

تحركت رحمة خطوة للوراء :

- أبقى ليك ، عادي كده ، وتفتكر إني ممكن أوافق

اقترب منها أكثر وهمس بجوار أذنها قائلاً :

- وليه لأ ، وانتي هتبقى ملكة في قصر ، تحتك الخدم والحشم تؤمري وتنهي ، كل طلباتك مجابة ، لو طلبتي لبن العصفور نجيبهولك

أطلقت رحمة ضحكة بثقة لا تدري من أين أتت بها قائلة :

- ياااااااااه يا كامل بيه، مشكلة اللي زيك إنهم فاكرين نفسهم إنهم ملكوا الدنيا دي كلها بفلوسهم وبنفوزهم ، أحب أقولك إنك انت وكل فلوسك وأطيانك كده متملاش عيني ومتساويش عندي شعرايا في راجلي وأبو ابني

وهمَّت بالإنصراف فحاول منعها بوضع يده على كتفها فتزيل يده بسرعة فحاول الإقتراب أكثر فتضربه بيدها على وجهه وتنصرف ، فوضع يده على وجهه متأثراً بتلك الصفعة التي لم يكن أن يتوقع من رحمة أن تكون بهذه القوة ثم قال :

- ماشي ..... ماشي يا رحمة ، يا أنا يا انتي ، لو أدفع عمري كله لازم تبقي ليا ، والأيام جاية

ظلت تسير في طريقها إلى منزلها وعينها غارقة في دموعها تفكر ماذا تفعل ؟ هل تقول لزوجها عما حدث ؟؟ أم تصمت وكأن شيئا لم يكن ؟ إن قالت ماذا تقول ؟ هل تقول له أن كامل طلب يدها للزواج ، من سيصدقها ؟ من سيقف بجوارها ؟ وإن صدَّقها زوجها ، ليس بعيداً أن يدخل في مشكلة مع ذلك الحيوان الذي في صورة إنسان ، دعت الله كثيراً أن يخلصها مما هي فيه ، سارت بخطى متثاقلة ، حتى وصلت البيت ودخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب على نفسها وألقت جسدها على سريرها وانهمرت دموعها

وفي مساء ذلك اليوم ظلت رحمة في فراشها حتى سمعت باب البيت ينفتح وسمعت صوت زوجها فتصنَّعت النوم خوفاً من أي مواجهة تجمعها به ، كانت طيلة اليوم تفكر كثيراً ، ماذا حدث بعدما تركت العشة ؟ هل أخبر كامل زوجها بما حدث وإن كان أخبره فماذا قال له ؟ ربما لم يخبره شئ ، وربما أخبره بشئ يغضب زوجها منها ، ظلت تفكر حتى وقف عقلها من كثرة التفكير ، فظلت ملقاة على سريرها تنتظر الساعة التي سيدخل فيها عبدالعال المنزل ، دخل عبدالعال عليها الحجرة فوجدها نائمة جلس بجوارها ووضع يده على رأسها ثم قبَّل جبينها حتى استيقظت أو تصنعت أنها تستيقظ ونظرت إليه لترى ماذا في عينيه ؟ لم تنطق بشئ حتى قطع هو لحظات السكون قائلاً :

- كده برده تسيبيني قلقان عليكي المدة دي كلها

سمعت كلماته التي أشعرتها بالقليل من الطمأنينة ولكن لم تجيبه بشئ أو لم تجد ما تقوله له فواصل كلامه :

- أنا لما لقيت الأكل وملقيتكيش قلقت عليكي، بس الله يستره كامل بيه طمني

حين سمعت اسمه نهضت مهتمة وقالت :

- كامل بيه ، هو قالك إيه ؟

قام من جوارها ، وذهب ليخلع ثيابه قائلاً :

- لا أبداً قاللي إنك جيبتي الأكل وأنا مش موجود ، وهو طلب منك إنك تروحي عشان أنا هتأخر شويا

ابتلعت رحمة ريقها بعد سماع هذه الكلمات وهدأ قلبها من خفقانه الزائد ثم قامت ووقفت بجوار زوجها وقالت له برقة :

- عاوزه أطلب منك طلب بس خايفة أقول عليه

إلتفت إليها قائلاً :

- وليه خايفة ، والله لو بإيدي مش هتأخر ثانية ، أنا أقدر برضه ، خير....

ابتعدت رحمة قليلاً تفكر في بداية جيدة لحديثها ، استجمعت قواها وقالت :

- أنا ....

سكتت وتلعثمت كلماتها فاقترب منها عبدالعال بقلق ووضع يده على كتفها قائلاً :

- اتكلمي يا رحمة ، مالك فيكي إيه

إلتفت إليه ونظرت بُرهة في عينه واقتربت منه أكثر قائلة :

- بصراحة ... أنا تعبت من مشواركل يوم ده ، ونفسي ارتاح شويا

ضربها بحنية على رأسها قائلاً :

- يا شيخة خضيتيني ، بس كده يا ستي ، ولا يهمك أنا بكرة هبلغ كامل بيه ، هقوله إنك بتتعبي من المشواروكفاية لحد كده

إلتفتت إليه وطوَّقته بذراعيها وقالت :

- بس ياريت متجيبهالوش من ناحيتي أنا

- من ناحيتي ولا من ناحيتك هتفرق في إيه ؟

تركته وذهبت إلى حافة السرير وهي تجمع شتات تفكيرها وجلست قائلة :

- مش عارفة ، أهو كده وخلاص

ذهب إليه وجلس بجوارها واحتضنها قائلاً :

- حاضر يا ست الكل ، ولا تزعلي نفسك ، بقى هو ده اللي شاغلك ، وأنا اللي افتكرت إن فيه مصيبة بعد الشر...

طوّقته بذراعيها بحب قائلة :

- ربنا يخليك ليا يا راجلي
- ويخليكي ليا يا رب

همَّ عبدالعال بالقيام فأمسكت به رحمة قائلة :

- خليك شويا ، حضنك حلو أوي
- حاضر هقوم أروح الحمام وهرجع حالاً

خرج عبدالعال فوجد والدته جالسة في الخارج فذهب إليها وحدثها :

- مساء الخير يا أمي ، مالك قاعدة كده في حاجة ولا إيه

امتعضت الأم واضعة يدها أسفل ذقنها وجلست على الكنبة متربعة وقالت :

- مفيش يا ولدي ، بس محتارة

جلس عبدالعال بجوارها قائلاً :

- من إيه ، خير إن شاء الله ، احكي
- لا يا ولدي مش مشكلة قوم بس انت ريح جسمك ومتشغلش بالك
- يا ستي أنا مش ورايا حاجة ولسه بدري على ميعاد نومي
- معرفش يا ولدي ، مرتك جات كده من الغيط وراحت دخلت الأوضة ومطلعتش من ساعتها ، وأجي أكلمها بتكلمني من غير نفس مش عارفة مالها

ضحك عبدالعال قائلاً :

- هو ده اللي شاغلك، هي بس تعبانة شويا بس من المشوار ، وأنا خلاص مش هخليها تيجلي الغيط تاني ، كفاياها لحد كده
- ليه يا ولدي بس، ده حتى كامل بيه يزعل منك
- يزعل ميزعلش ، أنا صحة مرتي عندي بالدنيا كلها

- براحتك يا ولدي كل واحد بينام على الجنب اللي يريحه ...
- عادي يا أمي متشغليش بالك أكيد ليها صرفه
- يا ولدي أنا بس بقول ، تريحلها يومين وبعدين ترجع تيجيبلك الوكل تاني
- ولا تاني ولا تالت يا أمي ، مات الحديت ، وإذا كان على كامل بيه عاجبه عاجبه ، مش عاجبه براحته ، هيمشيني من الشغل عادي ، مش هتفرق
- استهدى بالله بس يا ولدي ، إن شاء الله خير

وبينما هم كذلك خرج علاء من حجرته وهو يفرك عينه وذهب لوالده ففتح والده له أحضانه وضمه إليه قائلاً :

- اللي مصحيك دلوقتي يا حبيبي
- قمت كنت رايح الحمام
- طب ما تروح يالاه

سار علاء خطوتين ثم رجع لوالده قائلاً :

- بابا أنا عاوز بندقية ....

نظر عبدالعال له في استغراب وقال :

- حاضر بس كده ، واشمعنا بندقية
- أصل وأنا نايم شوفت واحد بيضربك ببندقية فأنا عاوز واحدة عشان أضرب بيها اللي عاوز يضربك

فزعت الأم لرؤيا الصغير قائلة :

- يا كبدي يا ولدي ، إيه اللي بتقوله ده ، انت اتجنيت ، حد يقول لأبوه كده

ارتجف علاء للطريقة التي قالت به العجوز كلامها ومن عصبيتها وجرى وارتمى في حضن والده فمسح الأب على شعره قائلاً لوالدته :

- بالراحة ع الواد يا أمي هو عمل إيه ، أكيد ميقصدش

ثم توجه إلى ولده بالحديث قائلاً :

- يالاه يا علاء روح الحمام عشان ترجع تنام بسرعة

انصرف علاء بخطى ثقيلة ثم توجه عبدالعال إلى والدته بحديثه :

- الواد لسه صغير ميعرفش الكلام ده ، هو شاف حلم عادي وجه يحكيه
- حلم ، اللهم اجعله خير يارب
- يا أمي حلم ، لهوسة أطفال ، ويالاه عشان تنامي

نهضت الأم ودخلت حجرتها وظل عبدالعال سارحا

*****

في الصباح الباكر جلس كامل في مكانه وخلفه كالعادة عوض وبعد دقائق من الصمت قال كامل :

- عملت إيه يا زفت الطين في المشوار اللي باعتك عليه امبارح
- تمام جنابك خلصته ، وزي ما سعادتك قولت بالظبط
- عفارم عليك يا ولا ، إيه مين ده اللي جاي علينا من هناك ده ....

إلتفت عوض فوجد عبدالعال قادماً من بعيد فقال :

- ده باين عليه الأستاذ عبدالعال

سرح كامل قليلاً ثم قال :

- وإيه اللي جايبه هنا ده
- معرفش والله جنابك يمكن في مشكلة في الشغل معاه، وجاي يعرضها على جنابك

- مشكلة ، آآآآه ، شكلها فعلاً مشكلة

اقترب عبدالعال منهما قائلاً :

- صباح الخير يا كامل بيه ، صباح الخير يا عوض

رد عوض :

- يسعد صباحك يا أستاذ عبدالعال ، خير أُمال سايب مكانك وجاي هنا تعمل إيه

- والله أنا كنت عاوز كامل بيه في موضوع كده، بس والله مكسوف منه

إلتفت إليه كامل :

- موضوع، خير إن شاء الله

- والله، مش عارف أبدأ منين، الموضوع ... بس إن الجماعة في البيت عندي تعبوا من كتر الروحة والجاية ع الغيط، فهما مش هيقدروا يجيبوا أكل تاني، فياريت جنابك متبعتش الطلبات ع البيت تاني وإذا كان عليا أني هستحمل الجوع لحد ما أروَّح وأتغدى في البيت

بغضب حاول أن يخفيه ردَّ كامل :

- يا راجل خضتني، وماله، مش مشكلة، ولو إني هتحرم من أكل الست أم علاء، بس مش مشكلة

بفرح ردَّ عبدالعال :

- يعني جنابك مش زعلان ولا حاجة

- لا وهزعل ليه، روح بس انت شوف اللي وراك ومتشغلش بالك بالمواضيع التافهة دي

- بعد إذن جنابك يا كامل بيه

انصرف عبدالعال ونظر إليه كامل وبصق عليه :

- داهية في منظرك العكر ده، وبعدين شور عليا يا وش البقر انت هنعمل إيه

يبدو أن عوض كان في عالم آخر عندما نطق كامل هذه الكلمات فانتبه على آخر كلماته قائلاً :

- آآه ، هنعمل إيه في إيه ؟
- في المصيبة دي

بغباءه المعتاد سأل عوض :

- مصيبة إيه ؟
- انت ياض بتاكل إيه ، ده انت لو بتاكل علف مع البهايم مش هتبقى دماغك كده
- لو مؤاخذة يا كامل بيه مكنتش مركز مع جنابك
- تور .... بهيم ..... مفيش موت ياخدك ويريحني منك .

ظهرت على وجه عوض علامات الحزن المصطنع فقال :

- أنا يا كامل بيه ، بتدعي عليا بالموت ، ربنا يسامحك
- آه صح .... الموت هو الحل .... الموت هو الحل

ظهر الخوف أكثر على وجه عوض لما رأى الجدية في كلمات كامل فقال متوسلاً :

- يا ساتر يارب ، وأنا عملت إيه لجانبك عشان عاوز تموتني

تجاهل كامل كلمات وتوسل عوض وأكمل ضاحكاً وهو يفكر :

- فكرة جهنمية ، هتوحشني والله .....

ثم ضحك كامل ضحكة جعلت عوض تسمرَّ في مكانه وقد تمكن منه الخوف فقال له:

- مالك يا واكل ناسك
- عاوز تموتني أنا ليه ....

ضحك كامل بصوت عالي قائلاً :

- وهموتك انت ليه يا غراب البين ، أنا أقصد حد تاني .
- حد تاااااني !!! مين ده ....
- حد واقفلي زي اللقمة في الزور، لازم يموت عشان أوصل للي أنا عاوزه
- مش فاهم
- طب ما ده العادي

وواصل كامل ضحكاته المستفزة فقال عوض :

- يووووووه، يا سعادة البيه أنا راجل دماغي على قدي، واحدة واحدة كده وفهمني
- هفهمك، بس مش دلوقتي
- أُمال امتى
- في وقتها هتفهم كل حاجة ، وروح من قدامي كده ، خليني أدورها في دماغي ، غووووور

*****

في أحد الأيام كان عوض في المدينة ليشتري بعض الأشياء التي يريدها كامل فرأي أنه قريباً من بيت أخته فاطمة فقرر أن يزورها ، فهو لم يدخل بيتها منذ سنوات فوجد نفسه أمام باب الشقة وقرع الجرس ففتحت له فاطمة وبفرحة هللت وفتحت حضنها لأخيها قائلة :

- خطوة عزيزة يا أخويا، عاش من شافك، تعالى ادخل اتفضل، كده برضه يا عوض أنا قولت انت نسيت إن ليك أخت

جلس عوض على الأريكة قائلاً :

- والله مشاغل يا بت أبويا، انتي عارفة الشغل مع كامل بيه ميخلصش ، وأنا دراعه اليمين ميعملش حاجة من غيري

شعرت فاطمة بضيق في نفسها عندما سمعت اسم كامل وكأنها تذكرت كل ما حدث لها بسببه فجلست بجواره قائلة :

- انت لسه برضه شغال مع الزفت اللي اسمه كامل ده

- هو أنا هعمل إيه يعني ..

بحزن ظهر جلياً على وجهها قالت :

- مش كفاية اللي حصلنا من وراه

- يا ستي ده موضوع واتقفل

- بالنسبالك انت اتقفل، لكن بالنسبالي أنا لسه متقفلش ولا عمره هيتقفل ، هو أنا أقدر انسى اللي عمله فيا وفيك

أطلق عوض تنهيدة حزينة ثم قال :

- والله ما عارف أقولك إيه، أوعي تفكري إني مرتاح في الشغل معاه ، أبداً والله أنا كل يوم بتعذب لما أشوفه بيظلم حد ولا بياكل حق حد بس هعمل إيه، أدي الله وأدي حكمته

- وإيه اللي يجبرك على كده

ضحك عوض بسخرية قائلاً :

- إيه اللي يجبرني!! ، مش بيقولوا اللي إيده في الميه مش زي اللي إيده في النار ، حاجات كتير انتي متعرفيهاش ومينفعش تعرفيها

بقلق ظهر على وجهها قالت :

- انت متورط معاه في حاجة من حاجاته اللي بيعملها دي

وقف عوض غاضباً:

- يووووووووه، هو أنا جاي أقعد معاكي نص ساعة هنقضيها في الكلام على كامل زفت ده

من خلفه ربتت على كتفه قائلة :

- خايفة عليك يا أخويا

- لا ... من الناحية دي اطمني ، أنا عامل حسابي المرة دي كويس ، وإذا كنت قاعد معاه ومستحمل قرفه فده لسبب محدش يعرفه غيري وبكرة تشوفي

- يا عوض انت مش قده ، ده راجل فاجر ومبيهمهوش حد

- مش عارف انتي بتلفي تلفي وتفتحي سيرته ليه ، قولتلك ميت مرة متقلقيش ، كُتر الحزن يعلم البكا واحنا بكينا ياما ... ياما قوي ... وهانت

- يارب يسترطريقك وينصرك على من يعاديك ويجعلك في كل خطوة سلامة يا ولد أبويا

وبينما هما يتسامرون سمع عوض صوت بكاء طفل فذهبت إليه فاطمة وأحضرته فأمسكه برفق قائلاً :

- بسم الله اللي جابلك يخليلك ، خلفتيه امتى
- لا مخلفتهوش

قبَّل عوض الطفل في جبينه قائلاً :

- أُمال ابن مين ده
- ده طفل يتيم، اتبنناه أنا وجلال من الملجأ، بعد أما عرفنا إننا مستحيل نخلف
- يا زين ما عملتوا ، أهو حاجة تسليكم وتئنس وحدتكم ، بقولك إيه ... مش محتاجة أي حاجة ، أنا همشي أشوف ورايا إيه
- ربنا يبارك فيك يا أخويا ، سلامتك ... أنا بس عايزاك متغيبش عننا كده .
- والله انتي عارفة المشغوليات، أنا هستأذن دلوقتي ، وأبقى أعدي عليكي في وقت تاني
- طب مش هتستنى جلال يجي حتى وتسلم عليه
- والله مستعجل ، ابقى بلغيه سلامي ، يالاه تقعدي بالعافية
- الله يعافيك يا أخويا ، خلي بالك من نفسك
- خليها على الله ، سلامو عليكو

*****

- خرجت والدة عبدالعال من غرفتها فوجدت رحمة جالسة واضعةً يدها على خدها ويبدو عليها أنها لم تنم منذ فترة طويلة فذهبت وجلست بجوارها وباستغراب سألتها :

- مالك قاعدة ليه كده ، وفين المحروس جوزك

- جوزي مجاش من امبارح قاللي رايح مشوار تبع الزفت اللي اسمه كامل بيه ومرجعش لحد دلوقتي

- طب هو قالك إنه هيتأخر

- لا مقالش، قال مسافة السكة وراجع ، وكان معاه شنطة ، سألته كان فيها إيه ، قاللي ميعرفش ... فيها حاجة تبع كامل بيه ، أنا قلقانة عليه قوي

- أُمال هيكون راح فين، أنا هقوم أصحي الحج يروح يشوفه عند كامل بيه

بينما هم كذلك خرج والده متسائلاً :

- مالكم قاعدين كده زي اللي اتكب طبيخهم

ردت الأم بقلق :

- عبدالعال

بدهشة وقلق رد الأب :

- ماله عبدالعال

جرت عليه رحمة بلهفة وقالت :

- من امبارح مجاش ، قال إنه رايح مشوار تبع الشغل ولحد دلوقتي مجاش

- طب وإيه يعني، الغايب حجته معاه، أكيد حصلت معاه حاجة أخرته، مفيش داعي للقلق ده كله

شعرت الأم ببعض القلق فقالت :

- أخرته لتاني يوم، أنا قلبي واكلني على الواد قوي

نزلت دمعة من عين رحمة فأخفتها بسرعة قائلة :

- ربنا يرجعه بالسلامة يارب .

بغضب و بصوت عالي قال الأب:

- قرفة تاخدكم انتوا الاتنين ، بتفولوا ع الواد ليه ....

جلس على الأريكة فذهبت إليه الأم ووقفت أمامه قائلة :

- انت هتقعد ياراجل ، بنقولك الواد مرجعش من امبارح

- وأنا هعمل إيه ، أطلع في الشارع وأقول عيل تايه يا ولاد الحلال يعني

هزته الأم بشدة قائلة :

- ياراجل استحي على دمك ، روح لـ كامل بيه يمكن يكون عارف حاجة عنه

نهض الأب غاضباً وقال:

- ما أنا عارف، انتوا مش هتسكتوا غير لما أعملكم اللي في دماغكم، أوف يا ساتر

خرج الوالد متجهاً إلى منزل كامل بيه وطلب الإذن بالدخول وعندما دخل وجده على مائدة الإفطار فقال شاعراً بالحرج :

- صباح الخير يا سعادة البيه

- صباح النور يا راجل يا طيب ، اقعد ، الشاي يا واد

- ملوش لزوم يا بيه ، خيرك سابق

- لا ازاي الكلام ده ، انت ضيفي ، بس خير... إيه سر الزيارة الغريبة دي ع الصبح كده

- والله يا بيه ولدي عبدالعال من امبارح مجاش البيت ، والجماعة في البيت بيقولولي إنه راح شغل تبع جنابك

- ازاي الكلام ده !، ده المفروض أنا اسأل هو فين ، أنا باعته بفلوس يوديها لـ سعفان بيه ، والمفروض يرجع ومعاه ورق مهم بس هو مجاش، قولت يمكن الوقت اتأخر فهيجي الصبح

بقلق قال الأب :

- يعني إيه الكلام ده يا ولدي

- خير... خير يا حج ، اهدى متقلقش ، الغايب حجته معاه

ثم نهض كامل وسار إلى الباب ونادى على عوض الذي ينتظر في السيارة خارج المنول

- يا عوض ... انت يا زفت ياللي اسمك عوض

أتى عوض مسرعاً :

- أيوه يا بيه ، أديني أهو

- عاوزك حالاً تاخد العربية وتروح لسيادة النايب سعفان بيه وتسأله عن عبدالعال

- حالاً جنابك

جلس الأب وقال :

- جيب العواقب سليمة يارب

غاب عوض قرابة الساعتين ترك فيهما الأب يجلس مع كامل وهو يتمتم بالدعوات ، ورجع مرة أخرى إليهما بخطى غير ثابتة ولا يدري ما يقول مما أثار قلق وخوف الوالد فقال له:

- خير يا ولدي طمّني

- سعفان بيه بيقول إنه محدش جاله خالص ....

بقلق مصطنع أجاب كامل :

- بتقول إيه، ازاي الكلام ده، أنا باعت الأستاذ عبدالعال بالفلوس في العشية

- معرفش، بيقول محدش جاله، وكمان بيبلغ جنابك إن الفلوس لازم تبقى عنده النهارده وإلا هيكون ليه تصرف تاني

باستغراب تكلم الوالد :

- فلوس ، هي الفلوس دي كتير يا ولدي

رد كامل بقلق مصطنع :

- مش مشكلة الفلوس يا حج ، أهم حاجة نطمن على عبدالعال

رد الأب بقلق وخوف رافعاً يده للسماء :

- جيب العواقب سليمة يارب .... يارب .... يارب

تحرك كامل نحو عوض قائلاً :

- بص يا عوض انت تروح المركز وتبلغهم باللي حصل وتقول لسيادة المأمور إن الموضوع ده تبعي أنا شخصياً

وبهمس قال كامل لعوض :

- زي ما فهمتك

- تحت أمرك يا سعادة البيه

- يالاه بينا يا حج نتمشي يمكن نعرف حاجة كده ولا كده

بلهفة وحيرة وحزن ينهض الأب قائلاً :

- يارب .... يارب ... أنا مليش غيره يارب ... يارب

في منزل عبدالعال جلس كامل بعدما أحضر معه الكثير من متطلبات المنزل والكل حوله فقال :

- إن شاء الله خير يا جماعة ، أنا وصيت مأمور المركز وهما شغالين ليل نهار بيدوروا عليه

قالت الأم بنبرة حزينة :

- يسمع من بقك ربنا يا بيه .... يارب

وبينما هم كذلك دقَّ الباب ففتح الوالد بسرعة فوجد حسان مأمور المركز فقال الأب مرحباً :

- اتفضل يا بيه ، اتفضل

دخل المأمور وفي وسط ملايين التساؤلات قال :

- أنا مش هطول عليكم، بس عاوز أتكلم معاكم شويا

- وماله يا بيه ، اتفضل

دخل المأمور حتى توسَّطَ الجميع وقال :

- بصوا يا جماعة، عشان تساعدونا لازم أي حد عارف حاجة يقولها، ده عشان نوصل لحل بسرعة

مؤيداً لكلمات المأمور قال كامل :

- طبعاً ... طبعاً يا جناب المأمور

دار المأمور في أعينهم وقال :

- مين آخر حد شافه

وهنا خرجت رحمة من حجرتها وتعلقت أنظار الجميع بها فابتسم كامل لرؤيتها ابتسامة استطاع أن يخفيها لعدم مناسبتها للموقف، اقتربت رحمة من المأمور وقالت :

- أنا يا حضرة المأمور ، يومها قاللي رايح مشوار تبع كامل بيه ..

وأشارت على كامل وكأنها تتهمه ، فواصل المأمور أسئلته قائلاً :

- كان معاه حاجة ، كان متوَتِر ، كان خايف من حاجة، محستيش إنه كان في حالة مش طبيعية

- لا أبداً ، كل اللي كان معاه شنطة وكان بيقول إن فيها حاجة تبع الشغل

- كان فيها إيه الشنطة دي

- معرفش ، ومرضيش يقولي فيها إيه

هنا تدخل كامل في الحوار قائلاً :

- كان فيها ٢٠ ألف جنيه

ظهرت علامات الدهشة على الجميع فالمبلغ حين ذاك كان كبيراً جدا فتسائل المأمور باهتمام :

- طب وهو كان يعرف إن الشنطة دي فيها فلوس، وإن فيها المبلغ الكبير ده

رد كامل بثبات :

- أكيد ... أُمال هديله شنطة فيها مبلغ كبير زي ده من غير ما أقوله

- طب حد تاني كان يعرف إنه معاه المبلغ ده

تصنع كامل أنه يفكر قليلاً ثم قال :

- مفتكرش

فرك المأمور ذقنه بيده وصمت قليلاً ثم قال :

- ما هي حاجة من اتنين ، الأولى إنه يكون طمع في الفلوس وهرب بيهم

قاطعته رحمة بحدة قائلة :

- إيه اللي بتقوله يا بيه ده ، أبو علاء عمره ما يبص لقرش حرام

وأكَّدَ الوالد كلامها قائلا :

- أيوه يا بيه ، ولدي ميعملش حاجة زي دي

- ثم قال كامل محاولاً كسب ثقتهم :

- فعلا يا سيادة المأمور ، عبدالعال من أول ما اشتغل عندي مشفتش منه حاجة وحشة ، وكنت بآمنه على مبالغ كبيرة ويمكن أكبر من كده ومشفتش منه حاجة زي كده ...

حينها وقف المأمور ودار حول الجميع قائلاً :

- يبقى كده مفيش غير الاحتمال التاني، ممكن يكون حد كان مراقبه وسرق منه الفلوس أو ممكن يكون لا قدر الله وبعد الشر اعتدى عليه بالضرب كمان وممكن يكون ... قتله

قال المأمور كلمته التي نزلت كالصاعقة على كل الحضور فأكمل متجاهلاً أثر كلمته على الجميع قائلاً :

- عموماً، لو حد عرف أي معلومة، مهما كانت بسيطة لازم يجي يقولهالي ، وأنا هكثف دوريات البحث وربنا يقدم اللي فيه الخير تصبحوا على خير

انصرف المأمور وتبعه الوالد إلى الباب قائلاً :

- وانت من أهله يا ولدي ..

أغلق الباب ثم رجع فوجد الأم تضع يديها على رأسها قائلة:

- مكانش يومك يا ولدي ، كان مستخبيلنا فين ده بس يا ربي

اقترب منها كامل قائلاً :

- اهدي بس يا حجة ، إن شاء الله خير...

تمتمت رحمة بكلمات غير مسموعة :

- منك لله يا وش المصايب انت ، روح يا شيخ ربنا ينتقم منك

نظر إليها كامل نظرة استعطاف ثم قال :

- أنا هستأذن يا جماعة دلوقتي، وأي حاجة يعوزها البيت أن تحت أمركم .

رد الأب ممتناً :

- والله ما عارفين نودي جمايلك دي فين

- جمايل إيه بس يا حج ، ربنا يطمنكم عليه قريب ، وتقعدوا بالعافية

انصرف كامل فأغلق الوالد خلفه الباب قائلاً :

- يارب .... احنا ملناش غيره بعدك ، ده هو سندنا في الدنيا

إلتفت إلى الأم فوجدها تبكي ، جلس بجوارها قائلاً :

- بقولك إيه ... إن شاء الله هيرجع ، بلاش بُكى ، متفوليش ع الواد

صرخت الأم بفروغ صبر :

- الواد ..... الواد راح .... راح .... يا ولدييييي

نزلت دمعة من رحمة حاولت أن تخفيها قائلة :

- شفتوا ..... ياما قولتلكم ... بلاش الشغل مع الزفت ده ...

باستغراب رد الأب :

- زفت .... بعد كله اللي بيعملوا معانا برضه زفت ، ده راجل مفيش لا في أدبه ولا طيبته ، واقف معانا زي ما يكون واحد منينا ، لا ملكيش حق يابتي

ردت رحمة بدموعها التي لم تقف لحظة :

- أقطع دراعي من هنا ، اللي ما كان هوورا المصايب دي كلها

بحيرة رد الأب :

- طب وهو هيستفيد إيه من ده كله

صمتت رحمة مترددة حاولت أن تتكلم فتتلعثم كلماتها فتكتفي بقول :

- معرفش .....

ثم أخذت ولدها في حضنها وضمته إليه فنظر إليها علاء بحب قائلاً :

- هو أبويا راح فين يا ماما ، هو مش هيرجع تاني .

- لا يا ولدي أبوك راجع قريب

- لا انتي بتضحكي عليا ، أنا شفت الراجل وهو بيضربه بالبندقية

انتبه الأب مفزوعاً لكلام الصغير فقال متسائلاً :

- راجل إيه وبندقية إيه يا واد

تذكرت الأم رؤيا الصغير فقالت موضحة :

- ده حلم كان شافه الواد من يومين تلاتة وجه يحكيه لأبوه

عندما سمعت رحمة هذا الكلام أحست بشئ ما بداخل صدرها ، شعرت بأن زوجها ليس بخير ، أخذت وليدها في حضنها وقبَّلته في رأسه وسالت دموعها كالأنهار

*****

مرت ثلاثة أيام على أسرة عبدالعال أو بالأحرى ثلاث سنين ، ثلاث قرون ، الليل مثل النهار ،لا جديد ، كان كامل يأتي كل يوم حاملاً كل ما يحتاجه البيت ويجلس يواسيهم قليلاً ثم ينصرف ، مرت الدقائق عليهم كالسنين ، لم يذق أياً منهم طعماً للنوم ، فقدوا شهية الطعام إلا بعض لقيمات يقيموا بها أصلابهم .

كانت رحمة الأكثر تأثراً وحزناً بغياب رجلها ، بغياب حياتها ، كانت دائماً تحتضن طفلها الصغير لا يفارقها أبداً في نومه قبل يقظته ، وكأنها تحتمي به وتحميه مِنْ ماذا لا تدري.

وفي ظهيرة اليوم الثالث كان كامل كعادته يجلس في منزل عبدالعال حين سمعوا طرقاً شديداً على الباب ، فأسرعت الأم نحو الباب وفتحت فإذا بـ عوض واقفاً يلهث كأنه كان يجري فطلب الإذن بالدخول ودخل فتتعلق جميع الأنظار به ، وقف أمام كامل قائلاً :

- جناب المأمور بعت عسكري لجنابك وقال إنه عايزك ضروري

هزَّ كامل رأسه موافقاً وصرف عوض بيده ثم قال للجميع :

- إن شاء الله تكون أخبار حلوة ، أنا هروح ولو فيه جديد هاجي أبلغكم .

بسرعة وقف والد عبدالعال قائلاً :

- استنى يا ولدي أنا هروح وياك

أوقفه كامل قائلاً :

- لا خليك مرتاح انت يا حج، أنا هروح ولو فيه حاجة هبقى أرجعلكم تاني

معترضاً رد الأب :

- لا ... مش هينفع ، أنا هاجي معاك ، معلش يا ولدي تاعبينك معانا

رد كامل بيأس :

- على راحتك يا حج

خرج كامل وخلفه الأب وركبا السيارة وجلس عوض خلف عجلة القيادة وتحرك بالسيارة بسرعة في اتجاه قسم الشرطة

في حجرة مكتب المأمور جلس المأمور على مكتبه ودخل عليه كامل وخلفه والد عبدالعال فسلَّم المأمور عليهما قائلاً :

- اتفضل يا كامل بيه استريح ، اتفضل يا حج

جلس كامل والأب على الكرسيين المقابلين للمكتب ورد الأب بامتنان :

- يزيد فضلك يا بيه

مظهراً بعض الاهتمام تكلم كامل قائلاً :

- خيريا حضرة المأمور بلغوني إنك عايزني

تنهد المأمور قائلاً :

- والله يا جماعة مش عارف أبدا الكلام منين، بس جاتنا إخبارية إنهم في المركز اللي جمبينا ووجدوا جثة طافية على وش الميه في الترعة الرئيسية ، ولما سألنا عن أوصافها كانت قريبة جداً من أوصاف المُتغَيِّب ، عشان كده انتوا هتيجوا معايا في مشوار صغير يمكن تتعرفوا على الجثة .

رصاصة أطلقها المأمور أصابت قلب الأب ، جعلت الدنيا تدور من حوله ، قال بلسان ينطق وكأن عليه حجر :

- جثة ... جنابك بتقول جثة ، يعني ولدي مات ... عبدالعال مات ... لأ .... أكيد لا ... مش هو ....

حاول الأب أن ينهض ولكنه ترنح ووقع على الكرسي مرة أخرى فجرى إليه كامل وأمسك به قائلاً :

- اهدى يا حج .... اهدى يا حج ... إن شاء الله مش هوَّ..

أغمض الوالد عينيه وتسارعت أنفاسه حاول كامل تهدئته قائلاً :

- يا حج ... انت كويس .... أوديك المستشفى

فتح الأب عينيه قائلاً بصعوبة :

- أنا كويس .... أنا كويس .... لا مش كويس .... مش كويس ... ليه كده يا رب .... أنا مليش غيره ... ده ابني وسندي ... وحياتي ... عنيا اللي بشوف بيها

بكى الأب بكاءاً حاراً ، فاقترب منه كامل ووضع يديه على كتفيه قائلاً :

- وحد الله يا حج، انت راجل مؤمن مش كده ، متعملش كده في نفسك ، اجمد عاد ، وبعدين ده قضاء ربنا وقدره ومحدش ليه يد فيه ، قوم بس أنا هخلي عوض يروحك وأنا هروح مع المأمور

تحامل الأب ليقف قائلاً :

- لا يا ولدي احنا تعبناك معانا قوي، خليك انت مرتاح وأنا هروح مع جناب المأمور

رد كامل :

- عيب عليك يا حج اللي بتقوله ده ، ع العموم مش وقته دلوقتي الكلام ده ، خليك انت مرتاح وأنا هروح .

قطع المأمور كلام كامل قائلاً :

- من الأفضل برضه إن الحج يكون موجود معانا، يالاه بينا يا جماعة عشان منتأخرش أكترمن كده

*****

في بيت عبدالعال وعلى صرخة الأم حين بُلِّغت بخبر موت ابنها الوحيد ، خرجت رحمة مفزوعة من حجرتها فوجئت بالكل حزين والأم تبكي وتصرخ وتولول ، انتابتها حالة غريبة، لا تدري بماذا قالت أو تفوهت ؟ ابتسمت ابتسامة حزينة ودموعها وجدت الطريق إلى فمها قائلة :

- انتو بتهزروا صح ، عايزين تعرفوا هو غالي عندي قد إيه

ذهبت إلى حماها وأمسكت به من كتفيه قائلة :

- قولي إنك بتضحك علي ، قولي إن عبدالعال لسه ماماتش، انتوا بتضحكوا عليا صح

خفض الأب رأسه آسفاً دون أن ينطق بشئ ، ذهبت رحمة إلى كامل وأمسكته من جلبابه بقوة وقالت :

- انت السبب ... منك لله ... انت السبب .... انت اللي قتلت عبدالعال

بسرعة أمسك بها الأب وخلَّص كامل من بين يديها ، فجلست على الأرض واضعة كلتا يديها على رأسها وتصرخ قائلة :

- لا .... يا عبدالعال انت قولت إنك مش هتسيبني تاني ، هتسيبني ليه ، هتسيبني لمين ، أنا مليش غيرك ، طب ولدك مين هربيه غيرك ، يا عبدالعال ... يا عبد العال .... راح السند .... راح الضهر.... الضهر اتقسم ياماااااااااا ...

واختفت في نوبة بكاء هيستيرية وشاركهتا في صراخها حماتها قائلة :

- يا ولدي ..... يا سندي ..... لسه صغيرع الموت يا ولدي.

اقترب منهما كامل وجلس على ركبتيه قائلاً :

- عبدالعال ماماتش ... عبد العال حيّ قدامكم أهو .... ربنا خد منكم واحد واداكم واحد مكانه .... وأنا أوعدكم عمري ما هقصر معاكم في حاجة ، اعتبروني أنا عبدالعال .

نظرت إليه رحمة باشمئزاز وحزن وبصقت على وجهه وانخرطت في نوبة بكاء وصراخ هي وحماتها مرة أخرى وقامت ودخلت حجرتها وأغلقتها عليها

مسح كامل وجهه بيده ولم يرد بأي شئ ، ونهض فاقترب منه الأب لينقذ الموقف قائلاً :

- معلش يا ولدي ، غصب عنها ، امسحها فيَّ أنا

متصنعاً الحزن رد كامل قائلاً :

- معاها عذرها طبعاً ، أنا همشي دلوقتي ، وأرجوك لو محتاجين حاجة تطلبها على طول ، وأنا هبقى أشقر عليكم من وقت للتاني .

مدَّ الأب يده مصافحاً كامل قائلاً :

- والله يا ولدي أنا مش عارف أقولك إيه ولا أودي جمايلك دي كلها فين

ربت كامل على كتف الأب قائلاً :

- يا حج جمايل إيه بس وبتاع إيه ، أنا حسيت في الفترة الأخيرة دي إني واحد م العيلة دي ، عبدالعال ربنه بعته من جديد في صورتي أنا عشان انت بس راجل طيب ، والله دي حقيقة مش كلام وبس ، والأيام هتثبتلكم ده

رد الأب ممتناً :

- روح يا ولدي ، ربنا يديك على قد نيتك وعملك

انصرف كاملاً قائلاً :

- اتمسو بالخير يا جماعة ، سلامو عليكو

خرج كامل وخلفه آلاف التساؤلات حول كل تصرفاته الغريبة التي يفعلها مع تلك العائلة ، لماذا هم بالذات ؟ ما سر ذلك التحول المفاجئ في شخصيته ؟.

قالت الأم بصوت قد ظهر عليه التعب من آثار النحيب والبكاء :

- والله فيه الخير كامل بيه ، مش عارفين من غيره كنا هنعمل إيه ، ربنا يبارك فيه ويزيده من نعيمه .

جلس الوالد على الكنبة قائلاً :

- أي والله ابن أصول صحيح، حاجة مكنتش ع البال ولا ع الخاطر، بقى كامل بيه يا ناس يطلع منه كل الخير ده ، حاجة تطير النفوخ ، طب ليه ... وعشان إيه؟

وهنا خرجت رحمة من حجرتها قائلة :

- يااااه ... كل ده ولسه معرفتوش ليه ، كل ده ولسه مفهمتوش ، كل اللي بيعمله اللي اسمه كامل ده انتو دفعتوا تمنه غالي قوي ، بس انتوا مش واخدين بالكم ...

تساءل الوالد بحيرة :

- تمن ...تمن إيه؟! هو احنا حيلتنا حاجة عشان ندفعها، متوضحي كلامك يا بتي ...

ابتسمت رحمة ابتسامة ساخرة حزينة قائلة :

- لا ... كان عندنا أغلى حاجة في الدنيا

ثم مسحت دمعة كادت أن تسقط منها وأردفت :

- للأسف راحت مننا ، عايزين تعرفوا إيه هو التمن ، تمن المعاملة الحلوة ، تمن كرمه الزايد معاكم ، تمن كل حاجة بيعملها معاكم .

ثم سكتت لبرهة فتتعلق أنظار الجميع بها ، فأكملت لتطرق على الحديد وهو ساخن :

- التمن كان عبد العال ، اللي دمه راح هدر ، ويمكن اللي بيعمله ده تأنيب ضمير ولو إن اللي زي ده معندهوش ضمير أصلاً

بغضب وقف الوالد ثم اتجه إلى رحمة قائلاً :

- انتي شكلك الصدمة أثرت عليكي ، ومش واعية للكلام اللي بتقوليه

ردت رحمة بنفس نبرة الحزن التي تكسو وجهها :

- لا .... واعية وفاهمة كويس ، انتوا اللي مش فاهمين ومش عايزين تفهموا

وقفت والدة عبد العال وأمسكت رحمة من يدها وزجرتها بعنف قائلة :

- وبعدين معاكي انتي، احنا فينا اللي مكفينا، مش ناقصين كلامك الماسخ ده.

ثم دفعتها ناحية حجرتها قائلة :

- روحي اقعدي جنب ولدك ونقطينا بسكاتك

دخلت رحمة حجرتها مرة أخرى وأخذت ابنها في حضنها ، حاولت أن تقاوم دموعها ولكن بلا فائدة ، كالعادة غلبتها دموعها وهطلت بغزارة ، تبكي حبيبها ... تبكي مصيرها هي وابنها ... المصير المجهول الذي ينتظرها ، تبكي عندما تتذكر هذا الظالم وهو ما زال يعترض حياتها ، كانت تحتضن ابنها بشدة كلما تذكرت كامل ، كانت تخشى على ابنها منه أيضاً ، فهو كل ما تبقي لها من رائحة والده .

مرت ثلاثة أيام ، تولَّى كامل جميع مصاريف العزاء والصوان ، كلَّف أفضل القراء ليقرأون في العزاء ، كان يجلس يومياً في صوان العزاء من الصباح إلى آخر اليوم مع والد عبدالعال ، كان يرفض الذهاب إلى منزله إلا بعد انصرف آخر الرجال المعزيين ، أيضاً وصى عوض أن يشتري يومياً جميع مستلزمات المنزل ويحملها إلى منزل أسرة عبدالعال .

انتهت أيام العزاء الثلاثة ، ومر أسبوع أيضاً وما زال كامل يزور منزلهم يومياً ، ومعه جميع متطلبات المنزل ، كانت رحمة تتعمد ألا تظهر أمام كامل حينما يكون موجوداً بالمنزل ، لم تدع له فرصة كي يراها ، كانت تخشى لقائه ، كانت تخاف منه ، لا تعلم لماذا ؟ ولكنها كانت تخاف .

في أحد الأيام بعد انصراف كامل من المنزل خرجت رحمة من حجرتها غاضبة وقالت بصوت عالي :

- أنا عايزة أعرف الموضوع ده آخرته إيه ، لحد امتى هنفضل نمد إيدينا للي اسمه كامل ده وناخد منه الرحمة اللي بيتكرم بيها علينا ، الموضوع كده زاد عن حده وكلام الناس واعر

قاطعتها الأم قائلة :

- وانتي مالك انتي ...

قاطعها الأب بحزم قائلاً :

- استني يا أم عبدالعال ، رحمة عندها حق في كل اللي قالته ، كامل بيه عمل اللي عليه وزيادة ، كفاية قوي لحد هنا .

ردت الأم بحسرة :

- حد يسد الباب في وش الخير ، الراجل ربنا يباركله حاسس بينا ، ومش مقصر في حاجة يكون جزاته كده ، إننا نظن فيه الظن السوء

قاطعتها رحمة بحدة :

- والناس تقول علينا إيه لما تشوفه كل يوم داخل شايل وطالع فاضي .

ردت الأم بنفاذ صبر:

- يقولوا اللي يقولوه ، واحنا مالنا ومال الناس .

قاطعها الوالد بصوت هادئ :

- لا ... ازاي اللي بتقوليه ده ، الناس بالناس برضه ، وأنا لما يجي كامل بيه إن شاء الله هكلمه في الموضوع ده .

ضربت الأم رأسها بيديها قائلة :

- انتوا أحرار، شكلكم مش وش خير، طول عمركم فقريين

قالت كلمتها ثم دخلت حجرتها وهي تغلق الباب بشدة ، نظرت رحمة إلى باب الحجرة بانتصار لأول مرة كلمتها يوافق عليها الجميع وينفذونها ويقررون بصحتها ، تنهدت في راحة لا تعلم ما سببها ، قد تكون لانتصارها أو بالأحرى لأنها ربما لن ترى كامل ثانية . وبالفعل في اليوم الذي يليه جاء كامل كعادته وقد أحضر للمنزل ما لذَّ وطاب ، وكل ما يحتاجه المنزل ، جلس أمام الوالد الذي كان ملازماً للصمت ، مما آثار دهشة كامل فهو لم يعتاد على مثل هذه المعاملة منه ، جلسا لبضع دقائق في صمت ، كان كامل في حيرة لا يدري ما الأمر والوالد لا يدري بما يبدأ كلامه حتى قطع كامل لحظات الصمت قائلاً :

- خيريا حج ... مالك ... فيه إيه ... انت شكلك كده عاوز تقول حاجة

تنهد الوالد واعتدل في جلسته قائلاً :

- في الحقيقة مش عارف أبدأ كلامي منين، بس أنا متأكد إنك هتقدركلامي

ظهرت علامات عدم الارتياح فقال :

- قلقتني يا حج ، اتكلم على طول .

أطلق الوالد تنهيدة طويلة قال بعدها :

- في الحقيقة يا ولدي احنا تقلنا عليك الفترة اللي فاتت وتعبناك معانا قوي ، وكل اللي انت عملته معانا في الفترة اللي فاتت ، وجمايلك دول فوق راسنا من فوق . بس لحد هنا وكفاية ، احنا بنعفيك من تعبك ومشوارك كل يوم

ظهر على وجه كامل أمارات الغضب والحزن فأكمل الوالد كلامه قائلاً :

- متزعلش مني يا ولدي ، احنا خايفين عليك .

بحزن رد كامل :

- خايفين عليا من إيه ، ومن مين ؟

قاطعه الوالد قائلاً :

- أحب على يدك افهمني يا ولدي ، كلام الناس واعر ، وأنا مقبلش حد يقول علينا أوعليك نص كلمة .

وقف كامل قائلاً بغضب :

- كلام إيه يا حج ، متتكلم بصراحة .

وقف الوالد وأداروجهه متحاشياً النظرفي وجه كامل قائلاً :

- بص يا ولدي م الآخر كده، احنا مش هناخد منك حاجة تاني ، وكفاية قوي اللي انت عملته عشان خاطرنا ، احنا معانا دلوقتي واحدة أرملة ومش عايزين حد يتكلم عليها ربع كلمة .

تحرك كامل حتى وقف مقابلاً له قائلاً :

- قطع لسان اللي يتكلم ربع كلمة على أم علاء ، طب قولي مين اللي اتكلم وأنا أمحيه من على وش الأرض خالص .

وعلى هذه الكلمة انفتح باب أحد الحجرات فالتفت الاثنان إليه ، فوجدا رحمة تخرج وعلامات الغضب على وجهها فقالت :

- آه طبعاً ، ما هو اللي عملها مرة ممكن يعملها تاني .

رمقها كامل بنظرة دهشة مصطنعة قائلاً :

- قصدك إيه يا أم علاء .

هزت رحمة قدمها توتراً ، كانت تريد أن تمنح نفسها القوة والطاقة كي تستطيع مواصلة هذا الحوار فقالت :

- قصدي انت عارفه كويس وبلاش نِفَتَّح في مواضيع أحسنلك إنها تموت .

بعدما انتهت من كلامها دخلت بسرعة حجرتها قبل أن يرد أحدهم على كلماتها ، وبعدها انصرف كامل غاضباً دون حتى أن يلقي التحية ، فجلس الوالد على الكنبة ضارباً كفاً بكف قائلاً :

- أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه .

*****

جلس كامل في حديقة منزله سارحاً لا يدري ماذا يفعل ؟ يالها من عنيدة تلك الـ رحمة ، لكنها يحبها ... يريدها ... لن يهدأ له بالاً حتى يمتلكها ، كان يصبر نفسه بذلك ، كان يُمني نفسه بقرب وصالها ، ستكون له قريباً ، ملكه وحده . هكذا كان

يقول لنفسه يعزيها ويصبرها ، وبينما هو في سرحانه إذا بـ عوض قادماً عليه من بعيد قائلاً :

- مساء الخير على جنابك .

رمقه كامل بنص نظرة ولم يرد فأكمل عوض كلامه :

- حاسبت المقرئ ، والرجالة اللي نصبوا الصوان شالوه بس

سكت عوض قليلاً ليلفت انتباه كامل الذي بدوره إلتفت إليه ، ثم أشار برأسه لكي يكمل عوض الكلام فقال :

- أنا وديت الحاجة لبيت الحج عبد الرؤوف، بس الغريب لما روحت فتحتلي الست أم علاء ، لسه بقول الحاجة دي باعتهالكم كامل بيه قامت قافلة الباب في وشي وقالتلي أبلغ جنابك كلمتين .

- اعتدل كامل عند سماع تلك الكلمات من عوض فأكمل عوض قائلاً :

- بتقول لجنابك إنهم مش عايزين حاجة من ...

ثم سكت متردداً فأكمل بخوف :

- من وشك

نظر إليه كامل بغضب فقال عوض بسرعة :

- لا مؤاخذة جنابك، أنا قلت اللي قالتهولي بالظبط، راحت بعدين قافلة الباب في وشي دي رزعت الباب رزعة بغيظ تقولش قاتلينلها قتيل .

وقف كامل غيظاً وأشار لعوض بالسكوت قائلاً :

- خلاص يا زفت الطين ، نقطنا بسكاتك وغور شوف نفسك رايح فين .

انصرف عوض من فوره دون أن يتفوه بشئ ثم قال في سره :

- عندها حق، ما احنا فعلاً قاتلينلها قتيل ، طول عمري كنت بسمع عن اللي يقتل قتيل ويمشي في جنازته ، مسمعتش قبل كده عن اللي يقتل القتيل وياخد عزاه .

ضرب عوض كفاً بكف بحيرة وقال :

- حسبي الله ونعم الوكيل فيك ، معاكي ربنا يا أم علاء

مرت سبع أيام وثماني ليال ، كان كامل يحسبهم بالدقائق والثواني ، يفكر ماذا يفعل ؟؟ كيف سيحصل عليها ؟ كيف يقترب منها ؟ كيف ينل رضاها ؟

في اليوم الثامن وجد كامل نفسه أمام المنزل يطرق الباب مرة ثم مرتين ولا مجيب ، همَّ بالانصراف ولكن شيئاً جعله يقف مكانه ، وجد الباب ينفتح قليلاً وأطلت رحمة بوجهها وحين رأته أغلقت الباب بسرعة ولكنه ضغط على الباب بيده قائلاً :

- ازيك يا أم علاء .

ردت رحمة بكلمات لا تريد أن تخرج من فمها :

- نحمد ربنا ونشكر فضله ، خير يا كامل بيه عايز حاجة .

نظر في عينيها فخفضت وجهها أرضاً فقال لها :

- طب ينفع الكلام ع الباب كده ، مفيش اتفضل

ردت باستنكار:

- لا مفيش، محدش في البيت غيري أنا وعمتي، مش هينفع ندخل حد غريب

بخبث نظر إليها بنصف عين ثم قال :

- هو أنا غريب برضه ، ده أناااا ...

قاطعته رحمة بسرعة :

- انت اللي يتمت ولدي، انت اللي حرمتني من ضهري وسندي في الدنيا دي ، عرفت انت مين ، ولا أقولك ... مش نافع كلام تاني في الموضوع ده ، خلص الكلام يا بيه ، روح لحالك وسيبنا في حالنا ، الله يسامحك

همَّت رحمة بغلق الباب ، فوضع يده عليه قائلاً :

- لا يا رحمة ... اتكلمي ، قولي اللي نفسك ، أنا عاذرك ... بس قسماً بربي أنا مليش ذنب في اللي حصل لجوزك ، ولا أعرف إيه اللي حصل أصلاً ، أنا مستاهلش منك كل ده ، أنا بحبك وعايز....

قاطعته رحمة قائلة بغضب :

- بتحبني ... انت عمرك ما تعرف تحب ولا تعرف يعني إيه حب ، انت متعرفش غير الظلم والجبروت ، انت معندكش ضمير ولا قلب عشان تحب بيه ، متعرفش غير الظلم والقسوة ، مصلحتك ونزواتك رقم واحد عندك وف داهية أي حاجة تانية ، والغريب بعد ده كله جاي وبتقولي إنك بتحبني ، والمفروض أنا أعمل إيه مثلاً ، مش كفاياك لحد هنا يا بيه ، انت عايز منينا إيه ؟؟

برقة وضعف لأول مرة يظهرا على وجهه قال :

- عايز أتجوزك

ضحكت رحمة ضحكة ساخرة عالية جداً ثم قالت :

- لا جديدة دي، دي مين دي الهبلة اللي ترضى تتجوز اللي يتِّم ولدها وقتل جوزها ، اللي حرمها من الأمان

أخرج كامل نفساً حاراً من صدره كاد أن يحرقها قائلاً :

- برضه ، لسه مصممة إني أنا اللي قتلت عبدالعال ... والله ...

قاطعته رحمة قائلة :

- كداب ، مهما هتحلف كداب ...

أغلقت الباب في وجهه وأسندت ظهرها إلى الباب علَّه يسندها حتى لا تقع ، نزلت منها عبرتان حارقتان كأنهما من جهنم ، وصلت العبرتان إلى فمها فتذوقتهما بمرارة ، ثم شعرت بحماتها قادمة عليها ، فمسحت دموعها بسرعة ، لاحظت حماتها وقفتها الغريبة خلف الباب فقالت :

- مالك يا بت واقفة ليه عند الباب كده .

محاولةً التماسك ردت رحمة :

- مفيش يا عمة ، حسيت إنّ الباب خبط ، فتحت ملقتش حد

وتركتها حتى تعفي نفسها من سؤال قد لا تجد له إجابة .

*****

بعدما أغلقت الباب في وجهه اشتاط غضباً ولكنه ازداد إصراراً على أن يمتلكها ، ولكن كيف سيصل إليها وهو بعيد ، بعيد جداً حتى بعد رحيل زوجها ، ما زالت تذكر زوجها ، ما زالت تحبه ، والشيء الذي زاد من غضبه أنها تشك بل ومتأكده أنه من قتل زوجها ، رجع إلى منزله يجر أذيال الخيبة والحسرة ، كالعادة صدته ونهرته ، كالعادة لم تقل له كلمة تبلل ريقه الظمآن ، كان يقول لنفسه معزياً ، أنه سيأتي اليوم التي تتنازل فيه تلك الحمقاء عن كبريائها وغرورها وتخضع له ، ولكن متى أو كيف ؟ كان لا يعرف ، لكنه أقسم لنفسه أنه لن يدَّخر جهداً كي يحقق مراده .

وصل إلى بيته أخيراً ، وجلس في حديقة منزله الواسعة في مكان كان قد أُعِدَّ خصيصاً للجلوس فيه ولكن لم يحظى بشرف الجلوس فيه أحد قبل ذلك ثم استدعى عوض الذي جاء مسرعاً وهو يقول :

- اؤمريا سعادة البيه

رمقه كامل بنظرة لم يفهمها عوض قائلاً :

- الطلبات اللي كانت بتروح بيت رحمة تفضل تروح زي ما هي كل يوم وإياك تتأخر عن حاجة

وقف عوض مندهشاً فنظر إليه كامل بغضب فقال عوض :

- بس يا كامل بيه الحج أبو عبدالعال مش بيرضى ياخد مني حاجة وآخر مرة شتمني وبهدلني

نظر إليه كامل بغضب وقال مهدداً :

- كلامي يتسمع ويتنفذ ...

أذعن عوض للأمر قائلاً :

- أمر جنابك

انصرف عوض وتركه في تفكيره وحيرته ، كان لا يصدق ما هو فيه ، كامل الذي كان قبل أن يفكر في شيء يجده أمامه ، يقف هكذا عاجزاً أمام تلك الـ رحمة ، يالها من غريبة .

جمع شتات تفكيره فخطرت له فكرة استحسنها عقله ، ألا وهي أن يبعث لها من يستطيع أن يؤثر عليها أن يقنعها أن تتنازل عن تلك الفكرة التي تسيطر على تفكيرها ، وبالفعل في اليوم التالي كان قد تكلم مع إمام الجامع الأكبر في القرية أن

يذهب ويكلم رحمة بنفسه ولكن الإمام أيضاً فشل ، حتى عمدة القرية قد ذهب إلى رحمة يطلب منها أن توافق على الزواج من كامل ولكنه أيضاً رجع بخفي حنين ...

كانت رحمة رافضة مبدأ الزواج بعد موت عبدالعال من أي شخص مهما كان ، وكان رفضها لذلك الجبار المتكبر أشدّ ، خاصةً وأنها متأكدة وعلى يقين تام أنه هو من دمَّر حياتها وبثَّم ابنها وحوَّل حياتها من الحياة السلسة البسيطة التي تغمر جوانبها السعادة إلى جحيم متواصل .

كان رد رحمة على جميع خطابها – الذين يتوسطون لكامل طبعاً – بأنها لم ولن تتزوج بعد عبدالعال ، فقط سوف تعتكف على رعاية وتربية ابنها الذي كانت ترى فيه والده ، ترى فيه حياتها ، ترى فيه السبب الذي يجعلها تعيش بعد وفاة عبدالعال .

مر شهر على رحيل عبدالعال والحياة في عين رحمة جامدة إلا من بعض المشاعر تجاه ولدها ، كانت تظن أن الحياة ستقف ولكنها طبيعي أن تستمر.

استطاعت رحمة أن تجد عملاً في أحد العيادات التي بالقرية ، حتى تستطيع أن توفر لمنزلها الطعام والشراب حتى لا تجد نفسها في حاجة لما يبعثه كامل .

كان يوم الثلاثاء الذي كرهته من كل قلبها ، كانت ذاهبة للسوق كعادتها لشراء بعض مستلزمات المنزل ، وفي طريقها مرت على المكان الذي رآها فيه كامل أول مرة ، وقفت فيه قليلاً وتذكرت ذلك اللقاء بحسرة وقالت لنفسها :

ياريتني ما كنت طلعت في اليوم ده ، ياريتني ما شفتك ولا شفتني ، ياريت كانت رجلي اتكسرت قبل ما أخطي المكان ده ، آه يا وجعي أنا ياربي ، أنا السبب

ثم جلست في أحد جوانب الطريق، عندما شعرت بدوخة خفيفة ، لم تستطع أن تكتم عبراتها الحارقة ، وبينما هي على ذلك الحال إذ ترى ظل رجل يقف أمامها ،

ترفع بصرها فتجده كامل ، تمنَّت أن تنشق الأرض وتبتلعها ، لم تدري ماذا تفعل ؟ كيف تهرب ؟ تمنَّت لو أن لها جناحين فتطير بهما بعيداً عنه وقبل أن يصل عقلها لحل سبقها كامل قائلاً :

- صباح الخير يا أم علاء

رمقته بغضب ولم ترد وهمَّت بالانصراف من أمامه فأسرع ووقف في وجهتها قائلاً :

- كلمتين .... كلمتين وبس

أخرجت نفساً عميقاً كاد أن يحرق كامل من فرط سخونته ولكنه لم يبالي بها وأكمل :

- انتي ليه بتعملي معايا كده

نظرت إليه باستغراب ودهشة ثم قالت :

- هو مين اللي مفروض يسأل السؤال ده ، لو انت اللي هتسأل يبقى الأولى إنك تسأله لنفسك ، ليه كده حرام عليك ، ضيَّعت أسرة كاملة عشان أنانيتك وجحودك وكِبرك ، روح يا شيخ منك لله ، منك للي أكبر مني ومنك ...

تصنع كامل التأثر قائلاً :

- بلاش تظلميني يا أم علاء ...

برغم الألم الذي يعتصر قلبها استطاعت أن تسرق ابتسامة ساخرة ثم قالت :

- ياااااااااااه ... والله عيشت وشوفت ، كامل بيه بيشتكي من الظلم ، كامل بيه اللي كل الناس بتشكي منه بيقول كده ، لو أنا ظالماك صح ، أهي فرصة تجرب الظلم شويا ، جرب الحرمان شويا ، دوق اللي ياما دوقته للناس

قال لها متوسلاً :

- لحد امتى هتفضلي كده ، امتى هتشيلي الغشاوة اللي عامية عنيكي عن الحقيقة ، امتى هتعرفي إني من يوم ما شفتك وأنا اتعلقت بيكي ومش شايف حد غيرك ، قبل ما أعرف انتي مين ، أنا معملتش حاجة غلط ومش بطلب حاجة عيب ، أنا بطلب إيدك على سنة الله ورسوله

تركها كامل وانصرف فوقفت رحمة مندهشة واصلت ابتسامتها الساخرة وهي تنظر إليه ، كانت تسأل نفسها ، من هذا الذي يتحدث ؟ هل هو كامل ؟ حقاً إنه هو ، كامل الجبار الظالم ، ماذا حدث له ؟ هل فعلا كما يقول يحبها ؟ هل فعلاً الحب يصنع المعجزات ؟ هل استطاع الحب فعلاً أن يغيّر ذلك الـ كامل من الغلظة إلى الرقة من القوة إلى الضعف من العزة إلى الذلة ؟ كامل الذي يقولون عنه أنه لا يملك قلباً بل قطعة حجر ، فجأة هذا الحجر يلين ، فجأة يجد نفسه وبكل أمواله ونفوذه عاجزاً عن امتلاك تلك الـ رحمة ، أحست بالزهو أنها مَنْ فعلت في كامل ذلك ، ولكنه شعور لم يدم طويلاً ، فواصلت طريقها .

يا لسخرية القدر ، هكذا كان يقول أهل القرية ، لقد أصبح كامل ورحمة حديث المجالس والمقاهي في القرية ، الكل يتحدث عن قصتهما وكأنهم روميو وجوليت الصعيد كما أطلق البعض ساخراً ، الكل كان يتقصى الأخبار ، ماذا فعل كامل ؟ من زار رحمة اليوم من طرف كامل ؟ ماذا كان رد والد عبدالعال تجاه مراسيل كامل ، أسئلة كثيرة تتناقلها الألسنة في القرية ، أما عن كامل لم يعبأ بسيرته التي أصبحت على كل لسان ، حتى جاء عوض في ذات مرة وقال له :

- يا سعادة البيه حالك كده ميسرش عدو ولا حبيب

رمقه كامل بنظرة ساخرة ولم يرد عليه فأكمل عوض :

- يا بيه الناس في البلد ملهاش سيرة غيرك ، كفاية يا بيه

اعتدل كامل في جلسته قائلاً :

- ملكش دعوة بكلام الناس وأنا هعرف أرد عليهم كويس بس لما أفوق من اللي أنا فيه ، عايزك دلوقتي حالاً تروح بيت أبو عبدالعال وتقوله إني هروح أشرب الشاي معاه بعد العشا

انصرف عوض مذعناً للأمر دون أن يتفوه بكلمة

*****

في مساء ذلك اليوم جلست رحمة أمام والد زوجها وزوجته تلبيةً لطلبهما ، وقد فهمت سبب هذه الجِلسة ، كانت تعترض وتعترض ، كانا يحاولان بشتى الطرق أن يقنعاها بالموافقة على الزواج من كامل قالت بصوت أشبه بالتوسل :

انتوا بتقولوا إيه ، انتوا متأكدين إنكم في وعيكم ، عايزني أتجوز اللي قتل جوزي ، اللي يتّم ولدي ... إيييييييه ، انتو ايه الفلوس عمت عنيكوا وسدت ودانكوا ، طبعاً ... مهو عرض مينفعش يترفض ، بس يا ترى دفعلكم كام ، هاه قولوا هتبيعوني بكام

ظهر الغضب على وجه الوالد وقال :

- انتي الظاهر بعد موت جوزك محدش عارف يلمك أو يشكمك ، هو انتي هتحبي ولدنا أكتر منينا ، ولا تكونيش فاكرة بس وحدك اللي زعلانة على موت عبدالعال الله يرحمه

أضافت الأم مؤكدة لكلام زوجها :

- الراجل كتر خيره مقصرش معانا في حاجة ، وجاي داخل البيت من بابه وشاريكي ويتمنالك الرضا ترضي

قالت رحمة بغضب بعدما وقفت وأولتهم ظهرها :

- لو آخر راجل في الدنيا ، لا ... برضه لا مهما عمل ، مش هنسى إنه هو اللي قتل جوزي

نفخ الوالد ثم وقف ووقف أمامها وقال لها بهدوء :

- يا بتي ده وهم في دماغك انتي وبس ، تقدري تقوليلي إيه مصلحته إنه يقتل عبدالعال وهو اللي كان ممشيله الشغل عنده

سكتت رحمة لا تدري ماذا تقول ؟ هل تخبرهم بأنه عرض عليها الزواج وهي على ذمة زوجها ؟ هل تخبرهما بأنه كان يعترض طريقه وصرح لها بأنه يريدها في حياة زوجها ، هل سيصدقون ذلك أم سيتهمونها بالجنون ، لم تدري ماذا تفعل ؟ فقط ... واصلت سكوتها فاقتربت منها حماتها قائلة :

- يا بتي فكري بمخك ، انتي هتبقي مرات كامل بيه ، يعني ولدك هيتربى أحسن تربية ، هتبقي في أحسن مكان ، والراجل قاصد خير ولحد دلوقتي مشفناش منه حاجة وحشة ، وظاهر عليه إنه بيحبك قوي ، يعني هيدلعك ويهنيكي ويوريكي اللي عمرك ما شفتيه

حاولت رحمة أن تقاوم دموعها ولكنها فشلت في إخماد النار التي بداخلها فصرخت بعلو صوتها :

- كفاية .... كفاية

وضعت رحمة يدها على وجهها تحاول أن تختفي خلف يديها من جميع نظرات التأنيب ولكن حماتها فاجأتها وأكملت :

- لأ ... مش كفاية ، سيرتك بقت على كل لسان ، ولازم يبقى فيه حد لكل اللي حاصل ده ، لازم تتجوزي كامل بيه عشان تخرصي أي لسان يقول عليكي كلمة كده ولا كده

لم ترد رحمة ، فقط تكفَّلت دموعها بالرد ، وتركتهما ودخلت حجرتها فقالت حماتها وهي تزيد من حدة صوتها حتى تسمعها رحمة بالداخل :

- جاتك داهية وش فقر

بحركة من يده يشير الوالد إلى زوجته :

- بالراحة ع البت، برضه اللي بنطلبه منها صعب، احنا عازينها تتجوز حد وجوزها لسه ميت ملوش شهر ، وكمان الحد ده هي شاكة إنه السبب في موت جوزها

طرقٌ بالباب يسمعاه ففتح الوالد الباب فرأى كامل بالخارج قائلاً :

- مساء الخير يا حج

رد عبدالرؤوف بامتنان :

- يسعد مساك يا ولدي اتفضل

دخل كامل وخلفه عبدالرؤوف بعدما أغلق الباب وجلسا على الأريكة فتدخل الأم قائلة :

- يا ألف نهار أبيض ، ده احنا النهارده زارنا النبي ، البيت نوَّر

رد كامل بامتنان :

- البيت منوَّر بأصحابه يا حجة

بعد ثواني الصمت التي مرت كالسنين على الجميع قال كامل :

- صلوع النبي يا جماعة

رد عبدالرؤوف بقلة حيلة :

- عليه الصلاة والسلام
- خيرفي سلامة
- سلامة في خير
- بص يا حج ، انت طبعاً أكيد عارف أنا جاي ليه النهارده ، أنا مبحبش اللف والدوران ، أنا عايزأحط حد لكل اللي احنا فيه ده ، كفاية لح كده

رد عبد الرؤوف بحزن :

- عندك حق يا ولدي ، الموضوع بس مش بإيدي البت رافضة وأنا مليش حكم عليا

تأفف كامل قائلاً :

- والحل إيه ، أنا مبقتش طايق كلام الناس عليها

تنهد الوالد قائلاً :

- يحلها الحلال يا ولدي

وفجأة خرجت رحمة من حجرتها ووقفت أمامهم صامتة ويدها في وسطها ، كانت تحاول أن تجمع كل قواها والكل كأن على روؤسهم الطير ينتظروا كلامها وكأنهم الشعب الذي ينتظر الخطاب الأولى لرئيسه الجديد ، لم تتركهم كثيراً في حيرتهم فقالت :

- أنا موافقة

أتدرون ماذا قالت؟ موافقة ... موافقة على ماذا ؟ هل حقاً ما قالت وسمعه الجميع كان حقيقي ، أم أنه حلم يقظة ، علت الدهشة الجميع ما بين مصدقين وغير مصدقين ، رحمة لانت أخيراً وأذعنت لرأي الجميع ، وافقت أخيراً على الزواج من العاشق المتيم من كامل ولكنها أطلقت سهم جعلت الجميع يسكتون فقالت :

- موافقة بس بشرط

تعلقت أنظار الجميع بها فأكملت :

- الجواز هيبقى كده وكده يعني صوري ، وهعيش مع ولدي

وقف كامل قائلاً :

- هتعيشي مع ولدك ماشي ده حقك ، إنما أيه حكاية جواز صوري دي

ردت عليه بسرعة :

- أنا قولت اللي عندي وبعد كده مفيش كلام تاني

قالت رحمة كلماتها كطلقات رصاص موجهة لقلب كل الحاضرين ثم دخلت حجرتها دون أن تترك فرصة لأحد أن يرد حتى عليها ، وقف كامل مندهشاً مما سمعه ، لم يجرؤ لسانه على نطق شيء فغادر المنزل وهو يشتعل غضباً من تلك الـ رحمة خبط الباب خلفه خبطة جعلت كل من في المنزل يرتجف ، فضرب عبدالروؤف كفاً بكف وهو يترنح على الكنبة .

*****

مرت بضعة أيام أخرى ولا جديد في حياة رحمة غير أنها تذهب يومياً إلى عيادة الطبيب التي تعمل بها .

في يوم من الأيام فوجئت بالطبيب يخبرها أنها لن تعمل معه مرة أخرى ، حاولت أن تستفسر منه على سبب ذلك ، هل قصرت في عملها ؟ هل الطبيب غضب منها لشئ ما، سألت الطبيب أكثر من مرة وما كان رده إلا أن قال :

الموضوع مش موضوع شغل، انتي ممتازة و ذكية جدا واتعملتي حاجات في اليومين اللي فاتت غيرك بيتعلمها في شهور ، بس ...

قاطعته بلهفة :

- بس إيه ...

دار بظهره للناحية الأخرى متحاشياً النظر في وجهها قائلاً :

- الموضوع أكبر مني ... وخلاص ، معنديش كلام أقوله تاني

نظرت إليه باستعطاف فهز رأسه نفياً ، فهمَّت بالانصراف فناداها قائلاً :

- رحمة ...

إلتفت إليه ببطء فأكمل :

- متزعليش مني ، غصب عني والله ، انتي عارفة إني غريب مش من هنا ، ومش حمل مشاكل في المكان اللي باكل منه عيش ...

هزَّت رحمة رأسها متفهمة الأمر وجرَّت أذيالها وعادت إلى منزلها مبكراً وطبعاً على غير عادتها ، فتحت باب حجرتها ودخلت على صغيرها وجدته مازال نائماً ، طبعت على جبينه قبلة وانخرطت في نوبة من البكاء علها تجد راحتها فيه ، أصبحت الدنيا سوداء ، أيقنت أن كامل يريد أن يحاصرها من كل الجهات ، فهو بالتأكيد من طلب من الطبيب أن يطردها من العمل كنوع من الضغط عليها حتى توافق على الزواج

منه، كانت مع كل لحظة تزداد كرهاً له ، أحست رحمة بشخص يقترب منها فمسحت دموعها بسرعة حاولت أن تتماسك وتعتدل في جلستها فسمعت طرق بالباب فقالت بصوت مبحوح :

- ادخل

انفتح الباب وظهر عبدالرؤوف والد زوجها وخلفه زوجته بنظرات مستفهمة ، كان من السهل عليها أن تعرف سبب هذه النظرات ، كان عبدالروؤف أول من تحدث بهدوء :

- خيريا بتي انتي تعبانة

هزت رحمة رأسها نفياً ، فقالت حماتها بغضب :

- أُمال راجعة ليه بدري من الشغل

رمقتها رحمة بنظرة حزينة ولم تجيبها فاقترب منها عبدالرؤوف وقال برفق :

- طب ما تقوليلنا مالك ، في داهية الشغل ، بس انتي مالك

نظرت إليه رحمة بألم وقالت :

- مفيش ... مفيش ... مفيش

ثم لم تتمالك رحمة وانخرطت في نوبة من البكاء ، نظر عبدالرؤوف إلى زوجته بحسرة وقال :

- اهدي بس يا بتي ، كل مشكلة وليها حل

ردت رحمة بكلمات مختلطة بشهقات متباعدة :

- إلا مشكلتنا احنا ، ملهاش حل

ثم نظرت إلى سقف الحجرة تناجي ربها قائلة :

- يارب ... كفاية يا رب .. أنا مش قادرة أستحمل

ووضعت رأسها على ركبتيها وبينهما كفيها وانخرطت في البكاء بصوت أعلى وأعلى ، اقترب منها عبد الرؤوف قائلاً :

- استغفري ربك يا بتي ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، بس لو ترسينا على اللي حصل معاكي

رفعت رحمة رأسها ومسحت دموعها وقالت :

- الدكتور مشاني من العيادة وقاللي إنه مش هيقدر يشغلني معاه تاني ، ولما سألته ع السبب مرضيش يقولي ، كل اللي قاله إني وجودي في العيادة عنده عامله مشاكل

طبيعي أن نرى علامات الدهشة على وجوه الجميع .. مشاكل .. لمن؟؟ وممن؟؟ ومع من ؟؟ وبعد ثواني من الصمت الذي خيَّم على المكان قالت رحمة :

- أظن دلوقتي الملاك اللي طالعين بيه السما ظهر على حقيقته ، ياما حذرتكم منه ، ياما قولتلكم إنه مش سهل ، محدش سمع كلامي

ردت الأم بغضب :

- كامل ... كامل ... العيب مش منه، انتي لو كنتي سمعتي الكلام من الأول واتلميتي معاه في بيت واحد مكانش ده حصل ، الراجل عمل اللي عليه وزيادة ، وقف جمبينا وساعدنا يوم بيوم وكان جزاته إيه ، تتفي على وشه وترفضي تتجوزيه ، نقول إيه وش فقر طول عمرك ، كان يوم نحس يوم ما شفناكي ويوم ما دخلتي بيتنا

قالت حماتها تلك الكلمات اللاذعة الحارقة وانصرفت ، نظر عبدالرؤوف إلى رحمة بعطف وقال :

- بصي يا بتي، أنا حاسس بيكي وعارف كل اللي جواكي ، ومهما قولت أو عدت ملوش لازمة دلوقتي ، بيدك انتي تريحي نفسك وتريحينا من وجع القلب ده كله ، أنا مش عايز أحملك فوق طاقتك ، بس معنى اللي حصل النهارده إن كامل بيه مش ناوي يسيبك في حالك ، هو شاريكي وبيعمل كده عشانك ، قومي كده استهدي بالله وصلي ركعتين وفكري شويا وشوفي الصالح فين ليكي ولينا ولولدك .

قال الوالد كلماته وخرج وتركها في حالة لا تحسد عليها ، ماذا قال لها ؟ ماذا طلب منها ؟ ما معنى كلامه ؟ هل يقصد المعنى الذي وصل لذهنها ؟ هل يقصد أن ما حدث اليوم هو تهديد صريح من كامل ، وإن كان كذلك ماذا تفعل ؟ هل توافق ؟ هل ستستطيع أن تتزوج من قاتل زوجها ؟ هل هذا هو الحل الوحيد لما هم فيه ؟ ألقت بجسده على سريرها بجوار وليدها ووضعت كلتا يديها على وجهها وقالت بصوت مبحوح :

- يارب .

مرَّ قرابة الأسبوع ورحمة وأهل بيتها حُبساء منزلهم لا يخرجون ولا يزورهم أحد تنفيذاً لأوامر وتعليمات كامل فقد منع كل أهل القرية من التعامل معهم نهائياً ، كان كامل كل صباح يأتي بسيارته ويوقفها أمام باب المنزل ويتركها ويعود مساءاً ليأخذها ، كان كل من يمر عليهم يأسف لحالهم ولكن لا أحد يجرؤ على الاعتراض خوفاً من كامل ، وبالرغم من كل هذا كانت جميع متطلبات المنزل مجابة يحضرها عوض ويضعها أمام الباب وكان الوالد آسفاً يأخذ تلك الأشياء .

في أحد الأيام صباحاً خرج الوالد وانتظر مجئ كامل وعندما لمحه قادم عليه ذهب إليه محدثاً :

- صباح الخير يا بيه

رمقه كامل بنظرة حادة ثم قال وهو ينزل من سيارته :

- صباح النور يا راجل يا طيب

أغلق باب سيارته بشدة جعلت الوالد يفزع في مكانه ويتسمر فأكمل الوالد قائلاً :

- لحد امتى هنفضل ع الحال ده يا ولدي ، مش كفاية لحد كده ، الجواز قسمة ونصيب

نظر إليه كامل بغضب ثم تمالك نفسه محاولاً الحفاظ على هدوءه قائلاً :

- متعودتش أكون عايز حاجة وماخدهاش، وبعدين هو أنا غصبتكم على حاجة

ثم أدار وجهه بعيداً عن عبدالرؤوف الذي بدوره تحرك حتى وقف أمامه مرة أخرى قائلاً بتوسل :

- يا ولدي .....

قاطعه كامل بحدة :

- بعد إذنك يا حج ، أنا ماشي عندي مشغوليات مش فاضي

وتركه كامل وغادر المكان فدخل عبدالرؤوف منزله وهو يشتاط غضباً وأغلق الباب بشدة جعلت كل من في المنزل يخرج من حجرته مفزوعاً فتقول الأم :

- مالك يا حج فيه إيه

جلس عبدالرؤوف على الأريكة محاولاً تمالك أعصابه والتقاط أنفاسه التي بدأت تهرب منه قائلاً :

- أنا زهقت من اللي احنا فيه ، احنا زي ما يكون عايشين في سجن ، ومن غير جناية

جلست الأم بجانبه وربتت على كتفه قائلة :

- معلش يا حج ، منه لله اللي كان السبب

لم تكن الكلمة بحاجة إلى ذكاء شديد حتى تعي رحمة أنها المقصودة من تلك الكلمة فما كان منها إلى أن أخفضت جبينها أرضاً وهي تبحث عن شئ تدافع به عن نفسها من تلك القذيفة التي قذفتها بها حماتها ، فلم تجد شيئا ، فقط ... دخلت حجرتها وأغلقت بابها على نفسها واستسلمت لدموعها التي لم تفارقها لحظة منذ أسابيع منذ وفاة زوجها ، كانت دائما تقول لنفسها يا ليته ما عاد من غربته ، يا ليته كان بعيد ... بعيد ، على الأقل كان سيرجع في يومٍ ما ، لكن الآن عودته أصبحت مستحيلة ، لقد ذهب وتركها لتواجه قسوة الحياة بمفردها مع ابنها الصغير.

وفي خارج غرفة رحمة جلست الأم تحاول تهدئة عبدالرؤوف قائلة :

- ما هي لو مكسورة الرقبة اللي جوه دي وافقت تتجوزه هتريحنا من العذاب ده كله ، والله ما عارفة إيه اللي عاجبه فيها

اعتدل الوالد من جلسته قائلاً :

- وانتي مقدراش بالهداوة كده تميلي دماغها بكلمتين، يا ولية الزن ع الودان أمَرّ من السحر

وبينما هما يتحدثان خرجت رحمة من حجرتها وتتعلق أنظارهما بها فقالت :

- أنا موافقة، عشان مبقاش السبب في اللي انتوا فيه، روح يا أبو عبدالعال وقوله كده، روح قوله هيدفع كام، وابقى شوف انت تقدرني بكام، شوف هتبيع مرات ولدك وحفيدك بكام ، وابقى زود ده راجل غني وهيدفع كتير

وقف عبد الرؤوف مندهشاً :

- إيه اللي بتقوليه ده يا بتي

من مكانها وهي تنظر أسفل قدميها قالت :

- أنا قلت كل اللي عندي ومش هقول حاجة تاني

ثم دخلت حجرتها مرة أخرى ، أغلقت الباب على نفسها تفكر فيما فعلته ، أدركت أخيراً أنها وافقت على .. على ... على ماذا ؟ على حزنها ... على تعاستها ... وافقت أن تتزوج من قاتل زوجها ، الرجل الذي كانت تخاف من مجرد سماع اسمه ، بعد قليل ستعيش معه تحت سقف واحد ، استسلمت مرة أخرى لدموعها ، حاولت أن توقف رأسها عن التفكير ، لكنه أبى إلا أن يزعجها بأفكار غريبة كانت تهز رأسها بشدة لتنفض تلك الأفكار ولكن أبداً يرفض ويرفض ويرفض واستمر في تقليب المواجع عليها .

جلست تتذكر ما حدث لها ، كانت تتمنى أن يكون ذلك مجرد كابوس وستفيق منه قريباً ، تذكرت اليوم الذي رأت فيه كامل تذكرت الحقل ، تذكرت موت عبدالعال ، تذكرت منذ قليل حيث وافقت على الزواج من كامل ، كانت كل ذكرى بمثابة سكين حاد يقطع في جلدها ولحمها بلا رحمة أو هوادة أو شفقة وبينما هي على تلك الحال استيقظ علاء فوجدها تبكي فاقترب منها ووضع يده على كتفها ببراءة ، عندما شعرت به تماسكت قليلاً ومسحت دموعها وإلتفتت إليه وحضنته بشدة قائلة :

- صباح الخير يا حبيبي

رد عليها وهو يقاوم بعض النعاس :

- انتي بتبكي ليه يا ماما

حاولت رحمة اظهار الفرح على وجهها حتى لا يشعر علاء بشيء ثم قالت :

- أنا النهارده جايبالك خبر حلو ، احنا كمان كام يوم هنروح نعيش في بيت أحسن من ده ، وفيه ألعاب وجنينة كبيرة ممكن تلعب فيها

ظهرت على علاء علامات الفرح كأي طفل فقال :

- وجدي وجدتي هيجوا يعيشوا معانا

هزت رأسها نافية وهي تمسح على شعره وقالت :

- لا ... هما هيقعدوا في بيتهم هنا

سكت علاء لبرهة ثم قال :

- طب هو البيت اللي هنروحه ده أحلى من البيت اللي عايش فيه بابا عند ربنا في السما

يبدوا أن علاء ضربها بسكين آخر وأضاف إلى أوجاعها وجعا آخر فتمالكت وقالت :

- لا يا حبيبي بابا ساكن في بيت عند ربنا أحلى من كل بيوت الدنيا دي كلها

هنا وقف علاء على السرير وقال :

- خلاص يبقى أنا عايز أروح عند بابا

فجعتها الكلمة فضمته إلى حضنها وقالت :

- بعد الشر ، بعد الشر عليك يا حبيبي

*****

كان عوض في طريقه للمدينة لشراء بعض متطلبات العرس كما طلب منه كامل ، خطر على باله أن يذهب ليزور أخته فهو لم يراها منذ زمن ، دخل العمارة التي تسكن بها أخته وأمام شقتها طرق الباب كثيراً وما من مجيب ، زاد قلقه وحيرته ففاطمة أخته لم تتعود الخروج من منزلها في هذا الوقت المبكر من اليوم ، جلس على أحد درجات السلم ويبدو أن فاطمة تأخرت عليه فراح في سبات عميق ، لم يدر كم من الوقت مر عليه وهو نائماً ولم يشعر بنفسه وإلا ويد فاطمة تهزه برفق وهي تحمل ولدها بالتبني ، فتح عوض عينيه فقال بعتاب :

- إيه كل ده ، كنتي فين

مدت يدها وأوقفته باسمة ثم أخرجت مفتاح من شنطتها قائلة :

- معلش يا خوي ، الواد كان تعبان وروحت كشفتله في المستشفى

ثم أدارت مفتاح الشقة وفتحت الباب ودخلت قائلة :

- تعالى يا خوي اتفضل يا عوض ، يا ألف خطوة عزيزة

دخل عوض خلفها قائلاً :

- ألف سلامة عليه ، إن شاء الله خير

وحمل عوض عنها الطفل وهو يناغيه فلاحظ القلق على وجه فاطمة وقبل أن يسألها قالت :

- لا شكلها مش خير خالص، الدكتور قلقني، الواد صدره مش مرتاح خالص

وكأن الطفل فهم كلام فاطمة فأراد أن يثبت لعوض صحة كلامها فدخل في نوبة كحة شديدة وتبعتها شنقة ، أحس عوض أن روح الطفل ستخرج في يده ، حملته

فاطمة وأنامته على بطنه فهدأ الطفل قليلاً فقال عوض محاولاً بفشل طمئنة أخته :

- العيال كلها كده ، تلاقيه بس من تغيير الجو ، انتي لسه شوفتي حاجة ، متقلقيش إن شاء الله خير

مرت ساعة وعوض وفاطمة يتحدثان ، حدثها عن كل أخبار القرية وما فيها ، حدثها عن زيجة كامل الأخيرة من رحمة وكيف وافقت على الزواج من كامل ثم ودعها وانصرف .

*****

كان يوماً مشهوداً شهد به كل أهل القرية ، ذبائح كثيرة وهدايا توزع على كل أهل القرية والولائم الممتدة التي لا يُرى لها آخر ، كان كل أهل القرية سعداء بهذا اليوم ، الكل يدعو لكامل وأيضا لـ رحمة ، لم يكن بيت في هذا اليوم إلا وقد أرسل له كامل الطعام الذي يكفي البيت لمدة أسبوع ، تمنى جميع من في القرية أن يتزوج كامل كل شهر بل كل أسبوع أو حتى كل يوم ، كان الكل سعيد الفقير قبل الغني لم يكن أحد حزين في هذه الليلة إلا رحمة التي كانت تعلم أن الليلة هي بداية حياة لا تعلم ملامحها ، حياة مع الشخص الوحيد الذي كرهته من كل قلبها ، حياة مع آخر رجل في العالم كانت تتمنى أن يجمعهما سقف بيت واحد .

شعورها وهي تُجَهَّز لتُزَف إلى كامل قاتل زوجها ، مُدَمِرَ حياتها ، الرجل الذي قلب حياتها رأساً على عقب ، كانت جالسة وحولها العديد من السيدات يرقصن ويغنين ، كانت كالقمر ولكن حوله هالة سوداء تجعل الناظر إليه يأسى على حاله ، كانت ترتدي فستان أبيض ولكن على وجه حزين بائس وعينان تحتجزان شلال من الدموع التي تريد أن تنزل ، ولكن رحمة أبت إلا أن تظهر قوية ، كان الكل يبارك لها

يحسدها ويهنيها ، ولكن هي بحاجة لمن يعزيها فاليوم فقط أحست أن عبدالعال قد مات وماتت معه كل شيء الفرحة السعادة الضحكة بل الحياة ، طلبت منها النساء أكثر من مرة أن تقف لترقص معهن ولكنها كانت ترفض وبشدة ، يا لغباء هؤلاء ... ماذا يطلبون ؟ أيطلبون منها الرقص يا لسخافتهم جميعاً .

مرّت الليلة بسلام، وتم عقد قران كامل على رحمة وانصرف جميع الحاضرون وهم يرددون آيات الشكر والعرفان والمباركة للعروسين ، كان آخر الحاضرون هو عوض الذي همس له كامل في أذنه :

- شهر مكافاة لكل العمال يا ولا

باستغراب رد عوض قائلاً :

- بس ده كتير ده يا بيه

- ملكش دعوة انت ، أنا النهارده أسعد واحد في الدنيا ، القمر بقى في بيتي ، بقى ملكي ، بقى بتاعي

- ربنا يسعدك يا بيه كمان وكمان

بإشارة من يده يصرف كامل عوض قائلاً :

- روح انت، بص أنا في أجازة، لو مهما حصل مش عاوز أشوفك تاني، امشي يالاه

غادر عوض المنزل وهو يضرب كفاً بكف عجباً .

فرك كامل يده في فرحة وسعادة وابتسامة عريضة كست وجهه وصعد الدرج كما طفل صغير يجري بسرعة ليلحق بوالدته التي وعدته بالحلوى ، وقف أمام باب الحجرة وخبط خبطتين ثم فتح الباب فوجد شيئاً جعله يتسمر في مكانه شيئا

جعلت الدماء تتدفق من رأسه ، رأى رحمة وهي جالسة على السرير وتحتضن ابنها ، حاول بقدر الإمكان أن يكظم غيظه فاقترب منها وقال بهدوء :

- مش المفروض إن النهارده فرحنا ، كنتي خلي المحروص ولدك عند جده على الأقل اليومين دول

نظرت إليه قائلة بتوسل :

- احنا اتفقنا إن ابني مش هيفارقني أبداً

جلس كامل بجوارها على السرير وقال بحنان :

- بلاش يا ستي يقعد عند جده أنا مش عامل ليه أوضه لوحده وحاطط فيها كل اللي بيتمناه

- حاضر بس ينام الأول وأنا هوديه أوضته

وقف كامل كاظما غيظه قائلاً :

- خلاص يا ستي متزعليش نفسك

قام ودخل دورة المياه وخبط الباب خلفه خبطةً أثارت الرعب والفزع في قلب رحمة ووليدها، فتشبث الطفل بأمه ونظر للباب بخوف فاحتضنته أمه ومسحت على شعره حتى يطمئن .

في صباح اليوم التالي فوجئ العمال بكامل يذهب إلى العمل وكأن زفافه لم يكن بالأمس، تساءل الجميع ولكن لم يكن أحد يجرؤ أن يسأل أو يتفوه بشيء ، جلس كامل في مكانه المعتاد وخلفه عوض ، حتى عوض لم يجرؤ أن يسأل عندما رأى كامل في حالة لا يُحسد عليه فقال كامل بحنق :

مات في البرية كلباً ..... قلنا ارتحنا من عواه

خلف الملعون جرواً ..... فاق في النبح أباه

وقف عوض مندهشاً ، فهو لم يفهم ما قاله كامل وما يقصده ولم يعرف هل كامل يكلمه أم يكلم نفسه ، نظر إليه كامل فتصنع عوض ابتسامة وقال :

- يعني إيه يا بيه اللي جنابك قولته ده

تنهد كامل وقال :

- طول عمرك حمار

ظهرت على عوض علامات الضجر ولكنه تشجع وسأل :

- مش غريبة دي يا كامل بيه تبقى النهارده صباحيتك وطالع ونازل الشغل بنفسك ، مش جنابك قولت في العشية إنك أجازة لمدة شهر

قال كامل بغيظ ظهر على وجهه :

- نكد عليا الله ينكد على أبوه ، حتة عيل صغير ، نفس رخامة أبوه الله يقحمه مطرح ما راح

هزَّ عوض رأسه متفهماً :

- عشان كده جنابك غزالتك مش رايقة ع الصبح ، معلش يا بيه مسيره هيتعود

- وعبال ما يتعود هفضل كده

وقف كامل ودار حول عوض ثم قال :

- بص يابوز الإخص ، أنا عايزك تاخد الواد كل يوم تفسحه وتعمله كل اللي نفسه فيه تهلكه النهاركله ، وديه المراجيح ، هاتله اللي نفسه فيه ، أهم حاجة يروح بالليل هلكان ينام على طول

- أمر جنابك يا بيه

- من النهارده الواد ده شغلتك

مرَّ أسبوع على رحمة في بيتها الجديد وعلاء بعفويته لم يدع الفرصة لكامل ليقترب منها ، كان كما يقولون كاللقمة في الجوف ، كان يومياً لا ينام إلا في حضن والدته وكان كامل يصبر ويصبر ويصبر على ذلك ، حاول كامل أن يتقرب من علاء حتى يحبه ويثق فيه وفي يوم من الأيام أحضر دراجة صغيرة له ودخل بها عليهما وقال بوداعة :

- ازيك يا كتكوت ، تعالى شوف جيبتلك إيه

بتردد ذهب علاء إلى كامل ووضع يده على الدراجة بفرحة واعتلاها وبدا يمشي بها في الغرفة فقال كامل بهدوء :

- ما تروح تلعب بيها في الجنينة يا علاء ، المكان هناك أوسع وتقدر تلعب فيه براحتك

هز علاء رأسه رافضاً وقال :

- لا أنا هلعب هنا جمب ماما ، ومش هسيبها أبداً

اسشتاط كامل غضباءً من رد فعله ولكن امتلك أعصابه وكظم غيظه ثم قال :

- وماله يا حبيبي براحتك ، لأجل الورد ينسقي العليق

ونظر كامل لـ رحمة فابتسمت لكلماته ، لا تدري لماذا؟ ربما أعجبتها معاملة كامل لعلاء ، وأخفت ابتسامتها عندما لاحظ كامل عليها ذلك قائلاً :

- الصلاة ع النبي ، الحلو تبسم

بحركة فرحة بيده غادر الغرفة راضياً بمجرد ابتسامة منها ، ابتسامة خافت منها رحمة نفسها ، تساءلت في نفسها ماذا تعني تلك الابتسامة ؟ هل هو ضعف ؟ أم أنها بدأت تلين ، نهضت وسارت حتى وجدت نفسها أمام المرآه تنظر إلى نفسها وتحدث نفسها قائلة :

- مش يمكن هو فعلا كويس، وبيحبك، ما تجربي تعيشي معاه وترضي بالأمر الواقع ..

أفزعتها الفكرة ورجعت للوراء خطوتين وهي تشير بعلامة لا بيدها ثم وقفت وتقدمت للمرآه مرة اخرى قائلة :

- وفيها إيه يعني ، أديكي شفتي بيعامل علاء ازاي ، وشفتي الراجل صابر عليه وعليكي قد إيه ، وبيحاول يتقرب من علاء ويحببه فيه

أخذت تنظر لنفسها في المرآه بدون كلام في حيرة من أمرها مترددة فيما تفعل وفيما تقول فسمعت صوت من داخلها يقول :

- الوضع ده اتفرض عليكي ، مش هينفع تكملي حياتك على كده ، الراجل ده بقى جوزك قدام ربنا وقدام الناس كلها وربنا هيحاسبك على معاملته ، غصب عنك أو برضاكي لازم تتعاملي مع اللي حاصل على إنه أمر واقع

رجعت للخلف خطوتين وهي تضع إبهامها الأيمن في فمها وتفكر فيما تقولها لنفسها ثم جلست على سريرها في حيرة .

*****

جلس كامل في مكتبه الخاص في منزله الذي لا يدخله إلاهو ولا يقابل فيه إلا ضيوفه المهمين ، جلس ومعه سعفان بيه .

وضعت الخادمة فنجانيّ القهوة وغادرت المكتب بهدوء فقال كامل :

- والله البيت منور يا سعفان معقولة جاي بنفسك تبارك

رشف سعفان رشفة من فنجانه ثم قال :

- والله يا كامل أنا جاي أبارك وكمان جاي عشان حاجة تانية خالص

بقلق واهتمام ظهرا على وجهه قال كامل :

- خيريا سعفان قلقلتني

بضحكة خبيثة قال سعفان :

- يا راجل متقلقش ... خير ... خير ، بص ... الجماعة كلموني من مصر ، بيقولوا مفيش أخبارجديدة

رجع كامل بظهرللخلف قائلاً :

- والله لسه يا أخويا، مفيش حاجة قدامنا ، انت عارف لو فيه حاجة أنا مش هتأخر

بعد الرشفة الأخيرة وضع سعفان فنجانه قائلاً :

- لا شد حيلك المرة دي ، دي ناس تقيلة وهيدفعوا كتير، كتيرأوي

وقف كامل بحيرة قائلاً :

- الرجالة بتوعنا شغالين بإيديهم وسنانهم ، ومش مقصرين في حاجة ، بس لسه موصلوش لحاجة

وقف سعفان وهويهم بالمغادرة :

- ع العموم أنا حبيت أبلغك بالموضوع عشان تشد حيلك أكتر ، والمرة دي هيشيلوا المقبرة من بابها ، يعني مش زي كل مرة .

بدهشة رد كامل :

- واشمعنا المرة دي هيشيلوا المقبرة من بابها ، ليه مش زي كل مرة هياخدوا الرفايع

- يا سيدي هما حرين، مش هيدفعوا ، احنا مالنا

ضحك كامل بغمزة وقال :

- على رأيك ... احنا مالنا ، خلاص يا سعفان بيه استنا مني تيلفون

فتح كامل باب المكتب وخرج هو وسعفان وفوجئ برحمة تنزل على السلم وهي تلعب مع علاء ولدها ، فرمقها سعفان بطرف عينه فتصعد رحمة مرة أخرى بخجل ، فهمس في أذن كامل :

- هي دي العروسة الجديدة

هزَّ كامل إيجابا فأكمل سعفان قائلاً :

- لا تستاهل بجد اللي انت عملته عشانها ، أنا قولت مش أي واحدة توقع كامل، الله يسهلك، سلام طيب أنا، وابقى بلغ سلامي للعروسة وقلها ألف مبروووووك

ثم انصرف سعفان بعدما ودَّعه كامل على باب حديقة المنزل بعدما ركب سيارته وعاد حيث تجلس رحمة ، فخبط خبطتين قبل أن يدخل ليجدها تجلس على سريرها وعندما رأته وقفت وتحركت إليه خطوتين وقالت :

- معلش والله معرفش إن معاك ضيوف ، عشان كده نزلت

بابتسامة وفرحة قال لها :

- لا عادي ده مش ضيوف ، ده سعفان بيه شريكي ، اتعودي هتشوفيه كتير هنا

قال كلامه واقترب منها ووضع يده على خدها برفق ولأول مرة تستسلم رحمة ليده لم تجزع ولم ترجع للخلف كعادتها ، شعر هو بنشوة كبيرة لذلك حاول أن يقترب منها أكثر ولكن كما يقولون (الحلو ميكملش ) دخل فجأة علاء مسرعاً مما جعل الاثنين يبتعدان عن بعضهما في حرج فأمسك بها علاء من يدها قائلاً :

- ماما ماما ، أنا عايز اكل ، جعان قوي

ربتت على شعره بحنان وقالت :

- حاضر يا حبيبي تعالى أما اعملك أكل

ونظرت لكامل نظرة اعتذار بعينيها ، فابتسم هو لها كذلك ابتسامة الواضح أنها رضا ولكن بداخله سخط الدنيا والآخرة على ذلك الطفل العنيد الذي يذكره بعبدالعال ، خرجت رحمة ومعها علاء وجلس كامل على السرير وهو يخبط ركبتيه بيديه غيظا .

*****

في غرفته كان كامل غارقاً في نومه ، فإذا برحمة تدخل عليه وبرفق توقظه قائلة :

- كامل ... كامل .. كامل

فتح عينيه فوجدها تبتسم فقبَّل يدها قائلاً :

- صباح العسل والحليب المصفي

سحبت رحمة يدها برفق قائلة :

- لا هو لسه الصبح مجاش، بس عوض تحت وبيقول عايزك في موضوع مهم قوي مينفعش يتأخر

نظر كامل في ساعة يده وعندما رآها الساعة الثانية منتصف الليل قام مفزوعاً ف عوض ليس من عادته أن يأتي في هذا الوقت ، نزل إليه مسرعاء قائلاً :

- خير يا عوض فيه إيه

رد عوض بسرعة :

- خير يا باشا وكل الخير كمان

همَّ عوض بالتحدث ولكنه لاحظ وجود رحمة فنظر إليها ففهم كامل ما يقصده فقال له :

- خش المكتب وأنا جاي وراك

أذعن عوض بسرعة للأمر ودخل المكتب وخلفه كامل وظلت رحمة في مكانها مندهشة مما حدث .

- في المكتب كان عوض واقف وكامل يجلس على كرسي يقاوم الباقي من النعاس قائلا :

- ما تنطق يا ولا

تحرك عوض بسرعة حتى وقف بجوار كامل قائلاً :

- الجماعة كلموني هناك ، وقالوا إنهم لقوا البوابة ومحتاجينك تروح عشان يفتحوها قدامك

وقف كامل من الفرحة :

- عفارم عليهم ده لسه سعفان بيه كان من يومين بيستعجلني، احنا هنروح دلوقتي حالاً ، روح اجهزوجهز العربية ، وأنا هطلع أغير هدومي وهنزل

أذعن عوض للأمر مسرعاً وعاد كامل إلى غرفته فوجد رحمة تجلس على سريرها فذهب إليها قائلاً :

- ازيك يا وش السعد

ظهرت على وجه رحمة ابتسامة فقالت :

- يارب دايما ابقى كده ، بس هو إيه اللي حصل

تردد كامل قليلاً ثم قال :

- إيه ... ش... شغل كان متعطل والحمد لله تم ...

ثم ذهب للدولاب وأخرج منه ملابس يرتديها فذهبت إليه رحمة وقالت :

- انت رايح فين في نصاص الليالي ، النهارليه عنين

وأخذت منه الجلباب فقال برفق :

- لا الشغل ده مينفعش يتأخر، أنا مش طول هما يومين وهرجع تاني بسرعة

قالت بحزن واستغراب :

- يومين، تروح وترجع بالسلامة
- الله يسلمك ...

ثم أمسك يدها وقبَّلها ولم تمانع أيضاً وتركت لفمه العنان كي يصول ويجول في يدها ثم في وجهها، ثم احتضنها بحنان و غادر الحجرة للأسفل وانتظر في الحديقة حتى جاء عوض وانطلقا بالسيارة

في مكان أشبه بخندق داخل جبل دخل كامل وخلفه عوض ومعهم ثلاثة أشخاص آخرين استكشافاً للمقبرة التي تم فتحها بالأمس ، سرادق طويل على جانبيه بعض النقوش الفرعونية ثم درج للأسفل ما يقارب من عشرين درجة ، نزل رجل أمام كامل وخلفه كامل والآخرون إلى أن وصلوا إلى مكان أشبه ردهة واسعة وهناك شيء في المنتصف أشبه ببئرماء ثم تحدث الرجل قائلاً :

- يظهركده يا كامل بيه المقبرة دي فاضية

بغضب قال كامل :

- فاضية ازاي يعني
- أهو قدامك يا بيه مفيش حاجة

داركامل في أنحاء الردهة غيظاً وألماً ثم قال :

- معقولة مكان زي ده يكون فاضي ومفيهوش حاجة كده

نطق عوض أخيراً بعد ما خرج من حالة الرعب التي انتابته فهو يكره تلك الأماكن ويخاف منها :

- أو يمكن كان فيها حاجة ، وحد جه نفَّضها

رد كامل مقتنعاً بكلام عوض :

- أول مرة تقول حاجة صح يا بوز الإخص

همَّ الجميع بالرجوع والخروج من المقبرة حينما لاحظ كامل شيئاً بارز من أحد جوانب المكان ، أشبه بعمود رخامي ، وقف أمامه ثم قال لـ (عبود) :

- بقولك إيه يا عبود مش ده عمود ، تحسه كده عامل زي بوابة

وضع عبود يده على العمود قائلاً :

- صح يا كامل بيه ، خد تعالى يا واد انت وهو ، تعالى احفروا في الحيطة دي

- أذعن الاثنان الآخران للأمر وحملا فأساهما وبدأ في نقب ذلك الجدار وبعد قرابة ساعة ونصف من النقب ظهرت ملامح باب خلف الجدار ، ظهرت على الجميع علامات الفرحة ، دخلا الباب فوجدا حجرة ضيقة بها الكثير من النقوش الجميلة وآخرها في الجانب الآخر باب آخر ، فُتح الباب الآخر فوجدوا فيها بعض الأواني والتماثيل والأثاث الذهبي وفي آخر الحجرة باب يؤدي إلى حجرة أوسع والظاهر أنها حجرة الدفن ، اطمأن كامل لما رأى ، فعاد إلى الخارج مرة أخرى وكلف عبود بزيادة الحراسة على المكان حتى يعود ويحمل ما وجدوا ..

*****

في منزل جلال قامت فاطمة في منتصف الليل مذعورة على صوت الكحة الشديدة الصادرة من الطفل الصغير فأوقظته بهدوء قائلة :

- جلال ... يا سي جلال ...

فتح جلال عينيه بالكاد وهو لا يكاد يرى أمامه وقال :

- فيه إيه يا فاطمة ؟

- إلحقني يا أخويا الواد عمال يكح كحة شديدة جداً ومش قادر ياخد نفسه

نهض جلال بقلة حيلة وذهب إلى حجرة الطفل وفعلاً وجده في حالة صعبة من الكحة المتواصلة فرجع إلى غرفته وهو يكلم فاطمة :

- إلبسي هدومك بسرعة هنروح نوديه المستشفى

وبالفعل بسرعة كان الاثنان قد لبسا ما طالته أيديهم من الملابس وذهبا مسرعين إلى المستشفى .

- أمام حجرة العمليات وقفت فاطمة تدعو وتبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يشفيه ووقف جلال بجوارها يواسيها ، فُتح باب الحجرة وخرج منها الطبيب وتبدوا عليه علامات الحزن ، فأسرعت إليه فاطمة قائلة :

- خير يا دكتور

وهو ينظر إلى الأرض قال الطبيب :

- بصوا يا جماعة انتوا ناس مؤمنين، ربنا يعوض عليكم، البقية في حياتكم

سكين مؤلمة تلقتها فاطمة في قلبها المجروح جعلتها تصرخ بأعلى صوتها وهي تقول :

- لا يا دكتور اكشف تاني، أكيد انت غلطان، هو مماتش صح، والنبي اكشف تاني

أمسكت الطبيب من معطفه وبهدوء أبعد الطبيب يدها عن المعطف قائلاً:

- ربنا يصبركم ، بعد إذنك يا أستاذ جلال تعالالي المكتب عشان نخلص باقي الإجراءات

وانصرف الطبيب ، فوقعت فاطمة على الارض مغشياً عليها .

*****

رجع كامل في نفس اليوم هو وعوض فوجد علاء يلعب في الحديقة بالدراجة التي أحضرها له فأشار إلى عوض كي يقترب منه :

- عوض، خليك معاه ، إلعب معاه ، اعمل نفسك حمار بقرة ... أهم حاجة متسيبهوش من إيدك فاهم

هزَّ عوض رأسه متفهماً وذهب لتوه ليلعب مع علاء ، أما كامل فذهب مسرعاً إلى حجرته حيث توجد رحمة ، طرق الباب ودخل فوجدها أمام المرآه تمشط بعض سلاسل الحرير التي تتدلى من رأسها على ظهرها ، فوقف أمام المشهد مذهولاً ، لا يصدق ما يراه ، فرحمة تبهره في كل تصرفاتها وحركاتها ، يبهره كل شيء بها ، حتى سكونها وسكوتها يبهره ، ظل كامل للحظات ينظر إليها فوقفت إليه قائلة :

- حمد لله ع السلامة ، متأخرتش يعني ، مش قولت يومين وراجع

ومدت يدها تنزع عنه عباءته فقال لها بغناء (أم كلثوم ) :

- مقدرتش اصبر يوم على بعده ، ده الصبر عايز صبر لوحده

ابتسمت من طريقة في الغناء على الرغم من صوته الخشن وقالت:

- هروح أحضرلك عشا بسرعة ، تلاقيك جعان

همت بالانصراف فأمسك بها قائلاً:

--عشا إيه بس، أنا ما صدقت الواد بره مشغول عايزين نقعد مع بعض شويا

أجلسها بجانبه على السرير وبدأ يمسح على شعرها بيده ، وفجأة سمعا صوت علاء يصرخ بالأسفل ، نهضت رحمة مفزوعة ووضعت شالاً على رأسها وجرت على وليدها ، وجلس كامل مكانه يلعن ذاك اليوم الذي دخل فيه هذا الصغير البيت واضطر آسفاً للنزول خلف رحمة فوجد علاء في حضن أمه وهو يصرخ ويشكو من يده ولا يستطيع أن يحركها وبجوارهما عوض وهو يحاول تهدئته فينزل كامل مسرعاً قائلاً :

- إيه اللي حصل يا عوض

بخجل رد عوض وقال :

- أبداً يا بيه المحروس كان بيلعب بالعجلة وفجأة وقع على دراعه
- اقترب كامل من علاء وقال وهو يربت على ظهره :
- إن شاء الله سليمة ..

ثم إلتفت إلى عوض قائلاً :

- اجري شغل العربية هنروح المستوصف حالاً

بسرعة جرى عوض وأدار محرك السيارة ووقف بها أمام الباب في انتظار كامل ورحمة اللذان ركبا السيارة فقال كامل :

- مش كنتي قعدتي هنا وكنا نروح احنا بدل شحططتك في الليل

وهي تحضن وليدها قالت :

- لا .. مش هسيب ولدي خالص

تأفف كامل وقال لعوض :

- امشي بسرعة اخلص ...

وصلا للمستوصف فلم يجدا الطبيب فطار عوض بالسيارة إلى منزله وأحضره بسرعة ووجد كسر في ذراع علاء الأيمن وقام بتجبيس ذراعه و أجرى له اللازم وانصرف الجميع وكل يبكي على ليلاه ، عوض كان حزين لأنه قادم من سفر كان يريد أن ينام ولكنه ما حدث أجبره على السهر إلى تقريباً الفجر، أما عن كامل الذي كان يمني نفسه بليلة سعيدة مع رحمة ضاعت الليلة كالعادة بسبب ذاك الطفل الصغير، ورحمة كادت أن تموت من القلق على علاء "أحب مخلوق إليها على وجه البسيطة" ، وعلاء قد ذهب في نوم عميق في حضن والدته

استيقظ كامل في ظهيرة اليوم التالي ونزل ليتناول وجبة الغداء فجلس على سفرة وسأل عن رحمة وقبل أن تجيبه الخادمة ردت رحمة وهي قادمة من خلفه :

- أنا هنا، معلش امبارح بت جمب الواد ، الليل كله كان جسمه سخن وكنت بعمله كمادات

بغيظ غير واضح رد كامل قائلاً :

- عادي ولا يهمك، أهم حاجة هو عامل إيه دلوقتي، مش بقى كويس الحمد لله

جلست رحمة بجوار كامل وقالت :

- الحمد لله ... أحسن

نهض كامل وهمَّ بالانصراف فأوقفته رحمة قائلة :

- مش هتكمل وكلك ، انت مكلتش من امبارح

قال وهو يسير في اتجاه الباب :

- الحمد لله ، عايز ألحق العمال في الغيط ليا تلات أيام مشفتهمش .

وركب كامل سيارته وذهب إلى حقله فوجد عوض يجلس مكانه فاقترب كامل منه وضربه على رأسه فقام عوض مفزوعاً وقال :

- لا مؤاخذة يا كامل بيه ، افتكرت جنابك مش هتيجي النهارده

أمسك كامل بحجر وقذفه بعيداً وهو يقول :

- لا يا بوز الإخص هتلاقيني كل يوم هنا، طول ما الواد ابن الكلب ده في البيت، الواد تقولش أبوه مسلطه عليا، مش مهنيني على قعدة مع الولية ، كل أما اقول الدنيا راقت يطلعلي هو من تحت الأرض

نظر كامل إلى عوض من وضعية الجلوس ثم قال :

- ساكت ليه يا بقف انت ... مش بكلمك

بتردد قال عوض :

- معلش يا بيه ، مسيره يتعود

وقف كامل غيظا وقال :

- مسيره ... مسيره .. مسيره ... امتى يعني

- يحلها الحلال يا بيه

سكت كامل كثيراً بعدما جلس على كرسيه وهو ينظر بعيد مما أثار الشك في نفس عوض الذي لم يكن يعرف ماذا يفعل فسكت هو الآخر وجلس خلف كامل ووضع رأسه على ركبتيه وراح في غفوة بسيطة ، وبعد دقائق من الصمت قال كامل :

- بقولك إيه ياد يا عوض

لم يرد عوض لأنه كان شبه نائماً فوقف كامل وضربه برجله فوقف عوض مفزوعاً قائلاً :

- أيوه يا كامل بيه ... معاك .. معاك أهو

جلس كامل مرة أخرى ولم يتحدث مما جعل عوض يسخط في نفسه وقال بدون صوت :

- امال صحتني ليه يا بيه ، أنا عارف إنها جوازة مهببة على دماغي

وضرب عوض على رأسه ضربتين فإلتفت إليه كامل فتصنع عوض أنه يعدل من وضع عمامته قائلاً:

- أنا بقول يا بيه ، شكلك تعبان روح عشان تريحلك شويا

قال كامل وهو ينظر بعيد :

- ارتاح في البيت ، البيت بقى ملاهي يا جحش طول ما الزفت ده قاعد فيه

دار عوض إلى أصبح أمام كامل :

- طب إيه رأيك يا باشا أنا اخده وأوديه أي مكان يلعب وأرجعه بالليل

بدا على كامل أن فكرة عوض أعجبته كثيراً فجلس يفكر قليلا ثم قال :

- عفارم عليك. انت كده صح تعجبني ، بس في تعديل بسيط على الكلام اللي قولته ده

كعادته وقف عوض مندهشاً لا يفهم ما يقصده كامل فقال :

- تعديل ، كيف تعديل يعني

دون أن ينظر إليه ، قام كامل ودار حول عوض إلى أن أصبح خلفه وهمس في أذنه :

- يعني تاخده ، بس مترجعهوش

هز عوض رأسه بسرعة متفهماً فقال :

- مش فاهم

ابتعد كامل قليلاً ثم قال :

- يعني اللي جرى على عبدالعال يجرى على ابنه

انفزع عوض من كلمة كامل الأخيرة فقال :

- بتقول إيه جنابك ، ده عيل صغير...

رد كامل بعنف :

- العيل الصغير ده هو العقبة الوحيدة اللي قدام سعادتي، يبقى لازم يموت ... لازم يموت

وانصرف كامل في طريق العودة لمنزله وظل عوض واقفاً مكانه ، كان يحدث نفسه بأنه إلى هذا الحد وصل كامل، يقتل طفل برئ كل ذنبه أنه متعلق بأمه، يقتل طفل بدون وجه حق .

كان كامل قد ابتعد مسافة خمسة أمتار فنظر إلى عوض الذي ما زال يقف في مكانه فقال له : تعالى يا بوز الإخص ...

تحرك إليه عوض بخطا متثاقلة على غير عادته فاستعجله كامل قائلاً :

- ما تمشي يا ولا ، اتكسحت في رجليك ولا إيه

حاول عوض أن يحد من مشيته ولكنه فشل ، كان يتمنى أن المسافة بينه وبين كامل في هذا الوقت خمسة آلاف من الكيلومتر ، فهو كان يتوقع أن كامل سيكلفه بهذه المهمة الغير الآدمية ، كان كامل يشير له بأن يتقدم في المشي ولكن عوض لم يكن يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً كان يفكر أن يقول له أنه لن يفعل ذلك ، ولكنه يعرف نفسه أنه لن يستطيع أن يقول له ذلك ، منذ متى وهو يرفض لكامل أي أمر؟ وجد نفسه يقف أمام كامل وكامل يهزه حتى يفيق من غفلته قائلاً :

- مالك يا ولا نازل عليك سهم الله كده ليه

رد عوض بكلمات متقطعة :

- مفيش .. مفيش يا سعادة البيه

دخل كامل حجرته فوجد رحمة كعادتها تحتضن وليدها الذي يبدو أنه نائماً وعندما شعرت رحمة به تركت ابنها ع السرير وقامت لكامل نزعت عنها عباءته وقالت :

- دقيقة ويكون الأكل جاهز

وهو ينظر لعلاء قال :

- مليش نفس ، هتشيلي الواد تنوميه في أوضته ولا إيه

قالت بتوسل :

- حاضر حاضر، بس هو يسكر في النوم شويا عشان ميصحاش وأنا هشيله

تأفف كامل غير مظهراً ذلك قائلا :

- عادي أنا هروح أنام في أوضة تانية ، ما أنا لازم أتعود على كده

خرج كامل من حجرته وخبط الباب خلفه بشدة ، ثم فتح الباب مرة أخرى وقال :

- أنا مسافر بكرة الصبح وهقعد أسبوع عندي شغل مهم حضريلي الشنطة

- أسبوع ... طيب ، تروح وترجع بالسلامة

هم كامل باغلاق الباب مرة أخرى فندهت عليه رحمة مرة أخرى فنظر إليها ... فقامت إليه ووقف أمامه قائلة :

- معلش يا كامل مش بإيدي والله ، الواد متعلق بيا قوي من بعد موت أبوه

أومأ كامل رأسه متفهماً وقال :

- ولا يهمك مسيره يتعود، المهم أنا هسيبلكم الواد عوض هنا أي حاجة تحتاجوها اطلبوها منه

ثم ربت على كتفها بحنان وانصرف ورجعت هي إلى ولدها واحتضنته بأرياحية

في اليوم التالي ركب كامل السيارة بجوار عوض الذي تساءل مستفهماً :

- على فين يا سعادة البيه
- اطلع على فيلا سعفان بيه بسرعة
- سعفان بيه ، ليه مش بتقول إن جنابك مسافر
- أيوه يا بقف قدام الناس أنا مسافر ، عارف لو فيه مخلوق في البلد كلها عرف إني مش مسافر ، دي فيها رقبتك يا زفت

بخوف رد عوض قائلاً:

- لا متقلقش جنابك ، سرك في بير
- طب ياالاه هِم بسرعة عشان ترجع تقعد في البيت تشوف كل طلباتهم وتيجيني كل يوم بعد العشا هناك ، فاهم

أومأ عوض متفهما : حاضر جنابك

- وحاجة كمان ، الواد علاء ، عايزك تقرب منه قوي ، تخليه يحبك قوي ، كل يوم تجيبله حلاوة وعسلية زي ما هو عايز ، عايزك تخليه يحبك زي ما تكون أبوه و أكتر
- طب ليه كده جنابك
- نفذ اللي بقولك عليه وخلاص يا زفت انت فاهم ..
- فاهم ، فاهم .... يا كامل بيه
- نطق عوض جملته مرعوباً ، فهو لا يعرف ما ينوي كامل عليه ، لا ... إنه يعرف ، كامل لا ينوي إلا الشر ، لكن الشر هذه المرة مختلف ، الشر هذه المرة موجه لطفل ، يا لقساوة قلبه هذا الملعون ، لهذا الحد وصل به الحال ، لم يدر عوض بنفسه إلا والسيارة تصتطدم بشجرة على جانب الطريق وكامل يوبل عوض بسيلٍ من السباب واللعن .

غاب كامل خمسة أيام في فيلا سعفان شريكه، وكان عوض يومياً بعد العصر يأخذ علاء ويجوب به أرجاء القرية بالسيارة ويشتري له كل ما يطلبه من حلوى وألعاب ويذهب به إلى والدته التي ارتاحت تماماً لعوض لما رأت حب وليدها له .

وفي مساء ذلك اليوم ذهب عوض كعادته إلى كامل ليطلعه على آخر الأخبار فقال كامل :

- بص يا عوض وركز في اللي هقولك عليه وتنفذه بالحرف الواحد

هز عوض رأسه متفهماً فأكمل كامل :

- بكرة الصبح بدري تفهم أم علاء، إنك مسافر جاي عندي لأمر ضروري، بس متجيش، تختفي لحد بعد العصر وتروح من غير ما حد يشوفك وتاخد الواد، وطبعاً سهل دلوقتي إنه يجي معاك زي كل يوم

- وبعدين يا سعادة البيه

- وبعدين الباقي انت عارفه

- عارف إيه يا بيه

- مستغباش، اللي حصل لعبد العال يحصل لولده، انت فاهم أنا لو شفت الواد ده في البيت تاني، يبقى تقول على نفسك يا رحمن يا رحيم، وانت عارف أنا ممكن أعمل إيه ... ولا نسيت ...

بخوف وقلق وحسرة رد عوض :

- لا منسيتش يا بيه ، منستش

ضحك كامل ضحكة مدوية قائلاً :

- عفارم عليك يا عوض ، يالاه ربنا معاك

انصرف عوض دون أن يقول أي كلمة ، أخذ الطريق من القرية المجاورة التي يقطنها سعفان إلى قريته لا يدري كم من الوقت مر عليه ، كل ما كان يدور في مخيلته أن هناك طفل سيموت غداً بلا ذنب وبلا جريمة ، مثل ما حدث لوالده ... سيدفع حياته بلا تمن ، فقط لأن كامل قرر ذلك ، فكر في أن يهرب من البلد بأكملها ولكن إلى أين ، وأولاده وبيته لن يتركهم كامل ، ماذا يفعل ؟ هل كالعادة سيمتثل لما يريده كامل ؟ أي قلب يمتلك ذلك العربيد يجعله يصدر حكم الاعدام على طفل ، وحكماً نهائياً لا استئناف فيه .

وصل عوض إلى بيته ودخل حجرته دون حتى أن يلقي السلام على أهله متغافلاً عن كل استفساراتهم أو طلباتهم وألقى بجسده على سريره وجلس يفكر في الغد ، ماذا سيفعل ؟ فكر كثيراً وكثيراً وكثيراً بدون فائدة ، ظلت عيناه معلقةً بسقف حجرته إلى أن بزغ الفجر فقام لتوه وذهب إلى منزل كامل وأخبر رحمة أنه في طريقه إلى كامل بناءاً على رغبته في ذلك وأنهما سيعودان بعد يومين سوياً ، فقالت رحمة بحنان :

- ربنا يجيبكم بالسلامة ، خلوا بالكم من نفسكم ، وخلي بالك من كامل بيه يا عوض ، عايزاك تحطه في عنيك

اندهش كثيراً لكلمتها الأخيرة، منذ متى ورحمة تطلب ذلك؟ منذ متى ورحمة تخاف على كامل؟ فقال عوض باستنكار:

- أحطه في عنيا !!

ترددت رحمة قليلاً وظهرت على وجهه علامات الخجل وقالت :

- وماله مش راجلي وجوزي ، ولازم أخاف عليه، أنا خلاص مبقاش ليا غيره في الدنيا دلوقتي

مسح عوض وجهه بحيرة ثم قال :

- حاضر يا ست الكل من عنيا، ربنا يخليكم لبعض، تؤمرنيش بحاجة أجيبهالكم من هناك

ردت بسرعة :

- ميؤمرش عليك ظالم ، مع السلامة

تركها عوض وقد ازدادت حيرته ، ما هذه الـ رحمة؟ كيف استطاعت أن تنسى زوجها بل وتعيش حياتها ؟ كان الكل يعرف أنها تحبه ، ماذا جرى ؟ ماذا فعل بها كامل حتى يجعلها تلين له ؟ ذهب عوض إلى المدينة يجوب شوارعها حتى جاء وقت العصر فرجع إلى البلدة متنكراً ودخل بيت كامل وكما توقع وجد الصغير يلعب في حديقة المنزل بمفرده ذهب إليه بهدوء وقال :

- ازيك يا ولا يا علاء .

بفرحة رد علاء قائلاً :

- عم عوض، أمي قالت إنك مش هتيجي النهارده عشان تجيبلي عسلية ، عارف لو مكنتش جيت كنت هزعل منك

بأسى حاول إخفاءه رد عوض :

- وأنا أقدر برضه أزعلك يا عسل انت ، يالاه بينا نجيب العسلية

أمسك به من يده ، وسار به ثلاث خطوات فوقف الصغير قائلاً :

- هروح أقول لأمي

بسرعة رد عوض :

- احنا مش هنطول هنروح ونيجي بسرعة

انصرف عوض ومعه الطفل واشترى له الكثير من الحلوى والعسلية وكذلك حصان لعبة وذهب إلى نفس المكان ، المكان الذي شهد قبل زمن ليس بعيد وفاة والده .

كأي طفل معه لعبة جديدة جلس الطفل يلعب بها وعوض خلفه لا يدري ماذا يفعل ؟ وقف كثيراً ، وجد نفسه يبكي بدون سبب ، لا يريد أن يفعل ذلك ، بأي قلب سيرمي طفل في الماء ، أحس بشلل تام في عقله في تفكيره في أطرافه ، جلس يفكر ويفكر ويفكر ، وبعد تفكير عميق قرر أن يأخذ الطفل ويذهب به إلى المدينة ، علَّه يجد الحل

في الجانب الآخر كانت رحمة تدور كالنحلة في أرجاء المنزل تبحث عنه ، تارة تبكي وتارة تصرخ وتارة تنادي على ولدها بأعلى صوتها وتارة تجلس وتضرب رأسها بيدها وتندب حظها على غيابه ، جمعت كل الخدم وحرس المنزل والكل ينكر خروجه من المنزل ، بحثوا عنه في كل أرجاء المنزل والحديقة ولا أثر له ، بعثت بعض الخادمين ليبحثوا في أرجاء القرية وخرجت هي معهم .

- وصل عوض المدينة ومعه علاء الذي بطبيعة الحال بدأ الخوف يتسلل إلى قلبه فقال ببراءة :

- عم عوض ، احنا رايحين فين ، أنا عايز أروح لأمي

نفث عوض بحيرة قائلاً :

- مشوار صغير كده وراجعين

بدأ علاء في البكاء ثم قال بشهقة :

- مليش دعوة أنا عايز اروح لأمي

مسح عوض على شعره برفق ثم قال :

- حاضر أدينا هنروَّح أهو، انت مش بتحب عم عوض، اللي بيجبلك الحلاوة والعسلية ، متخافش هنروح مشوار صغير وبعدين نروح .

زادت شهقات الطفل ولم ينطق فحمله عوض وسار به لا يدري أين يذهب به ، كان أول من خطر بباله هي أخته فاطمة ، قرر أن يذهب إليها لا يدري لماذا ؟ وعندما وصل لمنزلها كان علاء قد غزاه النوم فوق كتف عوض فدق الجرس وبسرعة فتحت له فاطمة في وسط موجات من الحيرة والفرحة ، فرحة برؤية أخيها وحيرة لذاك الطفل الذي يحمله فقالت :

- يا ألف نهار أبيض ، وألف خطوة عزيزة ، اتفضل يا أخويا

حملت عنه الطفل وأنامته على فراش صغيرها المتوفي ومسحت على رأسه بحنان وقبَّلته في جبينه وقالت :

- يا ترى يا ولدي حكايتك إيه ؟

تركته ورجعت لتجد جلال قد رجع من عمله ويجلس مع عوض مرددين عبارات السلام والتحية فجلست بجوارهم وقالت :

- نورت بيت أختك يا أخويا

- البيت منور بيكي يا بت أبويا

قامت فاطمة وأعدت بعض العصير لتقدمه لعوض ثم قالت :

- بس إيه سر الزيارة الغريبة دي يا عوض ، ومين العيل اللي معاك ده

سكت عوض وظهرت على وجهه علامات القلق والتردد فقال جلال :

- في إيه عوض ... عيل ... مين العيل ده ، احكي يا أخويا ، مش هتلاقي حد يفهمك قدي أنا واختك

رشف عوض رشفة من كوب العصير وأغمض عينيه وأخذ نفس عميق ثم قال :

- تخيلوا العيل الصغير ده ، محكوم عليه بالإعدام

ضربت فاطمة بيدها على صدرها قائلة :

- يا كبد أمك يا ولدي .

ثم سرد عوض الحكاية من أولها لآخرها ثم عقب فقال :

- بس ... أنا مش عارف أعمل إيه ، خايف من ربنا يا ترى لما أقابله أقوله إيه ، لما يسألني قتلته ليه هقوله إيه .

وقفت فاطمة واتجهت نحو عوض وجلست بجانبه وربتت على كتفه وقالت :

- ياما قولتلك يا أخويا ، اللي اسمه كامل ده مش هيجي من وراه غير كل شر ، ياما حذرتك منه يا أخويا

قال جلال معقبا :

- مش وقته الكلام ده يا فاطمة ، المهم دلوقتي ناوي تعمل إيه

قال عوض بأسى :

- مش عارف ... محتار ، بس اللي متأكد منه ، إني مش هلوث إيدي بدم طفل برئ معملش حاجة

ربتت فاطمة على كتفه وقالت :

- عين العقل يا أخويا

وقف جلال ودار حول عوض وهو يفكر قائلاً :

- جاتني فكرة حلوة خالص

انتبه الاثنين له فأكمل :

- انت تاخد الواد وتوديه أي ملجأ أيتام

- مش بالسهولة دي ، أكيد هيسألوني مين ده وجايبه منين ؟

قالت فاطمة :

- أنا مش صعبان عليا غير أم الواد ، زمانها يا كبدي دلوقتي قالبة الدنيا عليه

جلس جلال مرة أخرى وقال :

- طب وانت لو وديت الواد لأمه إيه اللي هيحصل

وضع عوض كفيه على وجهه وقال بأسى :

- مش هينفع ... مش هينفع ، أنا لو رجعت بالواد ممكن أموت أنا ، كامل مش هيسكت ومش هيسبني في حالي

وبينما هم كذلك سمعا صوت بكاء علاء من الداخل فدخلت فاطمة وبعد قليل خرجت وهي تقول :

- عيني عليك يا ولدي، اتكتب عليك الشقى من وانت صغير ، بقى ياربي العيل اللي زي الملاك ده يموت ، ناس مبقاش في قلوبها رحمة

قال جلال :

- والله عندك حق ، الناس دي مش عارف عايشة ازاي ، ضميرها راح فين ...

قال عوض بعد تفكير:

- بقولك ايه يا أختي ، انتي طول عمرك مش كان نفسك في واد ، أهو جالك لحد عندك ، والله الواد زكي ولماح وزي العسل ، والله هتحبيه من كل قلبك

بدا على فاطمة الرضا لفكرة عوض فقالت :

- والله يا ولد أبوي أنا حبيته من أول ما شفته لله في لله كده ، قلبي اتفتح له وحاسه كده إن ربنا عوضني بيه عن اللي مات ، بس برضه أنا مقدرش أقول آه ولا لأ

إلا لما يوافق سي جلال .

نظر الاثنين إلى جلال الذي ما لبث أن قال :

- وأنا مينفعش يا فاطمة تكون نفسك في حاجة وأرفضها ، بس المشكلة إن الواد ده هيفضل معانا باسمه ولا هنغيره ولا إيه

بسرعة رد عوض :

- لا في دي متشيلش هم، أنا أعرف واحد ممكن يضربلنا شهادة ميلاد باسمه وكده هيبقى ابنكم رسمي وأهو تبقوا كسبتوا ثواب في الواد الغبان ده ...

بالفعل في خلال يومين أصبح اسم علاء الجديد "حسن جلال" واسم أمه فاطمة ... أصبح رسميا على الورق ابناً لجلال وفاطمة .

أما بالنسبة لعلاء فالموقف كان صعب على طفل مثله أن يستيقظ في الصباح ليجد أماً غير أمه وبيتاً غير بيته واسماً غير اسمه استيقظ من نومه مفزوعاً يصرخ قائلاً :

- أنا عايز أروح لأمي

بسرعة جرت فاطمة عليه واحتضنته فحاول هو أن يبعد عنها خوفا فاقتربت منه أكثر فقال بخوف :

- انتي مين ..

ردت بحنان : أنا خالتك يا ضنايا

حاولت أن تقترب منه وهو يبتعد عنها فقالت :

- متخافش مني ، أنا زي مامتك ، متخافش تعالى عشان تاكل

قال ببراءة : أنا مش عايز أكل ، أنا عايز أروَّح لأمي ... هيا فين ... ياماااا .... ياماااا... تعالي خديني

وبدأ الطفل يخبط الأرض بقدمه وهو يصرخ وينادي على والدته ، حاولت فاطمة أن تحتويه ولكن فشلت كان الطفل يزداد بكاءه أكثر وأكثر وأكثر كلما اقتربت منه فاطمة

في الناحية الأخرى كانت رحمة تصرخ على ولدها وقد بحث الجميع عنه فلم يُرَله أي أثر في القرية ، كانت الصدمة هذه المرة أشد من المرة السابقة ، فجيعتها في فقد ابنها كانت أكبر.

مر يومين وجميع أهل القرية قد سخَّروا أنفسهم للبحث عنه إما خوفاً من كامل أو مجاملةً له ، وإما تعاطفاً مع رحمة ، وفي هذا المساء قد جاء كامل وبالتأكيد اصطنع الدهشة والحزن على علاء فذهب إلى رحمة مواسياً :

- متقلقيش يا رحمة، إن شاء الله هنجمعوه أكيد هو مستخبي هنا ولا هنا ، انتي دورتي كويس في البيت

وقفت رحمة ولأول مرة تُلقي نفسها في أحضان كامل قائلة :

- علاء ضاع مني يا كامل ، الواد ضاع مني ، مبقاش ليا حد من بعدك يا علاء .. يا ولدي ، ليه كده بس يارب

مسح كامل على رأسها بفرح مكتوم وحزن ظاهر مُصْطَنَع :

- متقوليش كده، أُمال أنا رحت فين ، اهدي بس وإن شاء الله مش هيهدالي بال غير لما أجيبهولك تاني

كان كامل على وشك الرقص من شدة الفرح فقد أيقن أن الطريق بينه وبين محبوبته الآن فارغاً ، ورحمة ستنسى ولدها كما نست زوجها من قبل ، ستعيش معه بمفردها بدون هذا الطفل الذي نغص عليه حياته لأيام مضت ...

- اليوم الثالث والطفل يرفض أي طعام يرفض حتى الكلام ، يجلس منطوياً إلى نفسه على سريره ودموعه لم تتوقف للحظة ، كانت فاطمة تجلس بجواره تأسى على حاله ، لا تدري ماذا تفعل ؟؟؟ جربت معه كل الطرق ، بالمحايلة باللعب ، كل الطرق فشلت في أن تُخرج الطفل من حزنه وسكوته ، دخل جلال فوجدها على تلك الحالة فقال :

- لسه برضه مش عايز ياكل

هزت فاطمة رأسها نفياً فأكمل جلال :

- وبعدين كده ، الواد هيموت مننا كده ...

ثم أشار إليها لتحدثه بعيد عن مسامع الطفل فقال لها :

- لازم الواد يعرف كل حاجة ، لازم يعرف إنه خلاص هيعيش معانا هنا وإنه مش هيروح لأمه تاني ، لازم يعرف إنك انتي خلاص بقيتي أمه وأنا بقيت أبوه ...

ردت فاطمة بحزن :

- مينفعش، الواد لسه صغير، هو لما يكبر وسطينا هينسى لوحده، بس المشكلة إننا لازم نخرجه من الحالة اللي هو فيها دي ، اتصرف يا جلال ، اتصرف

ذهب جلال إلى الطفل وقال له :

- تعالى معايا ، يا حسن

رد الطفل ببراءة :

- أنا اسمي علاء ، مش حسن

رد جلال :

- تعالى طيب معايا يا علاء

- هنروح فين

- تعالى بس وانت هتعرف

- وقف علاء مع جلال وسار معه ببطء وخرجا من الشقة ، قضى جلال مع الطفل يوماً من أجمل الأيام، ذهب به إلى الملاهي واشترى له ملابساً جديدة وألعابا كثيرة ، كان جلال يفرح كلما رأى الطفل فرحاً .

رجع به في المساء ولكن الطفل رجع بغير الوجه الذي ذهب به ، يبدو أن جلال قد جعله ينسى ألمه على فراق والدته ، كان الطفل يمسك بعض الألعاب

فرحت فاطمة كثيراً عندما رأت الطفل بهذا الشكل فجرت عليه وقالت :

- كده برضه اليوم كله مشوفكش ، وحشتني يا قمر انت ، يالاه عشان أحميك عشان تتعشى وتنام

رد علاء ببراءة :

- لا أنا هقعد مع عمو ألعب بالألعاب دي ، شفتي عمو جابلي إيه ، عمو طلع أحسن من عمو عوض

ضحكت فاطمة وقالت :

- وكل يوم كمان هنجيبلك اللي انت عايزه يا حبيبي ، انت بس تقول الحاجة اللي عايزها واحنا نعملهالك على طول

فكر الطفل قليلاً ثم قال :

- أنا عايز أروح عند أمي

لحظات من الصمت عمَّتْ المكان فقالت فاطمة :

- حاضر بس كده، بس مش دلوقتي، انت هتقعد معانا شويا، وأمك هنجيبهالك لحد عندك هنا ...

- امتى

- قريب ، أنا عايزك تعتبرني زي أمك يا حسن

ظهرت على وجه الطفل علامات الغضب ورمى الألعاب على الأرض وقال :

- أنا مش حسن ، وانتي مش أمي

ذهب علاء وجلس على الأريكة في حزن وهو ينظر إلى الأرض ، فذهبت فاطمة إليه وجلست بجواره ووضعت يدها على رأسه ثم قالت :

- يا حبيبي ، انت هتعيش معانا هنا شويا ، وبعدين هتروح عند أمك .

أبعد الطفل يد فاطمة من على رأسه وظل ينظر إلى أسفل قدميه ولا يرد .

*****

الأسبوع الأول قد مر على رحمة وهي طريحة الفراش تندب حظها على ولدها ، أيقنت الآن بعدم رجوعه ، أيقنت أنه فضل العيش عند والده ولا يريد أن يعيش معها ، أسبوع مرَّ عليها والطعام لا يدخل فمها إلا بعض لقيمات تلتقطها غصباً عندما يلح عليها من حولها ، لقيمات تكاد بالكاد تبقيها على قيد الحياة ، ازداد شحوب وجهها واحمرت عيناها من كثرة البكاء ، كان كامل يحاول بكل الطرق أن يخرجها من تلك الحالة ولكن باءت كل محاولاته بالفشل فقال لها ذات مرة :

- انتي هتفضلي كده لحد امتى ، انتي قربتي تنتهي خالص ، مش كفاية ، اللي راح راح خلاص ، والبكا مش هيفيد ، وانتي لسه صغيرة والعمر قدامك وهتخلفي واحد واتنين وتلاتة

نظرت إليه رحمة ولم ترد فأكمل :

- اللي انتي فيه ده ميرضيش حد، أنا والله عامل عليكي، انتي تعبتي وشك بقى أصفر، لو فضلتي على الحالة دي هتموتي

ردت رحمة بألم :

- ياريت أموت، أهو على الأقل أروح للي راحوا ، أكيد الحياة عنديهم أحسن من العذاب اللي أنا فيه ، يارب خدني وريحني

سمع كامل هاتين الكلمتين وقام من فوره ولم يرد حتى بأي كلمة ، فاستشعرت رحمة ما قالته وظنت بأنها قد جرحته فسكتت عن البكاء وراقبته إلى أن خرج من الغرفة وألقت وجهها على السرير وانخرطت في نوبة نحيب أخرى .

الأسبوع الأول في بيته الجديد مر عليه صعباً ولكنه في نهايته كانت الأمور على ما يرام ، وكأنه ايقن أنه لا مفر من تلك الأسرة التي لا شك أنها تحبه وتفعل ما بوسعها لكي يكون سعيداً ، بدأ يقتنع أنه فعلا ابناً لهذه الاسرة ، كان من بين الحين والآخر يتذكر والدته ويسأل عنها ولكن الإجابة على كل أسئلته لم تتغير ، نفس الإجابة أنه سيقيم مع هذه الأسرة لفترة ما وسيعود إلى والدته قريباً ، كان متأكد من كذب هذه الإجابة ولكنه لا سبيل أمامه إلا أن يصدقها

*****

(بعد مرور سنة وبضعة أشهر)

صوت صريخ عالي خرج من بيت كامل ، وكامل جالسٌ في بهو منزله ينتابه القلق ويضرب ركبتيه بيديه ، وبعد قليل صوت زغاريد من أعلى الدرج لتقول الخادمة :

- ألف مبروووووك يا سعادة البيه ، بنية زي القمر ربنا يخليهالك

فرح كامل ولكن ليس كثيراً لأنه كان يتمنى ولداً ، صعد بسرعة إلى الحجرة ودخل وحمل ابنته وقبَّلها في جبينها ثم ذهب إلى أمها وقال :

- حمد لله على سلامتك يا رحمة ...

ردت رحمة بأنفاسا تلتقطها بالكاد :

- الله يسلمك يا كامل، معلش عاد كان نفسي أجيبلك الواد ، بس دي حكمة ربنا ...

اقترب منها كامل ووضع يده على جبينها وقال :

- يا ستي، شدي حيلك انتي بس وكلها ٩ شهور ... ٩ شهور بس ونجيب الواد

ضحك كامل وضحكت السيدات الجالسات بجوار رحمة، وخرج كامل وأعطى الصغيرة لرحمة التي حملتها برفق وقبَّلتها ثم قالت لها :

- كان نفسي يكون أخوكي معاكي دلوقتي ، كان هيفرح قوي بيكي ...

ثم نظرت إلى الأعلى وقالت :

- يا ترى انت فين يا ولدي دلوقتي ، يا عالم عامل إيه دلوقتي ، يا ترى حي ولا ميت ، شبعان ولا جعان ، فرحان ولا زعلان ، يارب لو كان علاء لسه عايش طمني عليه يارب .

لاحظت أحد السيدات الموجودات حالة الحزن التي اعترت رحمة فقالت :

- ربك كبير يا هانم وانتي صبرتي وأهو ربنا عوضك عنه بنية زي فلقة القمر، أنا بقالي أربعين سنة بوَّلد عمري ما شفت بت في جمالها ، ربنا يخليهالكم وتتربى في عز أبوها

ردت رحمة بألم وهي تحتضن طفلتها :

- ولا مليون عيل هيعوضني اللي راح

وبدأت دموعها في السيلان فقالت السيدة معزية :

- متبكيش يا بنيتي انتي لسه نفسة ، وده مش حلو عشانك

مسحت رحمة دموعها بسرعة وحاولت أن تظهر ابتسامة انتزعتها بالكاد .

- في الجانب الآخر كان حسن دالفاً البيت مع أبيه جلال وهو يحمل بعض الأكياس التي يبدو أن بها ملابس ثم جرى بسرعة ناحية فاطمة وقال لها :

- شوفي يا ماما ، بابا جابلي إيه

أخرج حسن بعض الملابس من الكيس ووضعها على جسمه لكي تراها فاطمة التي تفرح جداً برؤية الطفل سعيد هكذا .

لا أخفيكم سراء فالأسرة الصغيرة التي كان الحزن لا يفارقها أصبحت الآن عامرة بالفرح والسرور لقدوم ذلك الطفل الذكي ، وأيضاً شعر الطفل بكم الحب الذي لا تبخل به أمه أو أبوه الجديدين فبادلهما نفس الحب وبعد فترة قصيرة جداً مع حياته مع هذه الأسرة نسى تماماء أن اسمه علاء ، نسي أن والدته رحمة ، نسي قريته اللتي وُلِدَ بها ، نسي أيامه السابقة ، الحقيقة التي يعرفها الآن أنه الآن اسمه حسن وأن والده جلال وأمه فاطمة ، وأن اليوم يوم تاريخي فقد قدَّمَ له والده على إحدى المدارس وبعد أيام سيبدأ عامه الدراسي الأول في مدرسة قريبة من منزله الجديد ، فقال :

- تعالي يا ماما عشان تلبسيني الهدوم دي

قالت فاطمة بفرح :

- لا دي هدوم المدرسة كلها كام يوم وتلبسها وتروح بيها المدرسة ولا عايز توسخها

قال ببراءة :

- هلبسها شويه وأقلعها تاني

قالت فاطمة بحدة :

- حسن ...احنا قولنا إيه لازم نسمع الكلام، الولاد الشاطرة تقول لبابا وماما إيه

رد بسرعة :

- حاضر

- برافو عليك ، يالاه بقى روح انده بابا من جوه عشان نتغدي

أذعن حسن لكلمات فاطمة بعدما قبَّل فاطمة في خدها وبسرعة ودخل حجرة أبيه وفاطمة تراقبه بفرح ، وقالت :

- ربنا يحميك يا ابني ويخليك ليا ، وميحرمنيش منك أبداً صحيح انت مش ابن بطني ، بس أنا متأكده إن غلاوتك زي ابن بطني بالظبط

*****

(بعد مرور خمسة أعوام)

مرت خمس أعوام أُخر على رحمة في بيت كامل ، أنجبت منه ولدا آخر سماه والده "عز" لتصبح رحمة أماً لـ صفية (ستة سنوات ) و عز (أربعة سنوات ) ، كانت أيامها متشابهة متكررة لا جديد، كانت تُعزي نفسها بتربية نجليها، وإن صدقنا القول كان كامل لا يقصر في أي شئ من طلباتها أو طلبات نجليها مما قل أو كثر ، كانت ما تطلبه يُلبى في الحال وكانت تشعر بالراحة لذلك ، في وسط الظروف لم تنسى يوما زوجها وولدها وكانت تدعو المولى في الليل قبل النهار أن يرحمهما ، كانت جارتها تأتي لزيارتها أحياناً تجلس معها تسليها ، فكامل كان معظم أوقاته إما مسافراً أو يباشر عمله في المخازن والحقل .

في ذلك اليوم انتظرته كثيراً في المساء لتناقشه في موضوع مهم وجاء كامل وهو لا يكاد لا أمامه من التعب وخلع عباءته فشعر بها فقال :

- انتي لسه صاحية يا أم عز

قامت إليه وأخذت منه العباءة ووضعتها في مكانها ورجعت إليه قائلة :

- كنت عايزاك في موضوع مهم

جلس كامل على سريره ليخلع حذائه ويقاوم النعاس ثم قال متثائباً:

- لا أجّلي أي حاجة للصبح ، أنا مفياش حيل للكلام دلوقتي
- لا الموضوع مهم ولازم نتكلموا فيه دلوقتي

بنفاذ صبر قال كامل :

- خير إن شاء الله قولي .

جلست رحمة بجواره وقالت :

- البت صفية السنة دي هيبقى عندها ست سنين، عايزين نقدمولها في المدرسة

ظهرت على كامل علامات الغضب وقال :

- مدرسة، مدرسة إيه دي، من امتى البنات بيروحوا مدارس ...

تفاجئت رحمة من رد فعله ثم أكملت :

- يا سي كامل البنات دلوقتي زي الولاد بيروحوا المدرسة وبعدين مش عيب لما يبقوا الناس الفقرا اللي مش لاقيين ياكلوا يودوا عيالهم وبناتهم المدرسة وبت كامل بيه عين أعيان البلد متروحش تتعلم

جلس كامل يفكر في كلام رحمة ثم قال :

- وماله يا أم عز ، نودوها المدرسة ، انتي عارفة مقدرش أرفضلك طلب ، بكرة الصبح أبعتلك عوض وهو هيقوم باللازم ، عاوزة حاجة تانية يا ستي

قالت رحمة ممتنة :

- ربنا يخليك لينا وميحرمناش منك أبداء، أما أقوم أحضرلك الوكل

نام كامل على سريره قائلاً :

- لا لا ... أنا مقادرش أكل ، عايز أنام

وقبل أن يكمل كلمته ذهب في سبات عميق

في صبيحة اليوم التالي كان كامل جالساً مع عائلته يتناولون الطعام حين دخل عوض مسرعاً :

- صباح الخير يا كامل بيه ، صباح الخير يا ست رحمة

رد كامل وهو يرشف من فنجانه :

- صباح الخير يا عوض ، عاوزك تاخد البت صفية وتقدملها في المدرسة

- أمر جنابك يا كامل بيه ...

وقفت رحمة وقالت :

- خلي بالك منها يا عوض

في عنيا الاتنين يا ست رحمة

وانصرف عوض ومعه صفية ، فاقتربت رحمة وجلست بجوار كامل وقالت له :

- بقولك إيه يا أبو عز ، عايزين نودوا الواد عز للدكتور ، الواد داخل على أربع سنين ولسه مبيتكلمش وبيعمل حركات غريبة كده مش عارفة ليه

رمى كامل لقمة كان ينوي أن يضعها في فمه ، فقد داست رحمة على جرحه الغائر ، فابنه الصغير كان متأخراً في عقله وقد ذهب به إلى جميع الأطباء والكل أجمعوا على أنه لا فائدة ، سيظل الطفل هكذا وسيقف نمو عقله عند ذلك الحد ، قال لرحمة بأسى :

- انتي لو تشدي حيلك معايا ونخلفلنا عيل تاني ونستعوض ربنا في ده

أحست رحمة بأن كامل يُلقي اللوم عليها في عدم الحمل فقالت :

- طب هو أنا قلت حاجة، ومش ممانعة، بس ربنا اللي مش عايز، هو ربنا أراد وأنا قلت لأ ، وانت عارف أنا حملت بعد كده وسقطت ...

نهض كامل من على الطعام قائلاً :

- وأنا مقصرتش مع الواد في حاجة، مفيش دكتور في مصر كلها سمعت عنه إلا ووديته ليه

ثم غادر كامل المنزل وترك رحمة تقف في قلة حيلتها تجاه ولدها الذي ما لبث أن دخل عليها يجري وارتمى في حضنها قائلاً :

- مممممممممم

وكانت هذه الكلمة تعني أنه يريد أن يأكل .

كان كامل لا يجتمع معه في طعام لأن الطفل يقوم بحركات في تناول الطعام تستفزكامل وتشعره بالاشمئزاز، فكان لا يطيق أن يرى الطفل أمامه وكأنه ليس من صلبه ، كان لا يشعرتجاه بأي مشاعرمن مشاعرالأبوة مثل أخته الكبيرة .

*****

كان حسن قد رجع مع والده جلال من المدرسة الإعدادية التي كان يقدم أوراقه فيها فاستقبلتهما فاطمة فحفاوة منقطة النظيرقائلة :

- حبيبي حبيبي ..عقبال ما أشوفك دكتور قد الدنيا يارب

جرى حسن وارتمى في حضن فاطمة التي انهالت عليه تقبيل فقبل حسن يدها قائلاً:

- البركة في دعواتك يا ماما ... ربنا يخليكي ليا انتي وبابا

أحس جلال بالفرحة ثم قال :

- كل يوم يا حسن بتزيد غلاوة في قلبي ...

ثم اتجه بالحديث إلى فاطمة قائلاً :

- تعرفي يا فاطمة إن حسن طلع الأول على المدرسة كلها في سنة خامسة ومحدش جاب مجموع قده

بفرحة ردت فاطمة :

- من غيرما تقول ... ده ولدي وأنا عارفاه ... يارب يا ولدي أعيش وأشوفك في أعلى المناصب والمراكز

قال جلال مازحاً :

- إيه هنفضل كده كتير أنا وحسن جايين من بره جعانين مش هتقومي تحضرليني الأكل

بسرعة نهضت فاطمة قائلة :

- ثواني ويكون الأكل جاهز

*****

في منزل كامل جلست رحمة محاولة تهدئة عز الذي دخل في نوبة من البكاء وبعض الكلمات الغير مفهومة فقالت له :

- يا حبيبي طب فهمني انت عايز إيه

واصل الطفل بكاءه الغير طبيعي وبدأ في الصراخ فدخل كامل قائلاً :

- بتقوق ليه يا بوز الإخص انت ...

قال كامل كلماته التي أفزعت الصغير فتشبث بأمه مرعوباً فأكمل كامل :

- روحي يا أم عز ... خديه من قدامي أنا دماغي وجعاني ومش طايق أسمع صوته

أذعنت رحمة للأمر بسرعة خوفاً على الصغير وحملته إلى حجرته وأنامته في سريره وعادت بسرعة لكامل حيث وجدته قد تمدد على سريره فأرادت أن تلومه على أسلوبه مع الطفل قائلة :

- بالراحة على الواد ... هو ملهوش ذنب في اللي هو فيه ده ... دي إرادة ربنا إنه يطلع كده ... مش يمكن ده إبتلاء من ربنا ليا وليك ولو صبرنا عليه يبقى نجحنا في الاختبار...

يبدو أن كلمات رحمة لم ترق لكامل ... سمعها ولم يرد فأكملت رحمة :

- يا أبو عز الواد محتاج اننا نحبه ونراعيه ... هو ملهوش ذنب في ظروفه دي ... مش يمكن ربنا يشفيه مفيش حاجة بعيدة على ربنا

تَقَلَّبَ كامل في فراشه غير راضياً عن كلماتها ... أحست رحمة بأنها لا بد أن تتصرف لتجعل كامل يقبل بوضع ابنه على هذا الحال فتركته وذهبت مرة أخرى إلى عز الذي راح في نوم عميق ... قبلته على جبينه وتذكرت حينها ابنها وفلذة كبده وأول فرحتها علاء وكيف اختفى وأين ذهب ... مر أمامها شريط حياتها في ثواني رأت نفسها في بيت أبيها وعبد العال يطلب يدها وأخوتها غير موافقون وأبيها يسألها فتوافق ثم رأت نفسها تزف بفرحة إلى منزل عبد العال ثم رأت فرحتها تغيب عندما سافر عبد العال وتركها ثم عادت إليها فرحتها عندما علمت بأنها تحمل في بطنها ولداً لعبد العال ثم غابت فرحتها مرة أخرى عندما بدأت حماتها تزعجها وتنغص عليها حياتها وتعود إليها فرحتها مرة أخرى وعبد العال يعود إليها مرة أخرى ثم ظهور كامل في حياتها مما قلب حياتها رأساً على عقب ... موت زوجها ... اختفاء ابنها ... زواجها من كامل ... قبولها لحياتها الجديدة ... إنجابها لطفليها ثم مرض ابنها وتخلفه العقلي ... تذكرت كل هذا ... تذكرت الدنيا التي لم تتركها لحالها ... حاولت أن تجمع لحظات الفرح في عمرها ... فنظرت إلى السماء وقالت :

- يارب أنا مش معترضة على حكمك وعلى مكتوبك ... بس أنا تعبت ومليش غيرك أناجيه وأطلب منه ... يارب اعفي عن ولدي يارب اشفيه

ثم لم تستطع أن تمنع دموعها من النزول كالسيل .

*****

في إحدى زياراته لصفوت بيه في القاهرة كان كامل بصحبة سعفان يجلسان في الحديقة التابعةلفيلا صفوت فقال كامل :

- المرة دي احنا جايبن لك خبرحلو

أكد سعفان كلام كامل قائلاً :

- فعلاً يا صفوت بيه ... المرة دي المكان كبير أوي ومليان من خيرات الله الكتير... بس يا ترى هاتشيلوه كله المرة دي ولا إيه

بعدما رشف صفوت من كأسه رشفة قال :

- مش ناوي يا كامل تجرب البتاع ده ... هيعجبك أوي

ظهر الرفض واضحاً على وجه كامل :

- لا يا صفوت بيه حد الله بينه وبيني ... أنا كده كويس

أطلق صفوت ضحكة عالية ثم قال سعفان :

- سيبك منه يا بيه ... أنا عادي ... اديني بس

صبَّ صوف كأس وأعطاه لسعفان وهو يقول :

- نتكلم جد بقى شويا ... احنا هناخد كل حاجة في المقبرة المرة دي بس بشرط ... احنا مش هنديكم فلوس المرة دي .

باستغراب نظر كامل وكذلك سعفان وحتى لا تطول حيرتهما أكمل صفوت كلامه :

- احنا هنديكم بدالها ...

ثم وقف صفوت وسار خطوتين في الحديقة وتبعه كامل وسعفان وكأن على رؤسهما الطير فأكمل صفوت :

- بضاعة

باستغراب قال كامل : بضاعة ... بضاعة إيه ... ومن امتى بنشتغل بالطريقة دي

قال صفوت :

- والله دي ... أوامر الناس اللي فوق ... زي ما انتوا عندكم بضاعة عايزين تصرفوها احنا كمان عندنا بضاعة عايزين نصرفها .

تساءل سعفان قائلاً :

- والبضاعة دي عبارة عن إيه ؟

دون أن ينظر إليهما قال صفوت :

- سلاح ...

باستغراب رد كامل :

- يا صفوت بيه ... احنا طول عمرنا شغاليين في الآثارات ... السلاح ده مش لعبتنا ومش هنعرف نتصرف معاه .

ضحك صفوت ثم تغيرت تعابير وجه للجدية وقال :

- دي مشكلتكم انتم ... مش مشكلتي أنا

أومأ كامل برأسه موافقاً وانصرف هو وسعفان عائدين من حيث أتوا وفي طريق العودة كان كامل يتحدث مع نفسه فقال له سعفان :

- متقلقش ... ان شاء الله ليها تصريفة

رد كامل :

- متأكد ...

- طبعاً ... سيب انت الموضوع ده عليا ...

وبعد يوم من السفر الشاق رجع كامل إلى بيته ودخل المنزل فوجد عز ابنه يلعب في الحديقة ... اقترب منه قليلاً فتراجع الطفل خوفاً ثم جرى ودخل المنزل ... فدخل خلفه فوجد الطفل يحتضن أمه بخوف وكان كامل كلما يقترب يزداد الطفل خوفاً

وتشبثاً بأمه فأومأت رحمة لكامل أن ينصرف وأخذت الطفل إلى حجرته ثم رجعت لكامل قائلة :

- معلش الواد بس بيخاف من صوتك العالي ... المهم حمد لله ع السلامة ... أخبار الشغل ايه ... ان شاء الله متوفق زي كل مرة

رد كامل بلامبالاة وهو يلقي بجسده على السرير :

- ان شاء الله

جلست رحمة بجوار ولامست يده بأناملها قائلة :

- أقوم أحضرلك الأكل عبال ما تدخل تاخدلك دش ع السريع كده

رد عليها قائلاً :

- لا بلاش مليش نفس ...

شعرت بغصة في حلقها من كلامه الذي يبدو عليه الغضب فقالت :

- انت ممكن تتجوز تاني عشان تخلف الواد اللي انت عايزه ... أنا شكلي كده بقت زي الأرض البور اللي مفيش منها فايدة

اعتدل كامل على سريره مباشرة بعدما سمع تلك الكلمات قائلاً :

- بتقولي ايه أتجوز عليكي ... أنا مش ممكن أعمل حاجة زي دي ... يا ام عز أنا بعد منك مفيش مرة تملى عيني

- بس أنا صعبان عليا حالك ده...حاساك مدايق من جواك ومش عايز تبين

- يا ستي والله أبداً ... أنا بس عندي شوية مشاكل في الشغل وبعدين ....

اقترب من أذنها قائلاً :

- انتين نسيتي عملتي فيا إيه عشان تتجوزيني ... ده انتي طلعت عين أمي ... ولا نسيتي

ابتسمت رحمة لطريقة كلامه وقالت :

- لا منستش يا أخويا ... ياالاه بلاش نقلب في الماضي ... وهقوم أحضرلك الأكل وهتاكل غصب عنك عارف ليه ؟

رفع عينيه دلالة على الاستفهام فقالت :

- عشان أنا هأكلك بإيدي ... ولا انت مش عايز تاكل من إيدي

رد بفرحة :

- لا كده أنا أكل غصب عني

وطبع على جبينها قبلة فنهضت لتعد الطعام وعاد هو إلى مضجعه وإلى سرحانه عاد إلى مشاكل عمله ثم تطرق بتفكيره إلى ابنه الوحيد عز وتخلفه العقلي وأيضا ابنته والكثير والكثير.

*****

كعادتها كانت رحمة جالسة في بيت زوجها الأول عبد العال فطيلة السنوات السابقة لم تنساهما أبداً كانت بين الحين والحين تذهب إليهما ومعها الكثير والكثير – طبعا بعد إذن من كامل – الذي لم يمانع ذلك ابداً وكانت عندما لا تستطيع أن تذهب بنفسها كانت تبعث لهم بعض الحاجيات مع عوض ... كانت تقضي ما تقضي معهما من اليوم وترجع إلى بيتها ... كانت كلما ذهبت هناك لم تمنع نفسها من الدخول في حجرتها الأولى ... الحجرة التي جمعت بينها وبين عبد العال كانت تجلس فيها وتذرف ما استطاعته عينها من دموع وتخرج تجلس مع العجوزان تهون عليهما وتسليهما وتنصرف وهما يوبلونها بأمطار الدعاء وآيات الشكر.

-

## بعد مرور ثلاث سنوات أخرى

كانت صفية تجلس على الأرض منكبة على كتابها فقد كانت في الصف الثالث الإبتدائي وكانت غاية في الذكاء والنباهة وفجأة أتى إليها عز وبدون أن تشعر نزع لها صفحة من الكتاب وهو يضحك فصرخت صفية بعلو صوتها ... جاءت رحمة تجري على صوت صراخ بنتها متساءلة :

- مالك يا بتي فيكي إيه ؟

قالت صفية بشهقات متتالية :

- عز... عز يا أما قطعلكي ورقة من الكتاب والابلة بكرة هتضربني

همَّت صفية بالنهوض لتضرب أخيها فأمسكت بها والدتها قائلة :

- معلش أخوكي ميعرفش ... أنا هلزقهولك معلش ...

وربتت الأم على كتف ابنتها ثم أمسكت بيد ابنها عز وأخزت منه الورقة المنزوعة برفق وهو ما زال يضحك لا يدري ماذا فعل ؟

هكذا كانت تعيش الأسرة ... كامل ما بين تجارته وسفرياته المتواصلة التي لا تنقطع ... فقد توسعات تجارته مع سعفان وصفوت حتى أصبح ليس لديه الوقت ليجلس مع أهل بيته حتى أرضه ترك إدارة شئونها إلى عوض الذي أصبح له شأن كبير بصفته مدير العمال والأرض ...

كان كامل لا يزور القرية إلا أيام معدودة في الشهر ليطمئن على تجارته وأرضه وعلى رحمة وأبنائها ... كن لا يستطيع أن ينظر إلى ابنه بحالته تلك ... كان دائما يصرخ به وكذلك الطفل الذي بلغ سبع سنوات كان عندما يسمع صوت ابيه يدخل حجرته ولا يخرج منها إلا عندما يتأكد أن أباه ليس بالمنزل .

كانت رحمة تعيش فقط من أجلها طفلها فقد رأت في صفية نسخة من علاء في ذكائها ونبوغها ونجابتها وكانت كلما ترى طفلها عز تحمد الله على عطيته ... كانت

لا تفرق بين مشاعرها بين طفليها على عكس كامل الذي كان يحب ابنته أكثر من ابنه الذي يرى أنه مجنون ومع ذلك كان لا يتأخر عنهما في أي مصاريف يحتاجونها ... أما عنه فقد رأى في تجارته ما يسليه وينسيه القرية ومن فيها ... فقد توسعت علاقاته بأكبر رجال الدولة من وزراء ورجال أعمال حتى أصبحت كلمته مسموعة على الكل وبعدها تزوج بابنة أحد رجال الأعمال الذين يعرفهم كما يقولون "زواج مصلحة" وأيضاً لم ينجب منها شيء ولكنه لم يكن ذلك بباله ... ولم يغضب لأجله ولم يسأل عن السبب ... كان كل ما يهمه كيف ينمى ثروته الباهظة وكيف يوطد علاقاته بكبار رجال الأعمال وكبار رجال الدولة وأيضاً أعضاء مجلس الشعب .

*****

في الجانب الآخر كان حسن "علاء سابقاً" منكب على مكتب يستذكر دروسه فهو الآن في في الشهادة الإعدادية وقد أمضى سنواته السابقة بتفوقه كالعادة ... كان في المركز الأول على كل أقرانه في العامان السابقان ... كان جلال وفاطمة لا يدخران جهدا أو مالاً معه ... لم يكن يدعانه في حاجة لشئ من لاوازمه المادية والمعنوية ..

دخلت فاطمة عليه حجرته قائلة :

- لسه يا بني سهران لحد دلوقتي ... مش كفاياك كده وتدخل تريحلك شويا

بأدب رد حسن :

- لا لسه يا أمي قدامي شويا كمان وهدخل

قالت الأم بحنان :

- طب أنا هقوم أعملك كباية لبن عشان تشربها

- لا يا ماما متتعبيش نفسك أنا مش محتاج حاجة

- يا نهار أبيض يا ابني ... هو أنا لما بعملك حاجة كده بتعب ... اانت روحي وحياتي كلها ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منك أبداً .

وعلى هذه الدعوات دخل جلال قائلاً :

- سيدي يا سيدي ... طب وأنا مليش شويا من الدعوات كلها ... ولا حسب بيه كوش على كل حاجة

ضحك الجميع لهذه الكلمات فأكمل جلال :

- أنا كنت رايح الحمام سمعت صوتكم قولت أجي اشوفكم يمكن فيه حاجة ... أخبارك إيه يا حسن ... الامتحانات قربت ... عايزك تشرفني زي كل سنة .

رد حسن ممتناً :

- ربنا يستر يا بابا متقلقش ... أنا عمري كسفتك قبل كده ... ادعولي بس انتوا

رفعت فاطمة يديها للسماء وقالت :

- ربنا يكرمك يا ولدي وتنجح وتطلع الأول كمان

ثم غادرا الحجرة وتركا حسن يواصل مذاكرته

*****

كان عوض يجلس في مجلسه المعتاد كما كان يجلس كامل قبل ذلك ... كان بنفس الأسلوب والجبروت وكأن كامل موجود ... كان ينفذ تعليماته بالحرف الواحد ... يفعل كما كان يفعل كامل ... كان يتعامل مع العمال بنفس قسوة كامل ... كان لا

يصدق نفسه أنه هو من يفعل ذلك ولكن كما يقولون "من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم " وهو مع كامل منذ صغره فطبيعي أن يأخذ أسلوبه وطريقته في التعامل مع العمال ... فقد كان كامل يعامل العمال على أنهم عبيد إحسانه وأنه صاحب الفضل عليهم وأقواتهم بيده وغرس ذلك في عوض حين أوكله مهمة متابعة الأرض والعمال

في نفس ذلك العام توفى الحاج عبد الرؤوف والد عبد العال فطلبت رحمة من حماتها – بعد إذن من كامل طبعا- من حماتها أن تأتي وتعيش معها في منزلها ... الأمر الذي جعل العجوز تندم على كل ما فعلته بها سابقاً ... شعرت حينها بعظم قلب رحمة واصلها الطيب وشعرت أيضا كم كانت قاسية القلب معها قبل ذلك ... كم أذاقتها من ويل وعذاب وما كان من رحمة إلا أنها وارت كل ذلك في التراب وتذكرت فقط أنها أم لزوجها وحبيبها السابق وأنها شيئا من رائحته ... خاصة بعدما أهملها كامل منشغلاً بتجارته وأعماله وسفرياته .

*****

## مرت خمس سنوات أخرى

الوضع في بيت جلال غير مستقر إلى حد ما ... خرج الطبيب من حجرة جلال وخلفه حسن وعلى وجهه علامات القلق فسأل الطبيب قائلاً :

- خيريا دكتور طمنا

إلتفت الطبيب قائلاً :

- مش عارف أقولك إيه ... بس الحالة صعبة أوي ولازم يتنقل المستشفى ... أنا هكتبلك على شوية حاجت تجيبهم ويستمر عليهم ولو مفيش تحسن يبقى لازم تدخل جراحي

أطلق الطبيب رصاصته متتالية إلى قلب حسن وانصرف ... فأغلق حسن خلفه الباب ورجع إلى حجرة أبيه حيث كانت فاطمة تجلس بجواره وفي الناحية الأخرى يجلس الحج حسين وقد بلغ منه الكبر مبلغه فقال بصوت أجش متقطع :

- خيريا ولدي الدكتور قالك إيه

تصنع حسن الفرح ثم قال :

- الدكتور طمني وقال مفيهوش حاجة ... هما شوية ضعف وكتبله على شوية أدوية إن شاء الله ياخدهم ويبقى زي الحصان

رفعت فاطمة يدها للسماء قائلة :

- آمين يارب

فتح جلال نصف عينيه وأشار لحسن أن يقترب ... فأذعن حسن للأمر وجلس بجواره فقال جلال بصوت متقطع :

- حسن يا ابني ... يعلم ربنا أنا محبتش في حياتي قدك ... غصب عنك لو كنت قصرت معاك في حاجة ... بس على ايدك كانت العين بصيرة والإيد قصيرة ... خلي بالك من أمك هيا ملهاش غيرك انت وخالك عوض ... وخالك عوض زي ما انت عارف مشغول ومش بيجي غير كل فين وفين ... وخلي بالك من الحج حسين ... الراجل ده زي أبوك وأكتر...

رد الحج حسين قائلاً :

- ملوش لازمة الكلام ده يا جلال يا ولدي ... ان شاء الله انت كويس ومفيش حاجة فيك

أشار جلال للحج بالسكوت ليكمل قائلاً :

- يا حج حسين الواحد لما يبقى رايح بيبقى عارف ... وأنا خلاص ايامي في الدنيا قربت

قاطعته فاطمة بحزن :

متقولش كده يا أبو حسن ... حسك في الدنيا يا أخويا ربنا يديك طولة العمر

رد جلال بعد نوبة من الكحة الشديدة قائلاً :

- طولة العمر ليكي ولحسن يا فاطمة ... خدي بالك منه .. وخل المستخبي مستخبي مش مصلحة حد إنه يبان

أومأت فاطمة تفهماً لكلمات جلال ثم أكمل :

- حسن يا ولدي ... أي أب في الدنيا يتمنى يموت ويسيب لأولاده كل حاجة ... أنا للأسف هموت ومش هسيبلك حاجة عشان مش حيلتي حاجة وانت عارف البيروغطاه ... متزعلش يا ولدي أنا لو كنت أطول أديك عيني كنت اديتهالك .

بتأثر رد حسن : يا بابا انت سيبتلي حاجات كتير ... كفاية انك علمتني ومخلتنيش محتاج أي حاجة ... من وأنا صغير ربتني وعلمتني ... أنا مش عارف إيه لازمة الكلام ده دلوقتي انت تعبان ومحتاج تنام

أكمل جلال بعد مت ربت على يد حسن قائلاً :

- حسن يا ولدي ... آخر حاجة هقولهالك ... بلاش تنبش في الماضي وتصحي نار اطفت من زمان ... مهما حصل ومهما اتقال متصدقش غير والدتك وبس

ثم أطلق جلال كحة عالية حتى كادت عينيه أن تخرجا من ماكنهما ثم قال :

- الحمد لله على كل حاجة ... أشهد ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله

وبعدها انتفض جلال فقد كان النزع الأخير وفارقت روحه الطاهرة جسده إلى عالمها الآخر في وسط دمعات من الحج حسين وابنه حسن وصرخات مدوية من فاطمة .

مرت ثلاثة أيام لم يترك فيها الحج حسين حسن ... كان يقف معه يتلقى معه العزاء ... فالحاج حسين لم تكن مصيبته في فقد جلال قليلة فقد كان جلال بالنسبة له أخ وابن وصديق وكل شيء ...

انتهت أيام العزاء وكان حسن يجلس وبصحبته والدته وأيضا الحج حسين الذي قال :

- معلش يا حسن يا ولدي وانتي يا فاطمة يا بتي ... دي سنة الحياة ... المرحوم الله يرحمه كان لسانه حلو مع كل الناس العيبة عمرها ما طلعت منه

سمعت فاطمة تلك الكلمات وأجهشت بالبكاء وقالت :

- أنا مش متخليلة إني هصحى الصبح ومش هلاقيه جمبي .. هتحرم من طلته عليا وهزاره ودلعه فيا ... عمر عدى معاه ما شفتش يوم وحش .. الموت ده أوحش حاجة خلقها ربنا

رد الحج حسين بتأثر ظهر على وجهه : دي سنة الحياة يا بتي ... طول عمري بتمنى إن يومي يبقى قبل يومه ... ع الأقل أضمن إنه فيه حد هيشيلني ويدفني ... بس خلاص آخر حد ليا في الدنيا مات ... يتولاني ربنا برحمته .

نهض حسن حتى وقف أمام الحج حسين قائلاً :

- ربنا يديك طولة العمر يا حج ... احنا مبقالناش حد غيرك دلوقتي ... المهم فيه حاجة سمعتها من بابا الله يرحمه ولحد دلوقتي مش مستوعبها

ظهر الاهتمام على وجههما فأكمل حسن :

- لما قالي بلاش تنبش في الماضي يقصد إيه

ارتبك الاثنين فقال الحج حسين بصوته الهش والذي بالكاد يصل إلى مسامع من أمامه :

- بص يا ولدي زي ما قالك أبوك في حاجات في الماضي اتنست ومش من مصلحة حد إنه يدور وراها أحسن ليك فعلا إنك تنساها

قال حسن وهو ينظر إلى أمه التي تحاشت النظر في عينيه :

- إيه هو السر اللي عايزينه يموت ... وليه مش عايزيني أعرفه وليه بابا الله يرحمه قاللي مصدقش حد غيركم

غير الحج حسين دفة الكلامة إلى موضوع آخر قائلاً :

- إلا قولي يا حسن ... هيا نتيجة امتحانات هتطلع امتى

شعر حسن بأنه الحج حسين يريد أن ينهى الكلام في هذا الموضوع فرد قائلاً :

- لسه المفروض اليومين دول ... بس برضه السر مش هيفضل طول عمره سر ومسيره هعرفه

نظر إلى أمه بعد تلك الكلمات فحوَّلت وجهها الناحية ولم تنطق منذ فتح ذلك الموضوع ... بعدها وقف الحج حسين ووضع يده في جيبه قائلاً :

- خد يا حسن يا ولدي دول قرشين كنت محوشهم قبل كده ... خليهم معاك يمكن تحتاجوا حاجة كده ولا كده

أمسك حسن يد الحج حسين مرجعاً إياها إليه قائلاً :

- ربنا يزيدك يا حج ... متقلقش مستورة الحمد لله ... أنا كلمت واحد صاحبي هيجمعلي شغل في كافتريا معاه

باستنكاررد الحج حسين :

- طب ودراستك يا ولدي

أكمل حسن :

- احنا في أجازة دلوقتي ولما تيجي الدراسة أبقى أشتغل شفت بالليل .... متقلقش عليا يا حج حسين .. بابا فايت راجل وراه

استأذن بعدها الحج حسين وانصرف وترك حسن وأمه يتبادلون النظرات دون أن يجرؤ أحدهما على النطق بأي شيء ... كان حسن قد أنهى العام الثاني ن دراسته الجامعية في كلية العلوم قسم الكيمياء وكالعادة بتفوقه الغير مسبوق ... كان في عامه السابق الأول على جميع أقرانه وكذلك أنهى امتحانات هذا العام بتفوق أيضاً وفي انتظار النتيجة ولكن حدث هذا الذي مرر عليه أيامه .

بالفعل استطاع أن يجد عملاً في كافتريا يعمل بها أحد أصدقائه وبمرتب كفيل بأنه يصرف منه على دراسته وعلى والدته بالإضافة إلى المعاش الذي كانت تتقاضاه فاطمة واستمرت الحياة على هذا المنوال .

*****

كان كامل في زيارة لمنزله في القرية يجلس مع رحمة وابنته التي أنهت للتو امتحانات الشهادة الإعدادية وتمسك بكتاب تقرأ فيه فقال لها كامل :

- هيا مش الامتحانات خلصت ... ليه ماسكة الكتاب تاني

ردت صفية ببراءة :

- لا دي يا أبوي قصة خدتها من واحدة صاحبتي عشان أقراها في الاجازة ... أصل الأبلة قالتلي إن القراءة بتفتح المخ وتوسع الأفق .

بفرحة رد كامل :

- انتوا بتجيبوا الكلام الواعر ده منين

ابتسمت رحمة قائلة :

- بتك طول عمرها شاطرة ... والناس بتحلف بشطارتها يارب أعيش وأشوفها دكتورة قد الدنيا

اعتدل كامل في جلسته :

- دكتورة مرة واحدة ...

قالت صفية :

- لا يا بابا أنا هدخل كلية علوم عشان أبقى عالمة

رد كامل بغضب :

- عالمة يا قليلة الأدب ... ده اللي ناقص

تملك الرعب من قلب صفيه ووالدتها للطريقة التي قال بها كامل كلامه ثم قالت رحمة :

- وفيها إيه يا كامل

شوف التانية بتقولي فيها إيه ... عايز بت كامل بيه تبقى عالمة وغزية ترقص في الموالد والأفراح

أطلقت رحمة ضحكة جعلت كامل يتاط غضباً فقالت له قبل أن تغرقها أمواج غضبه :

- يا أبو عز عالمة ...مش معناها رقاصة دلوقتي ..دي حاجة ودي حاجة تانية

وقالت صفية تؤيد كلام والدتها :

- زي الدكتور أحمد زويل كده يأبويا

ومين احمد زويل ده كمان

- ده دكتور في الذرة يا أبويا وعالم كبير سافر أمريكا وخد جايزة نوبل
- خدها إزاي يعني .... المهم يعني كلية ... البتاعة اللي بتقولي عليها دي حاجة حلوة
- أيوه يا ابويا حلوة قوي
- طيب مفيش مشاكل يا بتي ربنا معاكي

طبعت صفية على خد والدها قبلة وانصرف إلى حجرتها ... فاقتربت رحمة من كامل قائلة :

- إيه ... مش نفسك تشوف عز... ده ولدك برضه وليه حق عليك

شعر كامل بغضة في حلقة حين سمع اسم عز ... فأومأ موافقاً على اقتراح رحمة وصعد معها حيث حجرة عز ودخلت الأم أولاً وتبعها كامل ... وحين رأى عز والده انكمش في نفسه خوفاً فاقترب كامل منه برفق وقال :

- إزيك يا عز... عامل إيه

هز عز رأسه بالتحية فقد كان في السن الثانية عشر ولا ينطق إلا ببعض الحروف الغير مفهومة والتي لا تفهمها إلا رحمة بحكم أنها هي أكثر من يجلس معه ... ربت كامل على يده وغادر الحجرة آسفا على حال ولده الوحيد ... كان ذلك اللقاء بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير... دخل حجرته وهو يفكر في نفسه وفي نسبه الذي سينقطع بعد وفاته حيث أنه لا يوجد له من يرثه ويحمل اسمه ... حتى زوجته الثانية لم تنجب له أيضاً ... فكر كثيراً ثم قال لنفسه دون أن يخرج منه أي صوت :

ياااه يا كامل ... الدنيا والفلوس شغلتك ونستك أهم حاجة في حياة أي حد ... نستك إنك معندكش اللي يشيل اسمك ويورثك ... طب العيب في مين ... وليه ربك عايز يقطع نسبك ... حتى الواد الوحيد اللي قدرت تجيبه طلع عبيط معتوه ..

ظل على حاله تلك لا يدري كم من الوقت حتى غلبه النعاس فنام وفي صبيحة اليوم التالي استيقظ كامل من نومه مبكراً وخرج ليتقط بعض الأنفاس الهادئة في حقله كما كان في السابق وعلى عادته وجد عوض في مكانه والعمال بدأوا يومهم المعتاد من العمل الشاق وعوض خلفهم ينهرهم ويحسهم على العمل وحين رأت عيناه كامل أسرع إليه عوضاً مرحباً :

- يا ألف نهار أبيض يا كامل بيه ... الأرض كلها نورت النهارده بشوفتك

ابتسم كامل لمداعبة عوض المعتادة وجلس على كرسيه الذي كان دائماً وقال مسترجاً ذكرياته السابقة :

- ياه يا عوض بقالي مدة مقعدتش القعدة دي

أكمل عوض نفاقه قائلاً :

- خلاص يا كامل بيه القعدة دي مبقتش تليق بمقامك ... انت دلوقتي مقامك عالي قوي وسط كبارات البلد

تنهد كامل قائلاً :

- تصدق ياد يا عوض ... مهما لفيت وروحت وقعدت في أماكن مكنتش أحلم أقعد فيها مشفتش الراحة غير في المكان ده وسط أرضي وعمَّالي ... القعدة دي وحشتني قوي

ظهرت علامات التعجب على وجه عوض من كلمات كامل فقال :

- ربنا يسعدك كمان وكمان يا كامل بيه

- بقولك ايه ياد يا عوض

- نعم يا كامل بيه ... بس والنبي بلاش كلمة ياد دي ... أنا كبرت وبقيت جد دلوقتي

- ومهما كبرت هتكبر عليا يا واد ولا إيه

- لا مقدرش يا بيه

ضحك كامل ثم قال :

- المهم ... ابقى روح الناس بدري النهارده وإديهم يوميتهم كاملة ... وعايزك تريحهم يوم في الأسبوع وبرضه يوميتهم شغالة في اليوم ده

كان عوض في حالة من الاندهاش جعلته غير قادر على الرد على كلام كامل فقال كامل :

- مالك فيه إيه ... نزل عليك سهم الله

- مستغرب يا بيه ... أصل العمال مش متعودين على كده وأخاف يتعودوا على الدلع ده

- وماله ما يتعودوا ... الناس دي شافت منينا كتير وكل اللي احنا فيه ده من تعبهم وعملهم ... وأديك زي ما انت شايف أنا لا عيل ولا تيل هحوش الفلوس لمين

- ربنا يخليلك عز بيه ويورثك بعد عمر طويل

- هنضحك على بعض يا عوض ... عز ولدي معتوه ... رايحة منه على طول ... يورث إيه ولا ينيل إيه ... أنا همشي دلوقتي وخلي بالك من العمال وريحهم على الآخر

انصرف كامل وترك عوض في دهشته وحيرته ثم قال محدثاً نفسه :

يا سلام ع الدنيا يا ناس ... أخيراً اتكسرت يا كامل ... شفت أخرة جبروتك وصلتك لإيه ... أديك جمعت فلوس كتير ملهاش عدد ... لكن اتحرمت من أبسط حاجة بيتمناها أي حد في الدنيا ... نسلك هيتقطع والناس هتخلص من بلاويك ... مش عارف ده ذنب مين ... ذنب عبد العال اللي قتلته ولا رحمة اللي رملتها ويتمت ولدها وحرقت قلبها على ولدها ... ولا ذنب التجارة الحرام في الممنوعات اللي ضرت ناس كتييير... سبحانك يارب تمهل ولا تهمل .

*****

ثلاثة أعوام أُخر مضوا والحال شبه مستقر عند الجميع لا جديد سوى أن حسن قد أنهى دراسته الجامعية وقد اختارته إدارة الكلية معيداً فيها وقد ترك العمل بالكافتريا واستلم عمله الجديد كمعيد في كلية العلوم قسم الكيمياء ... وبدأت حياته في التحسن وخصوصاً مرتبه الكبير الذي يتقاضاه من الجامعة بالإضافة إلى بعض الكورسات التي كان الطلاب يحرصون على أن يعطيها لهم وكانت فاطمة سعيدة بذلك تحس أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاها نصيبها في الدنيا في حسن الذي تلده ولكنها أحبته من كل قلبها ... كانت كلما تنظر في وجهه ترى الحياة وترى السعادة على محياه الجميل وفي يوم من الأيام كان حسن عائداً من الجامعة فوجد عوض جالساً مع أمه فقال بفرح :

- خالو عوض هنا وأنا أقول الدنيا منوة ليه

وقف عوض فاتحاً كلتا ذراعيه ليحتضن حسن قائلاً :

- الدكتور حسن إلى رافع راسنا ومشرفنا

وغاب الاثنين في حضن طويل قطعته فاطمة قائلة :

- كويس إنك جيت يا حسن عشان تقنع معايا خالك يقعد يتغدى معانا أصله عايز يمشي

قال حسن وهو يجلس بجوار عوض :

- كده برضه يا خال ده انت بتزورنا كل فين وفين

قال عوض معتذراً :

- معلش يا دكتور ... أبقى أشرب شربات فرحك إن شاء الله

شعرت فاطمة بفرحة عندما قال عوض كلمته تلك وقالت :

- يا رب يا أخويا أهو ده بس اللي فاضل وكده يبقى الحلو كمل ... نفسي أشوفك ولادك يا ولدي قبل ما أموت

قبل حسن يد والدته قائلاً :

- بعد الشر عليكي يا أمي ... إن شاء الله تشوفي أولادي وأولاد ولادي ... بس الموضوع ده مش في بالي دلوقتي ... لما الاقي بت الحلا اللي تستاهل ... ولازم لازم تبقى شبهك

قال عوض مازحاً :

- يبقى مش هتتجوز طول عمرك ... أمك دي مفيش حد شبهها

ابتسمت فاطمة لمداعبة اخيها ثم أكد حسن قائلاً :

- والله عندك حق يا خالو أمي دي المفروض أعملها تمثال ... مفيش في حينيتها ولا طيبة قلبها

ضمت فاطمة حسن لحضنها وطبعت قبلة على جبينها قائلة :

- ربنا ما يحرمني منك أبداً يا ولدي ... متاخدوناش في دوكة ... خش غيَّر هدومك وبالاه عشان تتغدى معانا أنا وخالك

أذعن حسن للأمر وعوض قال مستأذناً :

- يا بت أبويا مش هينفع أنا ورايا مصالح وسايب الأرض والعمال وحديها
- يا اخويا مجاتش من نص ساعة ... احنا بنشوفك كل يوم

لم يجد عوض بداً من الرضوخ عند رغبة أخته وقبل عزومتها على الغداء وانصرف بعدها مباشرة .

*****

كانت رحمة واقفة في المطبخ تشرف على الخادمة وهي تطهو الطعام حين دخلت عليها صفية قائلة :

- مساء الخير يا أمي

ردت رحمة دون أن تلتفت وهي تتابع الطبخ قائلة :

- يسعد مساكي يا بتي

أردفت صفية قائلة :

- كنت عايزاكي في موضوع مهم

إلتفت رحمة حين شعرت بالأهمية والجدية في كلام ابنتها وقالت :

- تعالي طيب نقعد واحكيلي

خرجت رحمة من المطبخ وتبعتها صفية حتى جلسة على الأريكة فقالت رحمة :

- فيه مشاكل معاكي في الجامعة

بتردد قالت صفية :

- مش بالظبط كده ... بس
- بس ايه يابت انطقي قلقتيني

- لا يا أمي مفيش داعي للقلق ... بس فيه مادة صعبة شويا ومش عارفة أفهمها ... فيه شويا من صحابي بياخدوا كورس عند الدكتور بعد الجامعة بيشرح المادة دي فأنا عايز أخد معاهم
- بياخدوا كرسي ازاي
- كورس يا أما مش كرسي ... حاجة كده زي الدرس الخصوصي

باستغراب قالت الأم :

- درس خصوصي ... انتي طول عمرك شاطرة يا بتي من غير دروس ولا نيلة
- الكلية صعبة وبعدين هيا المادة دي بس .
- خلاص يا صفية لما يجي أبوكي أخليه يكلم المدرس وهو يجيلك لحد هنا
- لا يا أمي ده مش مدرس... ده دكتور في الجامعة ومش بيرضى يروح البيوت ... هو فيه مكان جمب الجامعة زي الفصل كده بنقعد فيه وهو بيشرح فيه
- طب استني لما ابوكي يرجع ونقوله ونشوف رأيه إيه
- يا أمي أبويا مش بنشوفه غير كل فين وعبال ما يجي تاني يكون الترم خلص ... وأنا مش عايزة الترم يروح عليا
- خلاص يا بتي أنا لما يتصل بيا هكلمه
- ربنا يخليكي ليا يا أمي يا حبيبتي انتي

واحتضنت أمها وتركتها إلى حجرتها تستذكر دروسها

*****

كان ذلك يومها الأول في ذلك المكان دخلت صفية بصحبة زميلاتها وجلست في مكان أشبه بقاعة صغير واكتمل العدد فدخل حسن بطلعته البهية ... فقد كان حسن يملك من الوسامة وحسن المظهر ما يجذب إليه أنظار أي فتاة ... كانت صفية تعرف حسن فهو معيدها في الكلية ولكن المدرج في الكلية كبير والعدد به كثير ... كانت أول مرة ترى فيها حسن بهذا القرب ... كان يجذبها قبل ذلك لباقته في الحديث وذكاؤه اللامحدود والآن أصبح شكله أيضا يجذبها فظلت في سرحانها إلى أن بدأ حسن المحاضرة قائلاً :

- السلام عليكم ورحمة الله ... شايف وجوه جديدة النهارده ... يارب يكونوا مبسوطين معانا ... نبدأ باسم الله ...

أكمل حسن المحاضرة الأولى بسلام وانصرف الجميع وظلت أنظاره متعلقة بها ... أتدرون ذلك الخيط الذي يربط بين قلبين من أول لقاء ... هذا ما حدث بين حسن وصفية ... الاثنان شعرا بأن هناك ما يجذبهما لبعضهما ... شعرا بأنه هناك شيء خفي يربط بينهما ... كانت عينا حسن متعلقة بها من أول دقيقة إلى آخر ثانية في المحاضرة لا يدري لما أو كيف ... فجأة أحس بالحاجة أن يكلمها غادر المكان بحثاً عنها ولكنها تلاشت وذابت كما يذوب الثلج في الماء لم يرى لها أي أثر كان عليه أن ينتظر الأسبوع القادم والحصة القادمة حتى يراها مرة أخرى ...

وفي الناحية الأخرى لاحظت إحدى زميلات صفية المقربين تصرفات الدكتور حسن فقالت لصفية مازحة :

- أيوه يا عم الله يسهلك ... من أول يوم كده تعلقي القمر

تظاهرت صفية بعدم الفهم وبخبث لم تتقنه جيداً قالت :

- تقصدي إيه ؟

بحركة من فمها ويدها قالت :

- بزمتك مخدتش بالك

أكملت صفية في التمثيل بعدم الفهم الذي أتقنته الآن وقالت :

- أخد بالي من إيه

وقفت سهير بمقابلة صفية وقالت :

- الدكتور حسن

بفراغ صبر قالت صفية :

- يووووووووه ماله

بغمزة من عينها قالت سهير:

- عينيه منزلتش من عليكي طول المحاضرة ... شكله وقع من أول نظرة

ظهرت علامات الغضب على وجه صفية وقالت :

- أنا مليش في الكلام الفاضي ده ... أنا جاية الجامعة عشان أنتبه لمذاكرتي ودروسي ولو اتكلمتي معايا في حاجة زي كده أنا مش هعرفك تاني

- بس بس ... كل ده عشان قولتلك كلمة واحدة ... أنا آسفة يا ستي

بعد دقيقة من السير بصمت قالت صفية :

- متزعليش مني ... أنا مقصدتش ... بس أنا مبحبش أتكلم في الكلام ده ... احنا لسه في سنة أولى يعني لسه قدامنا كتير على ما نفكر في حاجة زي كده

ابتسمت سهير قائلة :

- عندك حق ... بس والله الواد معجب بيكي

ابتسمت صفية قائلة :

- وبعدييين

دغدغتها سهير في يدها وهي تضحك فضربتها صفية بيدها قائلة :

- والله انتي رخمة ... وأنا مش عايزة أعرفك تاني

ثم انصرفت صفية إلى منزلها ألقت التحية على والدتها وذهبت إلى حجرتها مسرعة ألقت كتبها على السرير وجلست أمام المرآه وقلبها يخفق بشدة ... لا تدري لماذا ؟ بعد دقائق من التفكير سمعت طرق بالباب فقالت :

- ادخل

فُتح الباب فكانت رحمة قد أتت لتطمئن على ابنتها فقد أقلقتها الطريقة التي دخلت بيها صفية فقالت :

- مالك يا بتي فيه حاجة معاكي

ترددت صفية قليلاً ثم قالت :

- لا عادي يا أمي مفيش حاجة ... أنا بس رحت النهارده الكورس اللي قولتلك عليه وارتحت ليه أوي

- مين اللي ارتحتي ليه ده

حاولت صفية إنقاذ الموقف فقالت :

- الكورس برضه يا قلب أمك

لم تستطع صفية الهروب من عيني رحمة فقد كانت من الذكاء حيث شعرت بشئ غريب مع ابنتها فما كان من صفية إلا أن قصت لوالدتها كل ما حدث من بداية المحاضرة إلى أن رجعت لبيتها فقالت رحمة :

- والله كبرتي يا صفية ... بس خديها كلمة مني ... أنا اللي شفته في حياتي مش قليل ... متسلميش قلبك غير لحد يستاهله ... حد يقدر يحافظ عليه ويصونه وأوعي تصدقي أي كلام غير لما تحسي إنك مقتنعة بيه فاهماني يا بتي

نهضت صفية ووقفت على ركبتيها خلف رحمة وحضنتها من الخلف قائلة :

- يا ست الكل حب ايه وبتاع ... أنا بعد منك انتي مليش حبايب ... وبعدين ده موقف وراح لحاله ... ومتقلقيش عليا في الحالات اللي زي كده أنا ببقى بسبع رجالة

ضحكت رحمة على طريقة حديث ابنتها وقالت :

- أنا ماليش غيركم في الدنيا انتي وأخوكي ومن حقي أخاف عليكي
- ما قولنا ما تخافيش يا ست الكل ... الله ... ولا انتي مش واثقة فيا
- لا طبعا يا بتي واثقة فيكي ... ربنا يحميكي ويبعد عنك كل شر ... وياالاه غيري هدومك عشان تتغدي معايا

*****

تعمدت صفية ألا تذهب إلى الحصة القادمة كرسالة إلى ذلك الدكتور أنها ليست كغيرها من الفتيات اتباعاً لوصية والدتها وجاء الموعد ودخل حسن القاعة كان أول من بحث عنه هي صفية جال ببصره بسرعة في الحاضرين فلم يجدها ... أنهى الساعتين لا يعلم كيف ... لا يدري ماذا قال أو الذي قاله صحيح أم لأ ... كل ما كان يدور بخلده أسئلة لا إجتبة لها ... لماذا لم تأتي ؟ ما الذي منعها من الحضور في ميعادها ؟ هل تضايقت من أسلوبه ونظراته التي لم يستطع أن يخفيها عنها ... مئات الأسئلة التي لم يجد لها إجابة حتى انتهى من محاضرته لم يجد أمامه إلا سهير صديقة صفية التي كانت تجلس بجوارها الحصة السابقة تردد قليلاً قبل أن يسألها قائلاً :

- لو سمحت يا آنسة سهير

إلتفت إليه فأكمل :

- ممكن أخد من وقتك دقيقتين بس

بامتنان قالت :

- اتفضل

أكمل على استحياء قائلاً :

- الحصة اللي فاتت كانت فيه واحدة قاعدة جمبك بس مجاتش النهارده ... لعل المانع خير

باستغراب وضح جلياً على وجهها قالت :

- معرفش والله مجاتش ليه ... بس حضرتك بتسأل ليه

ارتبك حسن قبل أن يقول :

- لا عادي مفيش ... شكراً لحضرتك ... بعد إذنك

وانصرف حسن بعد ذلك كالمجنون يبحث عنها في أرجاء الجامعة عله يجدها ... لا يدري ماذا فعلت به ؟ ماذا أصابه أدركت حينها أنه الحب ... كان لأول مرة يشعر بقلبه يدق بسرعة لم يسأل نفسه لماذا الآن ولماذا هي لأنه يعلم أن الرصاصة حين تطلق لا تسأل من القتيل قضى يومه في الجامعة ورجع بخفي حنين ... وعلى غير عادته رجع منزله متأخراً فسألته والدته :

- اتأخرت ليه يا حسن ... قلقتني عليك

- مفيش يا ماما كان عندي شغل في الجامعة واتأخرت

قال كلمته واستأذن ودخل حجرته وبقلق دخلت والدته خلفه قائلة :

- مالك يا ولدي

ألقى جسده على السرير وهو يقول :

- مفيش يا ماما ... مفيش حاجة

جلست الأم بجانبه ومسحت بيدها على شعره قائلة :

- مفيش ازاي ... ده فيه وفيه وفيه ... هو أنا هتوه عنك

اعتدل حسن قائلاً :

- مشكلة صغيرة في الشغل وان شاء الله تتحل

أومأت الأم وقالت :

- مممم طب هدي نفسك يا ولدي ... مفيش مشكلة إلا وليها حل

- إن شاء الله يا ماما ... إن شاء الله

ربتت على كتفه قائلة :

- يالاه قوم غيَّر هدومك عشان هجهزلك الأكل

- لا ... أنا مليش نفس أنا بسعايز أنام شويا

كانت فاطمة تحفظ حسن وتعرف أنه عنيد فتركته وشأنه وخرجت وهي تردد :

- براحتك يا ابني

ثم خرجت الأم وأغلقت الباب خلفها وفتحت لعقل حسن المجال للتفكير فيما حلَّ به وما حدث له منذ أن رأى تلك الفتاة التي سلبته عقله وتفكيره بدون أن تفعل شيء فقط رآها مرة واحدة فعلت فيه كل هذا .

*****

بعدها بأيام كانت صفية تجلس على أحد مقاعد الطرقات في الجامعة وبصحبة صديقتها الوحيدة سهير التي قالت مازحة :

- على فكرة ... سأل عليكي لما مجيتيش الحصة المرة اللي فاتت

باستفسار ردت صفية :

- مين ؟؟
- دكتورنا الوسيم
- حسن ؟؟؟
- أيوه ... أبو علي

وقفت صفية ثم قالت بغضب :

- وده يسأل عليا بتاع إيه ده

همست سهير في أذنها قائلة :

- اهدي مش كده ... الجدع شكله قاصد خير ومعملش حاجة غلط

جلست صفية بعدما رنت كلمات سهير في أذنها ثم قالت لنفسها :

- قاصد خير...

جلست سهير بجوارها وأكملت :

- والله زي ما قولتلك المرة اللي فاتت ... ده شكله زي ما بيقولوا الحب من أول نظرة ... اقعدي معاه وشوفيه عايز إيه
- انا قولتلك قبل كده أنا مليش في الكلام الفاضي ده
- يا ستي هو أنا قلتلك اتجوزيه عرفي ... أنا بس بقولك كلميه شوفيه عايز إيه .
- لا ... أنا مش هعمل كده ومش هروح الكورس ده تاني ... أنا ماشية

ثم همَّت بالمغادرة فأمسكت بها سهير من معصمها قائلة :

- استني يا مجنونة عندينا محاضرة دلوقتي

نزعت يدها قائلة :

- مش هحضرها

وانصرفت تاركة سهير خلفها تضرب كفاً بكف.

رجعت صفية إلى بيتها في حالة لا تحسد عليها لا تدري لما تخاف منه في نفس الوقت يوجد شيء في داخلها يجذبها إليه لما كل هذه المشاعر المتناقضة ... قالت لنفسها ربما لأنها لأول مرة تتعرض لمثل ذلك الموقف ... كان والدها قد اشترى لها سيارة بسائق توصلها يومياً إلى الجامعة وتنتظرها حتى ترجع ... بالرغم من أن والدها كان عديم المشاعر أقصد مشاعر الأبوة إلا أنه لم يقصر في أي شيء من متطلباتها المادية ... كانت طيلة الطريق هذه المرة جالسة تفكر في حالها ... هل تتكلم مع حسن وترى ماذا يطلبه منها أم تظل هكذا بعيدة ... كان الخيار الثاني هو الأقرب لعقلها أما الأول فهو الأقرب لقلبها وهكذا ظل الصراع الدائم بين قلبها وعقلها قالت لنفسها :

- متكلميه ... هيجرى إيه يعني ... هو هياكلك

ثم ترجع وتقول لنفسها أيضاً :

- لا لا ... بلاش

- بس حسن انسان محترم ومحدش بيقول عليه ولا كلمة وحشة وأكيد مش ناوي على شر

اتكأت على المقعد وأغمضت عينها في محاولة لطرد ذلك الوسواس الذي أوشك أن يأكل عقلها وسبب لها صداع مزمن لم تقدر على تحمله فقالت للسائق مترجية :

- ممكن يا عم علي تسرع شويا عشان تعبانة
- تحت أمرك يا ست هانم

قال السائق كلمته تلك وهو يعطي الإذن للسيارة أن تشق الهواء بكل قسوة ليصل في مدة زمنية قصيرة تنفيذاً لتعليمات صفية وبالفعل وصلت وحين دخلت من الباب وجدت والدها أمامها ذهبت إليه مرحبة :

- حمد لله على سلامتك يا أبويا ... وحشتنا قوي

فتح الوالد يديه لترتمي بينهما صفية وبعد ثواني قال كامل :

- أخبار العروسة بتاعتنا إيه

ارتبكت صفية حين ناداها والدها بلقب العروس واحمَّر وجهها لا تدري خجلاً أم أن هذه الكلمة طرقت على الحديد وهو ساخن فلاحظ ذلك كامل فقال مازحاً :

- إيه اتكسفتي لما قولتلك عروسة ... ما انتي عروسة وست العرايس كمان

قالت بحروف تائهة كانت تجمعها بالكاد :

- لسه بدري يا أبوي لما أخلص جامعة الأول
- وماله يا بتي كلها سنتين تلاتة وتخلصي وتبقى برضه أحلى عروسة في الدنيا

بخجل زاد ووصل منتهاه على وجهها قالت :

- يووووه يا أبووووي
- خلاص خلاص ... روحي غيرّي هدومك عشان نتغدى سوا بقالنا مدة مكلناش مع بعض ... وانتي يا رحمة روحي هاتي عزعشان ياكل معانا

فرحت رحمة بذلك أيما فرح ... فكامل لم يطلب منها طلب مثل هذا من قبل ... أحست بأن هناك تغييراً جذرياً حدث لكامل وبالفعل جلس الجميع على السفرة بما

فيهم والدة عبد العال التي كما قلنا انتقلت للعيش معهم بعد رحيل زوجها للعالم الآخر ... كانت الجلسة جميلة بمعنى الكلمة الكل سعيد ويضحك حتى انتهى وقت الطعام وذهب كل شخص إلى مبتغاه ... صعد كامل إلى حجرته واستلقى على سريره وظل متأملاً في سقف الحجرة إلى أن سمع باب الحجرة يطرق من الخارج ثم يفتح كانت رحمة التي دخلت وجلست بجواره قائلة :

- نورت بيتك يا أبو عز

اعتدل كامل جالساً ثم قال :

- البيت منور باللي فيه يا رحمة ... أنا بقيت ضيف ع البيت ده

باستنكار ردت رحمة :

- إيه اللي بتقوله ده ... البيت قايم بحسك يا أبو عز

- تصدقي يا رحمة أنا كنت مبسوط قوي النهارده وأنا قاعد ع الغدا حسيت قد إيه اللمة حلوة وأنا كنت حارم نفسي منها طول عمري

ابتسمت رحمة قائلة :

- يا سلام بس كده ... أهي اللمة موجودة كلها كل يوم أول بس ما تهفك نفسك عليها تعالى

أومأ برأسه قائلاً :

- عندك حق ... اللمة موجودة كل يوم ... بس أنا اللي هبقى موجود

شعرت رحمة أن كامل يخبئ شيئا ما في كلامه هذا فقالت :

- مالك بس فيك إيه ... احكيلي فضفض شيل الهم من على صدرك

نظر كامل في عيني رحمة قائلة :

- انتي ممكن تزعلي مني في يوم من الأيام يا رحمة

- وأزعل منك ليه وانت راجلي وحمايا وسندي وأنا مشفتش منك حاجة وحشة طول عيشتي معاك ... لو بس تقولي إيه اللي جواك وتريحني

- وقف كامل وأخرج منديل من جيبه وبصق فيه فلاحظت رحمة أن كامل يبصق دم من فمه فسألته بقلق :

- إيه الدم ده

رد كامل بسرعة بعد نوبة سعال شديدة :

- مفيش

- مفيش إزاي

جلس كامل على سريره يلتقط بعض أنفاسه الهاربة ثم قال :

- اللي هقولك عليه دلوقتي محدش يعرفه في الدنيا كلها أنا ... أنا ...

بقلق قالت :

- انت إيه ؟

- أنا عيان بمرض واعر قوي وملوش علاج ... ونهايتي قربت ... لفيت على دكاترة كتير وكلهم قالولي نفس الكلام

دخل كامل في نوبة أخرى من الكحة التي مزقت قلب رحمة إلى أشلاء ثم قالت :

- يا راجل تف من بقك ... حدش بياخد الروح الا اللي خالقها .. استغفر ربك بس انت ... وان شاء الله هتخف وتعيش معانا وتدفنا وتقعد على قبرنا كلنا إن شاء الله

يبدو أن حالة كامل قد تأخرت للدرجة التي لن يفلح معها أي كلام عن الأمل فسكت ولم يرد وكذلك رحمة سكتت ولم تدري ماذا تقول .

تغيَّر كامل ١٨٠ درجة كان يجالس العمال ويضحك معهم ويشاركهم الطعام ويغدق عليهم من الخيرات ما جلعهم ينسون سنوات العذاب ... حتى عوض نفسه كان في شدة الاستغراب لما حل بكامل ولكنه قال في نفسه :

- يهدي من يشاء

قضى كامل أسبوع في القرية وبعدها سافر إلى القاهرة في وسط دعوات من أهل القرية الذين كانت ألسنهم لا تكف عن الدعاء عليه فيما سبق .

*****

أنهى حسن المحاضرة كعادته وهو يجول بعينيه في الحاضرين حتى استقرت عليها،على التي شغلت عقله وباله وفكره ، على التي أذاقته في أيام قلائل ما لم يذقه من قبل ، لم يجد سبباً لصدها ومحاولاتها في الابتعاد عنه ، قرر في ذلك اليوم أن يحدثها فانتظر حتى فرغت القاعة من الطلاب وكانت آخر من خرج من القاعة فاستوقفها قائلاً :

- آنسة ... ممكن لو سمحتي دقيقة بعد إذنك

نظرت إليه ولم تنطق فأكمل متوسلاً :

- دقيقتين بالكتير ولو الكلام مش عاجبك امشي

وعيناها تنظر أرضاً قالت :

- اتفضل

- أولاً أنا مش عارف هقول الكلام ده إزاي ، ومش مرتب أي كلام ، بس لازم أقوله ، أنا من أول ما شفتك وأنا مش عارف مالي ، تايه ، معرفش ، أول مرة في

حياتي أبقى كده ، أنا إنسان متدين وبعرف ربنا كويس وعمري في حياتي ما وقفت واتكلمت مع بنت

وتصبب جبينه عرقاً ليثبت لها صحة كلامه فأكمل :

- والله أنا مش بقصد أي حاجة وحشة، كل الحكاية إني لما شوفتك اتخطفت وقولت هي دي اللي عايزها ومش عايز غيرها ، أنا مش عارف بقول الكلام ده إزاي ، بس والله ده اللي جوايا أنا مبعرفش أزوق الكلام ، كل اللي بطلبه منك إنك تديني فرصة أعرفك وتعرفيني أكتر بكل أدب وبكل حدود.

مع كل هذا الكلام وعينيها لم تجرؤ على أن ترتفع لتنظر إليه كانت تموت خجلاً مع كل كلمة ، لم تسمع قبل ذلك مثل هذه الكلمات ، لم تدر بماذا تجيب أو ماذا تقول له ؟ وقفت هكذا تنظر أرضاً ثم استجمعت قواها ونطقت أخيراً وقالت :

- ممكن أمشي بعد إذنك

بإشارة من يده وبقلة حيلة أشار لها بالانصراف، ومشت بضع خطوات كانت عندما تنقل أحد قدميها كأنها تنقل جبل أحد كانت تود لو ترجع إليه وتقول له أنها انجذبت له من أول يوم ولكن هيهات مثلها أن تقول كلمة كهذه .

أكملت السير في طريقها وهو يتبعها بعينه في حسرة وعند أخر ثم سار خلفها في طريقة لمكتبه الذي يوجد في مبنى آخر.

وفي آخر الطريق بين المبنين نظرت للخلف فوجدته خلفها وتلاقت أعينهما فابتسمت ابتسامة تعني التوسل ألا تتركه هكذا وأن تُريح عقله وقلبه ولكنها سرعان ما أكملت سيرها وتركته .

رجع إلى بيته بالرغم من محاضرة اعتذرعنها فقد كان في حالة لا يحسد عليها ، وصل إلى بيته فوجد خاله عوض في البيت سلم عليه بسرعة واستأذن ودخل حجرته ، لاحظ عوض ذلك فسأله فاطمة قائلاً :

- ماله الواد حسن مش بعادة يعني

ردت فاطمة بقلة حيلة :

- والله ماني عارفة يا أخويا بقاله كام يوم على حاله دي لا وكل ولا شرب وتملي قاعد لوحده كده وشايل الهم

وضع عوض يده على فمه قائلاً :

- ميكونش عرف حاجة

- لا ما أظنش ، هو حتى ميعرفش اسم البلد إيه مين اللي هيقوله يعني السر ده مطلعش برانا احنا وانت والحج حسين ، والحج حسين يستحيل يقوله حاجة زي كده

رجع عوض بظهره للخلف قائلاً :

- والله يا بت أبويا اليومين دول حصلت حاجات خلت نفوخ الواحد هيطير

باستغراب قالت فاطمة :

- حاجات، حاجات زي إيه

- كامل بيه ، لو شفتيه متعرفيهوش ، بقى حاجة تانية خالص ، تصوري بقى يقعد مع العمال ويهزر معاهم وياكل معاهم كمان

- سبحانه يغيرولا يتغير

- الغريب إني معرفش ماله من يوم ما رجع من مصر آخر مرة وهو فيه هم الدنيا كلها .

- ربك مبينساش حق عبيده ، مش يمكن ربنا بيخلص حق المسكين اللي جوه ده اللي حرمه من أمه ويتّم أبوه

أشار عوض إليها بالسكوت قائلاً :

- بس أحسن يسمعنا بس، اكفي ع الخبر مجور، ومتنبشيش في الرماد عشان تحت منه نار لو ولعت هتاخد القريب قبل الغريب

قالت فاطمة بحسرة :

- عندك حق يا أخويا .

وانصرف عوض تاركاً فاطمة مع معاناتها وعذابها لحال ولدها

*****

في بيت كامل وفي حجرتها جلست صفية أمام المرآه تفكر في ما يحدث لها تلك الأيام ، ما بها لماذا تجد لذة في قربه وخوفاً منه في نفس الوقت ، كانت فرصتها اليوم وهو يكلمها بكل صدق عن مشاعره كانت تصدقه في كل ما قاله وكان كل دقة من دقات قلبها تقول لها أصدقك ، أصدقك ، ولكن لم تجد سبباً لتركها له بدون أن ترد فقط لامت نفسها على ذلك ، كان مشاعرها مبعثرة تائهة ضائعة مزيج ما بين الحب والخوف ، الحب لأنه أول شخص دق باب قلبها ودقه بقوة ولكن لا تدري الخوف منْ مَن ؟ ومن ماذا؟ في كل يوم تنوي أن تكلمه وعندما تذهب للجامعة تجد نفسها تتهرب منه وتحد في السير حتى لا يراها وحتى لا تدع له فرصة للحديث معها ، كادت أن تجن .

في ذلك اليوم كانت صفية تعبر بوابة الجامعة لتجد سائق سيارتها ينتظرها في الناحية الأخرى من الرصيف ، بدأت تعبر الطريق وإذا بسيارة تسير بسرعة جنونية تصدمها وتجري وللصدفة كان حسن يفتح باب سيارته الصغيرة فإذا به يراها فينخلع قلبه ويجري نحوها كالمجنون وهو يصرخ :

- صفيا!!!!!!

وبسرعة حملها إلى سيارته قبل أن يعبر سائق سيارتها الطريق وانطلق حسن بسرعة إلى المستشفى والسائق خلفه ووصل للمستشفى وطلب الطوارئ فحملوها إلى غرفة العناية المركزة وحسن خارج الغرفة يدعو ويبتهل لكي ينجيها الله بسرعة كان خارج الغرفة أيضا السائق الذي لم يتكلم بشئ فقط كان يفكر في عقاب كامل له إذا عرف بما حدث لبنته ، وبعد نصف ساعة ينفتح الباب وتخرج منه ممرضة وهي تقول :

- محتاجين نقل دم بسرعة فصيلة O سالب

قال حسن بسرعة :

- انا فصيلتي كده ، أروح فين ؟
- اتفضل حضرتك معايا

جلس حسن على سرير بجوار صفية وحقنته الممرضة بإبرة بعد عمل الفحوصات اللازمة وبدأ الدم ينساب منه وهو يراه ولكن ذلك لم يكن يهمه في شيء المهم الآن أن يطمئن على حبيبة قلبه . خرج حسن من غرفة العمليات بعدما تم أخذ مقدار نصف كيلو من دمه وقد أعطت له الممرضة علبة من العصير كي يشربها واجلسته بالخارج وفي كل ذلك كان لسانه لا يفتر عن الدعاء لها بالشفاء .

بعد ما يقارب الساعة خرج الطبيب من الغرفة فهرع إليه حسن يسأله فقال الطبيب مطمئناً :

- الحمد لله، كان فيه نزيف وقدرنا نوقفه ، وفيه شوية كسور في ايدها اليمين ورجلها اليمين وجبسناها ، والحمد لله برضه الدماغ ماتأثرتش بالخبطة ، كلها ٢٤ ساعة وننقلها في أوضة عادية ، بس لحد ما الـ ٢٤ ساعة دول يعدوا ممنوع منعاً باتاً حد يدخلها

وانصرف الطبيب بعدما سمع جُلَّ عبارات الشكر من حسن الذي للتو بدأت أنفاسه في الانتظام ثم ذهب إلى السائق قائلاً :

- الحمد لله، الدكتور طمنا، عايزك تروح بالراحة تبلغ أهلها في البيت وأنا هستنا هنا لحد ما ترجع

قال السائق :

- حاضريا بيه ، بس حضرتك مين
- أنا الدكتور حسن ، الدكتور بتاعها في الجامعة

وانصرف السائق بسرعة وجلس حسن مكانه يلتقط أنفاسه وهو يردد :

- الحمد لله ، الحمد لله

*****

وقع الخبر على قلب رحمة قبل أذنها كالصاعقة وارتدت ما طالته يدها من ثياب وذهبت مع السائق إلى المستشفى ودخلتها وهي تجري حتى وصلت إلى حجرتها فمنعتها الممرضة في أن تدخل وقالت أن هذه أوامر الطبيب ، فذهبت بسرعة إلى حجرة الطبيب الذي حكى لها عن كل شيء وعن ذلك الشاب الوسيم الذي نقلها والذي تبرع لها بدمه ولم يخفي عنها كمية القلق التي كانت على وجهه، فشكرته

رحمة ثم انصرفت وجلست أمام الغرفة التي ترقد بها صفية حتى صبيحة اليوم الثاني حيث تم نقلها إلى حجرة عادية بعدما أمر الطبيب بذلك حين اطمئن وطمأن الجميع فدخلت الأم على صفية التي بدأت تسترد وعيها وقالت لها :

- ألف سلامة عليكي يا بتي إن شاء الله أنا وانتي لأ

بصوت واهن قالت صفية :

- ألف بعد الشر عليكي يا امي ، هو إيه اللي حصل

سردت عليها الأم التفاصيل كما سمعتها من السائق ومن الطبيب بشئ من الاختصار ولكن سألت سؤالاً لم تصبر حتى تتحسن حالتها حتى تسأله قالت :

- مين الدكتور حسن ده ؟

ارتبكت صفية حين سمعت اسمه وشعرت بقلبها يكاد أن يخرج من بين ضلوعها ثم قالت :

- ده اللي حكيتلك عنه قبل كده

أومأت الأم متفهمة ومتذكرة الحديث الذي دار بينها وبين ابنتها قبل ذلك فربتت على يد ابنتها التي سرعان ما ذهبت لنوم عميق ، كان كل ما يدور بخلدها أن تعرف هذا الذي فعل كل ذلك مع ابنتها هل حقاً يحبها ، كانت تتمنى أن تراه لتشكره أولاً على ما فعله مع ابنتها حيث أنقذ حياتها مرتين ، مرة حين نقلها للمستشفى ومرة أخرى حين تبرع لها بدمه وخاصة عندما علمت أن فصيلة الدم لابنتها نادرة وكان من الصعب أن يجدوها بسهولة ، وثانياً لتعرف حكايته وسر اهتمامه بابنتها ، دعت الله بأن تراه وكأن باب السماء قد فُتح للتو وصعدت الدعوة إلى السماء واستجاب لها المولى فوجدت الباب يطرق ثلاثاً ثم يدخل شاباً وسيماً ، خفق قلبها كثيراً عندما رأته لم تدري لماذا ؟ كان هناك شيئاً غريباً يصل بينهما ، تعرفون شعور الذي يرى

الشخص ويشعر أنه قد رآه قبل ذلك ، يُرهق ذاكرته في التذكر ولكنها لم تُسعفه ، هكذا كان شعور رحمة ، يجوز أنه كان يشبه عبد العال زوجها إلى حد ما ، يجوز أن به تفاصيلاً وملامحاً من ابنها الضائع ، كل الاحتمالات واردة .

كان هذا أيضاً شعور حسن، أحس تجاه هذه السيدة الجالسة بجوار صفية باحساس غريب ، تمنى لو يرتمي في حضنها ، وكأن القدر قرر أن يلعب لعبته فالاثنين الواقفين الآن هما أم وابنته الذان تفرقا عن بعضهما منذ أكثر من ٢٠ سنة ولكنها لا يعرفان ذلك ، هما يشعران فقط بشئ ما يجذبهما لبعضهما ، ولكن ماذا لو عرف حسن أنها أمه ، ماذا لو عرف أنه من يحبها هي أخته .

لم تستمر هذه الحيرة كثيراً حتى قالت رحمة :

- أهلا يا ابني اتفضل

تحرك حسن بخطوات ثقيلة ثم قال :

- السلام عليكي يا أمي

وقعت الكلمة على أذنها كانسياب الحرير، تمنت أن تقول له أن يعيد تلك الكلمة عليها ولكنها قالت :

- وعليكم السلام يا ابني ، انت الدكتور حسن

أومأ برأسه ثم قال :

- أيوه يا أمي أنا الدكتور حسن ، أخبار صفية إيه

قالها مرة أخرى، ليجعل رحمة تطير إلى السماء فقالت :

- الحمد لله يا ابني، أنا مش عارفة أشكرك إزاي على كل اللي انت عملته مع صفية ، الدكتور وعلي السواق حكولي على كل حاجة

اقترب حسن وأعطاها الورد الذي كان يحمله قائلاً :

- شكر إيه بس يا أمي، أنا معملتش غير الواجب ، وبعدين أي حد مكاني هيعمل كده ، الرجولة والجدعنة بيقولوا كده ولا إيه

التقطت منه الورد وسلمت عليه قائلة :

- ربنا يحفظك لشبابك يا ولدي

أمعن حسن النظر في صفية التي كانت نائمة ثم قال :

- أخبار الآنسة صفية إيه

- الحمد لله يا ولدي الدكتور طمني عليها ، قال كويسة مفيهاش حاجة بس عشان تقوم تمشي تاني على رجليها هتحتاج شوية وقت.

باستغراب واهتمام ظهرا على وجهه قال :

- وقت ... وقت قد إيه يعني

بحسرة ردت الأم :

- يعني تلات أسابيع، شهر

باستغراب قال :

- شهر... ده الامتحانات بعد أسبوعين

- مش مشكلة الامتحانات يا ولدي أهم حاجة تقوملنا بالسلامة

- ان شاء الله يا أمي ، بس حرام سنة تضيع عليها ، بصي إن شاء الله هعرف أتصرف إن شاء الله هحاول أخليهم يجيبولها لجنة في المستشفى

بامتنان ردت الأم :

- والله يا ولدي فيك الخير، ومش عارفين نودوا جمايلك دي فين

- جمايل إيه بس يا أمي ، هستأذن أنا .. الحمد لله أنا اطمنت عليها هبقى أجي بكرة عشان أقولكم أنا عملت إيه في موضوع الإمتحانات ده

ثم اقترب منها قائلاً :

- مش محتاجين حاجة كده ولا كده أجيبهالكم معايا ، بجد والله مش عزومة مراكبيا ولا حاجة

ردت رحمة بامتنان :

- تسلم يا ولدي، ربنا يبارك فيك ، ده بس كفاية تعبك معانا
- لا مفيش تعب ولا حاجة، سلامو عليكم

وانصرف حسن وترك الأم في حيرتها تجاه ذلك الساحر الملاك الذي سحر قلبها مثلما فعل مع صفية بالتأكيد ، ظلت تفكر فيه كثيراً ، لاحظت الشبه الذي بينه وبين أبيه ثم قالت لنفسها :

- يخلق من الشبه أربعين، وبعدين ده اسمه حسن ... لا لا

وعلى صوت تفكيرها العالي فتحت صفية عيناها ، فكان أول ما وقعت عليها عيناها ذلك الورد الذي بيد والدتها فقالت :

- إيه الورد الحلو ده

قالت رحمة بغمزة :

- عارفة مين اللي جابه
- ميييين ؟
- الدكتور حسن

كررت صفية الاسم باستغراب :

- الدكتور حسن !!!

ثم شخصت ببصرها في سقف الحجرة ، لا تدري خجلاً أم قلة حيلة فانتزعتها الأم من هذه الحالة وقالت :

- مالك يا بتي

- مش عارفة يا أمي، أنا ظلمت الدكتور حسن ده معايا، وعذبته كتير وتعبته كتير، عارفة آخر مرة كلمني قاللي إنه معجب بيا ونفسه يتكلم معايا ويتعرف عليا أكتر، بس أنا متكلمتش معاه وسيبته ومشيت ، مش عارفة انا اللي عملته صح ولا لأ ، بس ساعات بحس إنه قريب مني قوي وساعات ببقى خايفة منه وبهرب منه .

تنهدت الأم حين وضحت الصورة أمامها وقالت :

- أكيد يا بتي اللي عملتيه صح، مهو مش كل حد قالك عايز أتعرف عليكي تتكلمي معاه عادي، بس أكيد الدكتور حسن بعد الله عمله واللي بيعمله ده، أكيد يقصد خير

ثم تضرب رحمة ابنتها ضربة خفيفة بغمزة وقالت :

- شكله بيحبك يا بت

بخجل قالت صفية :

- بس يا أمي ... بس

ابتسمت رحمة حينما لاحظت حمرة الخجل على وجه صفية وقالت :

- خدي يا ستي الورد بتاعك

أمسكت صفية الورد بيدها السليمة وقربته من فمها واشتمته وأغمضت عيناها وتاهت في مملكة أخرى ، مملكة الحب والرومانسية ثم سألت :

- هوراح فين يا أمي

- مشي

بدون أن تشعر تغيرت ملامح وجهها للحزن لعدم رؤيتها له ثم أنقذتها والدتها فقالت:

- بس قال جاي بكرة، وقال كمان إنه هيكلمهم في الجامعة عشان يجوا يمتحنوكي هنا

وفجأة فُتح باب الحجرة ودخل كامل مسرعاً قائلاً :

- صفية ... عاملة إيه ، انتي كويسة

ردت صفية وقالت :

- الحمد لله أنا كويسة ، حمد لله على سلامتك يا أبوي

وقفت رحمة وقالت :

- حمد لله على سلامتك يا كامل ، انت مين اللي قالك ، أنا قولت أسيبك مشغلش بالك وأهي الحمد لله صفية كويسة

تساءل كامل قائلاً :

- هو إيه اللي حصل

كانت صفية على وشك أن تسرد لوالدها ما حدث ولكن رحمة سبقتها فقالت :

- اللي حصل حصل يا أبو عز ، المكتوب مكتوب ومفيش عنه مهروب ، وده نصيب ، والحمد لله البت كويسة

استسلم كامل لكلمات رحمة ثم قال :

- الحمد لله ،

ثم جلس بجوار صفية ووضع يده على جبهتها فأحست صفية بشعور غريب ، فقد كانت أول مرة يقترب منها كامل هكذا ، فكامل كان طيلة عمره جافياً في التعامل معها ، ولكن اليوم تشعر به قريباً ، قريباً جداً تشعر بحرارة أنفاسه ودقات قلبه

السريعة المتلاحقة ، فأمسكت يده بيدها السليمة وقربتها لفمها وطبعت عليها قبلة فطبع هو الآخر قبلة على جبينها بحب ثم قال :

- هتخرجي امتى من المستشفى إن شاء الله

ردت رحمة نيابة عن صفية قائلة :

- الدكتور قال مش قبل تلات أسابيع

- ياااااااااه تلات أسابيع

قالت رحمة :

- انت أكيد عطلت شغلك هناك، بقولك احنا هنا كويسين، وانت روح لشغلك وابقى نطمن عليك بتيلفون المستشفى

رد كامل باستنكار:

- إيه بتقوليه ده، إزاي أسيبكم في الظروف دي

قالت بطريقتها المعتادة والتي تنجح بها كالعادة في إقناعه :

- بص يا أبو عز، كده كده مش بيسمحوا للرجالة إنهم يباتوا في المستشفى واحنا مش محتاجين حاجة الحمد لله، علي كل يوم بيجي يشوف طلباتنا وبيمشي آخر اليوم ، فليه بقى تعطل شغلك

إلى حد ما اقتنع كامل بكلام رحمة ثم قال :

- ماشي، بس أنا كنت عايز أقولك على حاجة بس تعالي عشان البت نامت ، تعالي نتكلم بره

خرجت رحمة مع كامل وجلسا على مقعد خارج الغرفة فقال كامل :

- أنا احتمال أسافر بره مصر

باستغراب شديد قالت رحمة :

- بره مصر! .... ليه ؟

قال بدون أن ينظر إلى وجهها :

- شغل

وإلتفت إليها فوجدها ما زالت تنظر إليه غير مصدقة ما قاله فقال :

- مش هطول كتير، انتي خلي بالك من البت، وأنا هبقى أطمنكم عليا وأطمن عليكم من شويا للتانية

شعرت رحمة بالكذب في كلامه ولكن الموقف لا يسمح بأي معارضات فما كان منها إلا أن قالت :

- تروح وتيجي بالسلامة

ثم ودعها كامل وغادر دون أن حتى أن يدخل ويسلم على ابنته فدخلت هي لتجد ابنتها استيقظت وتبحث عنها فأسرعت إليها وقالت :

- عاملة دلوقتي يا بتي

قالت صفية وعيناها تدور في أرجاء الغرفة :

- امال أبويا راح فين

ردت الأم قائلة :

- معلش يا بتي ، أبوكي بس مشغول اليومين دول ، وأكيد انتي شايفة ده ، بس هو اطمن عليكي وسافروهيرجع تاني قريب

تفهمت صفية الأمر وقالت :

- ربنا معاه يا أمي .

*****

في اليوم التالي استيقظت صفية في حال أحسن من الأمس، كانت تشعر بتحسن في كل شيء ، ولكنها ظلت تفكر فيه، والدتها قالت أنه سيأتي اليوم، الساعة الآن قاربت على الحادية عشر لما لم يأت حتى الآن، هل سيأتي أم أنه سينساها، شعرت بشوق غريب وكبير لرؤيته، حاولت أن تسيطر على مشاعرها ولكنها فشلت فشل كبير حتى لاحظت والدتها ذلك فقالت :

- مالك يا صفية ، انتي تعبانة ؟

ارتبكت صفية وقالت :

- لا .... لا .... مفيش

وبعد دقائق من الصمت قالت صفية :

- هو الدكتور حسن مش قال إنه هيجي النهارده

نظرت إليها رحمة بدهشة ولم تنطق ، فشعرت صفية بالحرج فقالت إنقاذاً للموقف :

- أنا بس قلقانة على موضوع الامتحانات

ابتسمت رحمة وقالت :

- امتحاناااااااات ، امتحانات برضه

ابتسمت أيضاً صفية عندما شعرت بأن والدتها تفهما فقالت :

- أيوه امتحانات ، امال هيكون إيه يعني

وبينما هم كذلك إذ يُطرق باب الغرفة ثلاثاً ، فتقول رحمة :

- ادخل

فُتحَ الباب ودخل حسن فتهلل وجه صفية وكذلك رحمة وكأن قلبيهما قد جُمعا وجُبلا على حب ذلك الـ حسن ، وقبل أن ينطق قالت رحمة :

- يا مرحب يا ولدي

اقترب حسن وقال :

- يا مرحب بيكي يا ست الكل، صباح الخير... أولاً أنا آسف عشان اتأخرت ، بس كان معايا محاضرة خلصتها وبعدين روحت للعميد وكلمته على موضوعك يا صفية والحمد لله الدكتور وعدني إنه هيتصرف وطمني

ردت صفية بفرحة قائلة :

- الحمد لله ، يعني كده السنة مش هتروح عليا

قالت رحمة :

- الحمد لله يا ولدي إنك طمنتها، دي من أول ما صحيت من النوم وهيا قلقانة عشان الموضوع ده

ثم قالت صفية وعيناها للأسفل :

- أنا مش عارفة أقللك إيه يا دكتور حسن عشان كله اللي عملته واللي بتعمله عشاني ده

ابتسم حسن ثم قال :

- هو أنا لسه عملت حاجة ، أنا لسه هعمل كتير

نظرت إليه بطرف عينها فقد كانت لا تجرؤ أن تنظر لعينيه ثم قالت :

- هتعمل إيه ؟

جلس حسن على مؤخرة السرير وهو يمد يده بأوراق قائلاً :

- دي يا ستي المحاضرات اللي فاتتك ، أنا جمعتهالك كلها وكمان هشرحالك محاضرة محاضرة ، ومش بس كده ، من النهارده لحد ما تطلعي بالسلامة وتقفي على رجلك أنا هاجي كل يوم أجيبلك المحاضرات واشرحهالك

عمَّ السكون الغرفة ، لم تدرِ صفية أو رحمة ما يقولونه لهذا الذي فعل وما زال يفعل الكثير والكثير ، إنه ملاك في صورة البشر، لأول مرة في حياتهما يصادفون شخصاً كهذا ، لم تستطع رحمة الصبر عما يدور بداخلها من أسئلة فقالت :

- ممكن يا ولدي ، أسألك سؤال كان نفسي أسأله من يوم ما شفتك

بقبول تام قال حسن :

- طبعاً طبعاً يا أمي

اعتدلت رحمة في جلستها ونظرت للأسفل قليلاً لترتب كلماتها ثم قالت :

- ممكن أعرف انت بتعمل معانا كل ده ليه

قال حسن بدون أن يفكر:

- هتصدقوني لو قولتلكم مش عارف

نظر كل من رحمة وصفية إلى بعضيهما في استغراب ثم قالت رحمة :

- يعني إيه مش عارف ، فيه حد بيعمل كل اللي انت بتعمله من غير مقابل وكمان مش عارف بتعمله ليه

استجمع حسن قواه ثم وقف وقال :

- من أول مرة شفت فيها صفية، وأنا حسيت بحاجة غريبة تربط بيني وبينها ، معرفش إيه الحاجة دي ، من أول نظرة حسيت نفسي مش قادر أشيل عيني من عليها ، أنا والله عمري في حياتي ما بصيت على بنت ، أنا أبويا الله يرحمه رباني على القيم والأخلاق ، وأمي ربنا يديها طولة العمر عرفتني من وأنا صغير إيه الصح من الغلط ،

ثم توجه بناظريه إلى صفية قائلاً:

- أنا معرفش يا صفية انتي عملتي فيا إيه، تقدري تقولي سحرتيني ، ملكتيني ، جننتيني ، بقيت كل يوم بلف في الجامعة زي المجنون أدور عليكي ، وأديني يا ستي أهو بقولهالك قدام مامتك ، انا بحبك وعايز أتجوزك

وقفت رحمة بعد هذه الكلمة وقالت مستفسرة :

- تتجوزها؟ كده من غير ما تعرف هيا مين أو منين، من غير ما نعرف انت مين

اقترب قليلاً ثم قال :

- أنا اسمي حسن جلال، معيد بكلية العلوم، أبويا الأستاذ جلال الله يرحمه كان موظف بوزارة التربية والتعليم، وأمي اسمها فاطمة ست بيت، احنا ملناش أهل غير الحج حسين اللي أنا طلعت ع الدنيا ولقيته جارنا وخالوا اللي مش بنشوفه غير مرة كل كام سنة ، دي كل حاجة عني ، أما عن صفية فأنا مش عايز أعرف غير إني حبيتها ومش عايز غيرها

جلست رحمة لا تدري ما تقول فأكمل حسن :

- أنا كل اللي عايزه دلوقتي كلمة منك ومنها بالموافقة وأنا هستناها لحد ما تخلص جامعتها ، عايزين نعمل خطوبة دلوقتي مفيش مانع

قالت رحمة بحيرة :

- يا بني الكلام ده كله سابق لأوانه ، مش معقول كده

قال حسن :

- غصب عني والله يا أمي، أنا عارف إني تقلت عليكم بس والله أنا نيتي خير وبالحلال ، أنا مش بطلب منكم حاجة دلوقتي فكروا براحتكم، بس طبعاً بعد

إذنكم أنا هعمل اللي قولت عليه ، هاجي كل يوم عشان أطمن على صفية وأجيبلها الحاجات اللي فايتاها

وقفت رحمة واقتربت منه وكان حسن مع كل خطوة تقتربها منه رحمة قلبه يرتعش خائفاً ، وما إن وصلت إليه حتى ابتسمت وربتت على كتفه ، كانت ابتسامة كفيلة تخبرها بأنها موافقة مبدئية على طلبه فرح كثيراً كان يتمنى أن يقبل يدها ولكنه تراجع وجلس بجوار صفية على سريرها وبدأ يسرد لها مواضيع المحاضرات والشرح المفصل والواف لكل محاضرة على حدة .

مرت الأيام تلو الأيام وحسن لم يتأخر يوماً عين ميعاده كان يفرغ من محاضراته في الجامعة ويذهب إليها في المستشفى ليشرح لها كل المحاضرات ، كان يقضي معها يومياً ما يقارب الثلاث ساعات ، كانت صفية لا تمل ، بل تود أن يطول الوقت أكثر من ذلك ، كانا في وسط الشرح يتطرقان للحديث في مواضيع أخرى مواضيع كثيرة متنوعة ، كان في كل يوم يزيد إعجاب حسن بها وبشخصيتها وكذلك هي كانت كل يوم تشعر به أكثر، تشعر بحبه ، بطيبته ، تنبهر بذكائه بأسلوبه الجميل في الحوار، تُعجب بعقله بأدبه بخلقه .

كانت رحمة كذلك متعلقة به ، أحبته كما ابنها وفي الحقيقة هو ابنها ولكنها لا تعلم ، إنه قلب الأم من أول مرة وقعت عينها عليه وهي تحبه وتحترمه لما يفعله معها ومع ابنتها .

وأيضا حسن بالرغم من الإرهاق الذي كان يتعرض له في تلك الأيام إلا أنا كان سعيد بذلك أيما سعادة ، وفرحاً بذلك أيما فرح .

في يوم من الأيام لاحظت فاطمة تغير حالة ابنها فسألته ما بها فحكى له كل شيء من البداية للنهاية ، كانت فاطمة سعيدة لأن ولدها أخيراً رضخ لطلبها وبدأ يفكر في الزواج ، كانت في البداية رافضة ذلك عندما عرفت أنها ما زالت في الصف الأول من التعليم الجامعي بحجة أنها صغيرة ولكن إصرار حسن جعلها توافق .

*****

مرت الثلاثة أسابيع وكُتب لصفية خروج من المستشفى ولكن ما زالت تجلس على كرسي متحرك فالطبيب أمرها ألا تمشي على قدمها لمدة لا تقل عن أسبوعين ، وبالفعل أخذتها رحمة لبيتها ومعها حسن ليطمئن عليها ثم استأذن حسن وانصرف بعدما اطمئن عليهما .

جاء عوض ليسأل على صفية ولكن مشيئة السماء جعلت حسن يغادر قبل أن يأتي عوض فدخل عليهما وقال :

- ألف حمد لله ع السلامة يا ست صفية، سلامة الهانم الصغيرة يا ست رحمة

ردت رحمة :

- الله يسلمك يا عم عوض

- مقولتليش ليه إنكم جايين النهارده كنت جيت أخدتكم بنفسي

ردت رحمة بامتنان :

- يا عم عوض كفاية عليك الأرض وبلاويها، أنا عارفة إن كامل سايبلك هنا الجمل بما حمل، وبعدين ما انت كنت تيجي تطمن علينا من من يوم للتاني ومقصرتش في حاجة

- طب الحمد لله أنا اطمنت ع الست صفية ، أروح أنا أشوف ورايا ، ألف سلامة عليكي مرة تانية يا قمرتنا

كان عوض بالنسبة لصفية بمثابها عمها الشقيق فدائما كانت تلعب معه وهي صغيرة وكثيراً وكثيراً ما كانت تخرج معها ليجلب لها طلباتها من المدينة أكثر من أبيها نفسه ، كانت تحب طيبته وخوفه عليها فقالت له وهو يغادر الحجرة :

- تسلملي يا عم عوض، ربنا يبارك فيك

ثم غادر عوض الحجرة وتمددت صفية على سريرها بمساعدة رحمة ثم قالت صفية :

- لا قَعَّديني يا أمي عايزة أذاكر
- مذاكرة إيه بس ارتاحي شويا

وهي تحاول أن تجلس بمفردها قالت صفية :

- لا أمي، انتي نسيتي إن حسن قاللي إن الامتحانات الأسبوع اللي جاي، مفيش وقت

عندما سمعت رحمة اسم حسن صمتت قليلاً تفكر، كيف سيأتي حسن إلى القرية وماذا سيقول أهل القرية، وألسنة أهل القرية لا تكف عن الغمز واللمز ، ولكن بعد قليل من التفكير قالت لنفسها بدون أن تسمع صفية :

- يتحرقوا الناس، أهم حاجة مصلحة بتي

لاحظت صفية شرود والدتها فقالت لها :

- مالك يا أمي

وقفت الأم وأحضرت بعض الكتب لصفية وأعطتهم إياها وجلست بجوارها تفكر، أمسكت صفية بالكتب وبدأت في المذاكرة وبعد قليل لاحظت شرود والدتها فقالت لها :

- فيه إيه يا أمي

قالت الأم بفروغ صبر:

- مش عارفة يا صفية، بفكر لما يجي أبوكي، هنقولوله إيه بخصوص الدكتور حسن وياترى ممكن يعمل إيه ، وهيقول إيه

- هو احنا بنعمل حاجة غلط

وقفت رحمة وقالت :

- الغلط والصح عند أبوكي غير الناس كلها ، أبوكي ليه موازيين غير الناس كلها ، انتي متعرفيهوش زيي

ثم صمتت عن الكلام ، تذكرت ما فعله معها كامل قبل ذلك حين طلب منها أن يتزوجها وهي على ذمة رجل آخر، وحين قُتل عبد العال زوجها الأول وكانت تشك في أنه هو من قتله ، لا تدري لما تذكرت هذه الذكريات في هذا الموقف ولكنها كانت تخشى من رد فعله مع حسن ، فحسن من أسرة ميسورة الحال وكامل من أغنى الأغنياء ، كانت تخشى أن يرفض زواجه من صفية ، وبذلك تكون السبب في تحطيم قلبين وجدا الحياة في بعضهما ، لم تكن تجرؤ على التفوه بمثل هذه الأشياء بل رأت أنه من الحكمة عدم سبق الأحداث .

مر قرابة العشرة أيام وبالفعل وافقت إدارة الجامعة على ارسال لجنة من الجامعة لإمتحان صفية في منزلها لظروفها المرضية بعد تدخل أكيييد من حسن وكان حسن بعد كل امتحان يذهب إليها ويراجع معها الإمتحان .

انتهت فترة الإمتحانات، ولم يجد حسن سبباً لزيارتها فاكتفى بالاتصال التيلفوني بها يومياً ليطمئن عليها .

في طيلة الأيام السابقة كان كامل بين الحين والحين يهاتف رحمة ليطمئن عليها وعلى ابنتها ويعرف أخبارهم أولاً بأول ولكن عندما علم أنهما عادا إلى المنزل لم يتصل بهما من يومها .

وانتصف أجازة آخر العام وكامل لا يعرف عنه خبر، كان القلق يسود الموقف في بيت كامل ، في أرضه ، أكثر من شهر ونصف وانقطعت اتصالاته حتى استدعت رحمة عوض وحين أتى قالت له :

- انت تعرف يا عوض الناس اللي كان بيشتغل معاهم في مصر
- مش كلهم يا ام عز، الفترة الأخيرة دي زي ما جنابك عارفة هو وكلني شغل البلد والأرض ومكانش بياخدني معاه زي الأول

أومأت رأسها متفهمة وقالت :

- طب ممكن أطلب منك خدمة
- طبعا طبعا ، رقبتي يا أم عز
- عايزاك تروح للناس اللي انت كنت تعرفهم وكان يشتغل معاهم ، بس متحسسهمش إنك رايح تسأل عليه ، عشان هو لو عرف حاجة زي كده هيزعل ، هو قال آخر مرة إنه مسافر بره مصر بس معرفش ليه ولما سألته قاللي شغل

حكَّ عوض ذقنه بيده ثم قال :

- هو واحد بس ممكن يقولنا كامل بيه فين

بلهفة قالت رحمة :

- ميييين ؟

- سعفان بيه ، كان شريكه في كل حاجة ودايما كانوا بيشتغلوا مع بعض
- طب ممكن أتعبك وتروح تسأل اللي اسمه سعفان ده يمكن يطمنا عليه
- من عنيا يا أم عز

وانطلق عوض من فوره إلى القرية المجاورة حيث يسكن سعفان واستأذن في الدخول وقابل سعفان الذي تذكره قائلاً :

- إزيك يا عوض فينك يا راجل ، ليا فترة مش بشوفك

رد عوض بامتنان :

- في الدنيا والله ، الله يعزك يا سعفان بيه

سأل سعفان بدهشة :

- بس إيه سر الزيارة الغريبة دي يا عوض

بتردد قال عوض :

- والله يا سعفان بيه، أنا جاي أسألك عن كامل بيه، بقاله فترة مختفي ومنعرفش عنه حاجة، فقولت أكيد جنابك تعرف عنه حاجة كده ولا كده بحكم انكم شركا وعلى طول بتكونوا مع بعض

أطلق سعفان ضحكة عالية استغرب لها عوض فأنقذه سعفان من حيرته قائلاً :

- بص يا عوض، كامل من بعد ما اتعرف على الناس بتاعة مصر وهو مش بيشتغل معايا وده من فترة كبيرة أوي، وياما حذرته منهم ومن الشغل معاهم ، بس هو مسمعش كلامي

- طب جنابك متعرفش الناس دي فين وأنا هروح أسأل عندهم

وقف سعفان وبعد تردد قال :

- أنا هديك اسم وعنوان كام واحد من اللي أنا أعرفهم

بامتنان قال عوض :

- ربنا يكرم أصل جنابك

أخذ سعفان الورقة التي بها العناوين وانطلق يخبر رحمة بأنه سيسافر يسأل عنه

*****

قرر حسن أن يذهب لزيارة صفية في بيتها لسببين ، فالاول لكي يكون أول من يخبرها بنجاحها والثاني لأنه أحس بالاشتياق لها ، فاستقبلته الأم وكذلك صفية بحفاوة وفرحة ولكنه شعر بأن فرحتهما ينقصها شيء شعر بهما شيء ما لا يعلمه ، وكأنهما يخبيان شيء ، شعر بأن مجيئه هو سبب ذلك الشعور الذي انتابهم فقال :

- أنا زيارتي دي دايقتكم يا جماعة

ردت رحمة بسرعة :

- لا أبداً يا ولدي ، بس احنا بنمر بظروف وحشة اليومين دول

باستغراب قال حسن

- ظرووووف !! ظرووووف إيه دي ، ممكن أعرفها ده لو فعلاً معتبريني واحد من العيلة

- متشغلش بالك يا ولدي ، المهم الله يبارك فيك ، نجاح صفية ده يرجع الفضل ليك انت بعد ربنا ، والله مش عارفين نشكرك إزاي

بامتنان رد حسن :

- شكر إيه بس، أنا معملتش حاجة، وبعدين دي أقل حاجة أقدمها لصفية

نظر إلى صفية التي أخفضت جبينها في الأرض خجلاً فأكمل :

- أنا كنت عايز أقابل الحج أبو صفية عشان أطلبها منه رسمي

أغرق حسن الجرح الغائر بمزيداً من الملح ليكويه فلاحظ التغيُّر الذي طرأ على وجهما فسأل قائلاً :

- فيكم إيه يا جماعة متقولوا متقلقونيش

وقفت رحمة وسارت في اتجاه معين حتى وقفت أمام صورة لكامل وقالت :

- أبو صفية سافر بره مصر في شغل من أكتر من شهرين ولسه منعرفش حاجة عنه ، وحتى مبيتصلش بينا

تفهم حسن الأمر فقال :

- الغايب حجته معاه ، وإن شاء الله هيرجع

ردت رحمة بيأس :

- إن شاء الله يا ولدي ، إن شاء الله

استأذن حسن بعد جلسة لم تطول لظروف المنزل وانصرف مودعاً صفية ورحمة

*****

- بعد فترة غياب دامت لأربع أيام عاد عوض حاملاً معه أخباراً ليست جيدة بأي حالٍ من الأحوال ، فقد أخبر رحمة أن كامل خارج البلاد لإجراء الكشف وبعض الفحوصات الطبية تمهيداً لعملية قد يضطر إلى إجرائها ، كان هذا كل ما استطاع عوض الحصول عليه من معلومات ، كان الخبر كالزلزال على قلب رحمة ، فطلبت من عوض ألا يخبر بذلك أحد حتى ابنتها صفية التي بالطبع سألت بعد مغادرة عوض :

- فيه جديد عن أبويا يا أمي

تصنعت رحمة الفرح قائلاً :

- خيركل خير، أوبكي مسافروراجع قريب

فرحت صفية كثيراً لذلك، وتركت والدتها وانصرفت، وظلت رحمة جالسة مكانها تندب حظها وتدعو الله أن يُرجع لها زوجها سالماً .

مر أسبوع آخر ولا شيء جديد عن كامل ، وفي الأسبوع الذي يليه في فجر أحد الأيام ، استيقظت رحمة وكل من في المنزل على صوت طرق شديد ، فتحت الباب فإذا بسيارة إسعاف تقف أمام الباب ويفتح بابها ويخرج منه عاملان يحملان سرير يرقد عليهما كامل فاقد النطق والحركة ، وحينما رأت رحمة المنظر صرخت وجرت عليها ففتح عينيه مشيراً لها بالسكوت فوضعت يدها على فمها ، فأشارت لمن يحملون السرير إلى الأعلى حيث غرفة كامل ، وبالفعل تحركا إلى الأعلى يحملون كامل وأرقداه على سريره وانصرفا تاركين الجميع في حيرة لأمر كامل .

ظلت رحمة وكذلك صفية جالسون حول كامل الذي ذهب في سبات عميق وكأنه لم يذق النوم منذ ليالي ثم فتح عينيه وقال :

- عطشاااان

بسرعة جرت رحمة وأحضرت كوباً من الماء ، شربه كامل بنهم ثم قالت :

- بالهنا والشفا

ثم قالت صفية :

- حمد لله على سلامتك يا أبوي

أومأ كامل برأسه ثم تكلم بنفس متقطع :

- روحي يا صفية نامي انتي سيبني مع أمك شويا

أذعنت صفية بسرعة للأمر فغادرت الحجرة وأغلقت الباب خلفها فقالت رحمة :

- خيريا أبو عز، كده قلقتنا عليك

اعتدل كامل في جلسته ثم قال :

- مفيش فايدة يا رحمة ، كل الدكاترة قالت مفيش فايدة، حتى دكاترة بره ، المرض عمال ينهش في جسمي وقرب يخلص عليه

لم تستطع رحمة أن تكتم دمعة فرَّت من عينيه قالت :

- متقولش كده يا أبو عز، احنا ملناش غيرك في الدنيا

أمسك يدها قائلاً :

- اسمعي اللي بقولك عليه ، أنا لو عيشت النهارده مش هعيش بكرة ، أنا عايز أطمن على البت وعليكي قبل ما أموت

انخرطت رحمة في البكاء ثم قالت :

- بعد الشر عليك ، كفاية

دخل كامل في نوبة من الكحة انخلع لها صدره ثم قال :

- أنا ظلمت ناس كتير في حياتي يا رحمة ، وخايف قوي من مقابلة ربنا

ربتت رحمة على كتفه قائلاً :

- ربنا غفور رحيم ، وبيسامح

عايزك تخلي بالك من الواد والبت .

- تذكرت رحمة الدكتور حسن فقررت أن تخبر زوجها عنه، ترددت ولكن قالت :

فيه حاجة كده حصلت ولازم تعرفها

باستفهام قال كامل :

- خير إن شاء الله

قصت رحمة على كامل ما حدث بالتفصيل بدون إيجاز ، قالت له كل شيء من بداية ما رأى حسن صفية وإلى أن نجحت في الامتحانات بسببه وبسبب ما فعله معها فقال :

- ياااااه باين عليه الواد ده طيب وابن حلال، بس انتي بتقولي الواد ده من أسرة فقيرة وعلى قد حالها، يعني مش من مقامها ولا مستواها، أنا نفسي أجوزها حد غني زيها، مش يمكن الواد ده طمعان في فلوسها

ابتسمت رحمة وقالت :

- انت بتقول الكلام ده عشان مشفتهوش، إنما لو شفته والله هتحبه زي ما كلنا حبيناه

ظهر الغضب على وجه كامل ، أحست رحمة أنه استعاد جبروته حين قال :

- حبتوه ، جرى إيه يا رحمة ، هو أنا أغيب يومين عن البيت ، تقلبوه سيما

ارتجفت رحمة فقالت بضعف :

- والله ما كده يا أبو عز، بس الواد طيب وابن حلال وعلى فكرة هو لما عرفها مكانش يعرف هي مين ولا بنت مين ، وبتك بتحبه ورايداه

نظر إليها كامل نظرة جعلتها ترتجف خوفاً وقال :

- عال والله عال، بت كامل بيه، بتحب ومش بعيد تكونوا قريتوا الفاتحة من ورايا

- لا عيشنا ولا كنا يا أبو عز، أنا قولتلك كل اللي حصل ، والله ما فيه حاجة تانية حصلت

- أنا مش موافق ، وبتي مش هجوزها غير حد أنا أختاره ، يكون مناسب ليها ، غني زيها ،

كان رد فعل كامل متوقع إلى حد ما بالنسبة لرحمة، وكانت تخاف من هذه المواجهة ، ظلت تفكر في طريقة لتقنعه بها ، فاندهش كامل لسكوتها فسألها :

- ساكتة ليه

بعد تفكير قالت :

- أقول إيه

سأل كامل :

- انتي شايفة إيه

شايفة إنك تشوف الواد وبعدين تقول رأيك، والله الواد طيب وابن حلال ويستاهل كل خير ، وبيحب البت وهيسعدها ، والله مش هيخليها محتاجة حاجة ، وبعدين ده دكتور في الجامعة يعني مستقبله حلو ، وإن كان ع الفلوس خير ربنا كتير ، وغلاوتنا عندك يا كامل متكسرش قلب البت متعلقة بيه وهو متلعق بيها ، أبوس إيدك متحرمهمش من بعض

بدا على وجه كامل الرضوخ لرغبة رحمة فقال :

- عشان خاطرك انتي بس هشوفه ويجيلي لوحده

ظهرت الفرحة على وجه ورحمة وقالت :

- ربنا يخليك لينا وميحرمناش منك ابداً يارب

كانت هذه الدعوة بمثابة شرارة أشعلت النار في قلب كامل ، فهو يعرف أن أيامه في الدنيا معدودة .

*****

فرح حسن كثيراً أولاً بخبر رجوع والد صفية وثانياً بطلبه لمقابلته ، ولم يتردد في أن يذهب ليقابله ، كانت رحمة قد أعطته فكرة أن كامل بحالة صحية غير جيدة

حتى يكون على علم ، دخل عليه الحجرة فاعتدل كامل مبتسماً ولكن حين رآه شعر بشئ ما في صدره ، شعر بأنه قد رآه قبل ذلك الحين ، بالطبع فقد كان حسن يشبه أباه الحقيقي عبد العال إلى حد كبير ولكنه لم يخطر على باله عبد العال ، وكذلك حسن حين رآه شعر بغصة في قلبه ، شعر أيضا بشئ ما في صدره تجاهه على عكس الإحاس الذي احسه حين رأى رحمة ولكنه ابتسم وجلس على كرسي بجوار كامل وقال :

- ألف سلامة عليك يا حج

رد كامل بامتنان :

- الله يسلمك يا دكتور حسن، الجماعة حكولي على انت عملته، كنت حابب أشكرك بنفسي

رد حسن قائلاً :

- تشكرني إيه بس، أنا معملتش غير الواجب، وأي حد مكاني كان هيعمل كده

أومأ كامل قائلاً :

- فعلا أي حد مكانك كان هيعمل كده

كانت الكلمة تحمل الكثير من المعاني التي لم يفهمها حسن ولكنه تجاهلها قائلاً :

- أنا مصدقتش نفسي لما قالولي إن حضرتك عايز تقابلني

- ياااه ، ليه يعني

للمرة الثانية يتكلم كامل بكلمات تحمل الكثير من المعاني، شعر بأن الموضوع ليس مبشراً وأنه في طريقه إلى شيء ليس جيداً ، ولكنه أصر أن يكمل الحوار لآخره فصمت حتى لاحظ كامل ذلك فقال :

- ساكت ليه ، اتكلم قول اللي في نفسك

نظر حسن بطرف عينه في حيرة لا يدري ماذا يقول ؟ فقرر أن يقطع العرق ويسيح دمه فقال :

- أنا مبحبش اللف والدوران ، عشان كده حضرتك هخش في الموضوع على طول

قال كامل باهتمام :

- كلام جميل

أكمل حسن :

- أكيد حضرتك هو حكولك على اللي حصل كله ، أنا من أول ما شفت صفية وأنا عايزها من قبل حتى ما أعرف حتى اسمها ولا هي مين ولا بنت مين ، ومن يومها وأنا قررت إني هعمل المستحيل عشان تبقى ليا

نظر إليه كامل وبعد ثواني من الصمت المرعب قال :

- انت تعرف إيه الرد الطبيعي لموقف زي اللي احنا فيه ده

فهم حسن ما يرنو إليه كامل فقال :

- عارف ، ومتوقع حاجة زي كده

- طب ولو قولتلك كده هتعمل إيه

بدا الخوف يسلك طريقه إلى قلب حسن فقال :

- أنا عشمان في كرم حضرتك، أنا والله لا أنا طمعان في فلوس صفية ولا في أي حاجة ، أنا مش عايز حاجة من الدنيا غيرها هي

- مردتش عليا لو رفض طلبك هتعمل إيه

ارتبك حسن قليلاً ثم قال :

- مش هعمل حاجة، هعمل إيه يعني، بس حضرتك تبقى حكمت عليا بالموت أنا وكمان صفية

- ياااااااه وانت كمان متأكد من إن صفية برضه هتموت عليك

- أنا بحاول أفهم اللي بيدور في دماغ حضرتك ومش عارف

ضحك كامل ضحكة انقلبت بكحة خفيفة فقال :

- بيقولوا عليك إنك زكي ولماح

- آه بس بصراحة زكائي مش قادر يوصلني لدماغ حضرتك

قالها حسن مغازلةً وتلطيفاً للأجواء الملتهبة فرد كامل :

- ليه يا ولدي، ما علينا، حسن يا ولدي نتكلم جد شويا

- ياريت

- أنا هقولك حاجة يمكن محدش غيرك يعرفها

باهتمام قال حسن :

- خير إن شاء الله

اعتدل كامل في جلسته ثم قال :

- انت طبعا عندك علم بإني تعبان شويا

- ربنا يشفيك يارب ويبعد عنك أي أذى

- ممكن أكمل كلامي ومتقاطعنيش

- حاضر، اتفضل حضرتك

- أنا كنت بره عشان أتعالج وللأسف كل الدكاترة قالت إن أيامي في الدنيا معدودة

كان حسن على وشك أن يتحدث فاشار له كامل بالسكوت وأكمل :

- أنا عايز أموت وأنا مطمن على رحمة وبتي وابني الـ

سكت كامل قليلاً ثم قال بحسرة :

- المجنون ، تفتكر انت الحد اللي ممكن أكون مطمن وأنا سايبله كل حاجة في حياتي ، أنا محتاج حد يبقى مننا هنا ، يعيش هنا ياخد باله منهم ومن الأرض والتجارة ولا إيه

- أنا مش عارف أقول إيه، بس أنا عمري ما كنت هقصر في حاجة لا ناحية صفية ولا الست ولا حتى عز ، بالعكس أنا اللي الفترة اللي قضيتها معاهم كانت أحلى أيام حياتي ، ثق فيا يا كامل بيه ، عشان أنا معرفتش في حياتي غير صفية أنا مستعد أبيع عمري كله عشانه

ابتسم كامل لكلمات حسن ثم قال :

- معرفش ليه يا واد انت حاسك واد جدع وابن حلال

تهلل وجه حسن ثم قال :

- أعتبر دي موافقة مبدئية

أومأ كامل بالموافقة فوقف حسن واحتضنه بشدة، ويا لسخرية القدر الشخص الذي كلف من يقتله الآن يحتضنه بحب

- خرج حسن والفرحة تكسو وجهه فوجد صفية ورحمة بالاسفل في تطلع وفضول رهيب لمعرفة نتيجة هذا اللقاء الحاسم المصيري ، وقد عُرفت النتيجة من أول ما خرج حسن من الغرفة ولاحظوا الابتسامة تكسو وجهه ، كادت رحمة أن

تطلق زغروتة ولكنها تراجعت عنها . استأذن حسن وغادر البيت ليبشر والدته وعندما خرج من الباب ركب سيارته وتحرك بها وإذا بعوض يسير في الشارع فلمح حسن داخل السيارة فأشار له ولكن حسن لم يلاحظ ذلك وأكمل طريقه فقال عوض لنفسه :

- يا ترى إيه اللي جايبك هنا يا حسن ، جيب العواقب سليمة يارب

ثم أكمل طريقه وهو ينوي أن يذهب لأخته ليفهم ماذا يحدث ولكن بعدما ينهي بعد مشغولياته .

*****

أخبر حسن والدته بمستجدات الأمور ففرحت كثيراً ، ولكن سرعان ما اختفت حين اخبرها عوض بأنه رأى حسن في القرية ، كان حسن حين ذاك في الجامعة حين جاء عوض وأخبرها بذلك قائلاً :

- حسن كان في البلد بيعمل إيه، أنا اتخايلت بيه هناك ومش عارف هو ولا لأ

ردت فاطمة باستغراب :

- البلد .... إيه اللي هيوديه البلد ، يكونشي

ثم سكتت فاطمة وكأن صاعقة ما ضربت قلبها فقال عوض قلقاً :

- يكونشي إيه يا فاطمة ، ما تحكي

قالت فاطمة :

- يكونشي البت اللي عايزيخطبها حسن من البلد دي

باهتمام قال عوض :

- يخطبها ، مين دي اللي هيخطبها

- واحدة شافها في الجامعة وحصلت حاجات كتيرة، المهم يعني هو حبها وهي حبته وراح خطبها من ابوها وأبوها وافق

رجع عوض للوراء بظهره ثم قال :

- يعني يا حسن يا ولدي ملقتش غير البلد دي اللي تحب وتخطب منها ، أنا خايف والله يا بت أبويا أحسن كامل يشوفه .

ارتجفت فاطمة حين سمعت اسم كامل وقالت :

- يا حزني يا ولدي، طب وتفتكر يا عوض يا أخويا كامل ممكن يعمل إيه لو شافه

- مش عارف والله، كامل اليومين دول التعب هده ، مبقاش زي الأول وبعدين دلوقتي الواد اسمه حسن ، لو حصلت أي مواجهه نقول يخلق من الشبه أربعين

رفعت فاطمة يدها للسماء وقالت :

- ربنا يحميك يا ولدي من كل شر

اقترب عوض قائلاً :

- متقدريش يا فاطمة تخليه يغير رأيه ويختار أي بت تانية وأنا أجوزهاله إن شاء الله حتى تكون بت مين

- حاولت يا ولدي كتير مفيش فايدة ، الواد متعلق بيها قوي

- جيب العواقب سليمة يارب

- يارب

*****

- تم تحديد موعد ليزور حسن ووالدته بيت العروس واتفق حسن مع عوض أن ينتظره في أول القرية ليذهب معهم ، وبالفعل تقابل حسن ووالدته مع عوض وبدأ حسن في طريقه لبيت كامل ، كان مع كل خطوة يمشيها حسن بالسيارة يخفق قلب عوض حين وجد حسن ينطلق بالسيارة في الطريق لبيت كامل ولكنه ظنَّ أن بيت العروس قريباً من بيت كامل ، أوقف حسن السيارة أمام بيت كامل وضغط على آلة التنبيه فسأل عوض :

- انت وقفت ليه هنا

فُتح باب ودخل حسن بسيارته وهو يقول :

- ما هو ده بيت العروسة

صاعقة حلت بعوض فقال :

- انت متأكد إن هو ده بيت العروسة

كان حسن قد وصل فنزل دون أن يسمح لعوض أن يقول له فأوقفه عوض قائلاً :

- يالاه بينا نمشي من هنا

قال حسن وهو يدخل باب المنزل :

- نمشي أيه بس تعالى

ودخل وخلفه عوض متردداً وخلفه فاطمة فوجد كامل منتظره وهو كامل أسرته فسلم حسن فقال كامل:

- عوض، انت بتعمل إيه هنا

قال حسن قبل أن يتكلم عوض :

- على فكرة يا كامل بيه عوض يبقى خالي وأنا أول مرة أعرف إنه عايش في نفس البلد دي

وهنا لعبت الظنون براس كامل فقال :

- كده وضحت الصورة، أكيد انت يا عوض اللي خليته عمل كده، قولت خسارة البت وفلوس أبوها يروحوا من إيدك عشان كده خليت ابن أختك يلعب على البت عشان تتجوزه ، الجوازة دي لا يمكن تتم

وهنا نطقت الأم التي كانت في غيبوبة الذكريات حين وقعت عينها على كامل فقالت:

- لا متخافش، أصلاً الجوازة دي مينفعش تتم

نظر إليها كامل قائلاً :

- انا شفتك فين قبل كده يا ولية انتي

قال حسن :

- ولية ... شفتك فين .. انتوا تعرفوا بعض

تجاهلت فاطمة أسئلة حسن وقالت :

- يااااه يا كامل بيه، ذاكرتك بقت ضعيفة أوي ، طبعا انت هتفتكر إيه ولا إيه

جلس كامل ثم قال متذكراً أنها أخت عوض :

- فاطمة!... بس برافوا عليكم، لعبة قذرة، متخيلتش إن انتي وعوض يطلع منكم كل ده، وطبعا جايين تحطوني قدام الأمر الواقع والمفروض إني أوافق غصب عني على الجوازة دي ، يبقى أنتي حقيقي بتحلموا.

ضحك عوض عالياً ضحكة استفذت كامل فقال :

- طبعاً، شوف بقالك كام سنة وانت معايا، سلمتك كل حاجة، ده انت لحم كتافك من خيري ، ربيتك وانت صغير، مكنتش أعرف إني بربي حية ، طمعان فيا عوض ، ده أنا سبتلك كل حاجة . اطلعوا بره حالاً .

كانت رحمة وحسن وصفية حاضرون غائبون في هذا اللقاء ، لم يفهموا ما يدور من أحداث فقط ظلوا يراقبوا الموقف علهم يفهموا شيئا

قال كامل بغيظ وصل عنان السماء :

- انتوا لسه ممشتيوش من هنا اطلعوا بره ، معندناش بنات للجواز

قال عوض وهو يقترب من كامل :

- لحد هنا وكفاية يا كامل

استغرب كامل فهذه أول مرة يناديه عوض بدون أني يلقبه بالـ"بيه" فقال مستغرباً

- كامل حاف كده، انت نسيت نفسك ولا إيه

رد عوض قائلاً :

- نشيل الألقاب، ده احنا هنبقى نسايب

كانت الكلمة بمثابة شرارة أشعلت البنزين فقال كامل غاضباً :

- ده عشم إبليس في الجنة ، على جثتي إن ابنكم يتجوز بنتي

وهنا تدخلت فاطمة في الحوار قائلة :

- متتعبش نفسك يا كامل، كده كده الجوازة مش هتم، بس آن الأوان الحق يرجع لصحابه

قال كامل مستفهماً :

- حق إيه وصحاب مين ، يا نصابين يا حرامية

وهنا فرغ صبر عوض فقال :

- مقبولة منك، بس النصابين والحرامية دول أحسن من قتالين القتلة ولا إيه يا كامل بيه

وهنا مطرقة من حديد دقت على قلب رحمة فقالت :

- تقصد إيه يا عوض

اقترب منها عوض قائلاً :

- عبد العال يا ست رحمة اللي كامل سلط عليه ناس وقتلته عشان يتجوزك

لم تصدق رحمة أذنيها فنظرت إلى كامل فقال نافياً :

- لا لا متصدقيش يا رحمة ، الكلام ده مش صحيح

اقترب منه عوض وقال :

- كفاياك يا كامل بيه، انت أيامك في الدنيا معدودة، راضي اللي انت ظلمتهم عشان لما تقابله تقابله نضيف

جلس كامل ولم ينطق بشئ فقالت رحمة :

- الكلام ده بجد يا كامل

لم يرد كامل فقالت رحمة لعوض :

- طب وعلاء ابني برضه اتقتل

نظر عوض إلى كامل غير مبالياً برحمة وقال :

- أقول ولا كفاية لحد كده

بلهفة قالت رحمة :

- لا قول أبوس إيدك

ركعت رحمة أمام عوض وحاولت تقبيل يده فسحب يده بسرعة وقال :

- علاء يا جاحد الطفل اللي عنده خمس سنين اللي طلبت مني إني أخده وأقتله

وقعت كلمة أقتله على الجميع كالصاعقة فأكمل عوض قائلاً :

- لكن مش أنا اللي أقتل طفل برئ، اللي خدته واديته لأختي فاطمة تربيه وتكسب فيه ثواب

نظرت رحمة إلى فاطمة وقالت :

- يعني إيه الكلام ده ، يعني إيه

ردت فاطمة بعدما اقتربت من حسن وقبلته بين عينيه :

- حسن اللي أنا ربيته وعلمته، حسن ابني هو علاء ابنك يا رحمة

نظرت رحمة إلى حسن وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

- من أول مرة شوفتك وأنا حسيت، قلب الأم عمره ما يكدب، أول مرة قولتلي فيها يا أمي ، قولت إنك ابني بس لما عرفت إن اسمك حسن رجعت ، علاء ، أنا أمك يا علاء ، أنا اللي منسيتكش لحظة واحدة من يوم بعدت عني ، أنا اللي الكل كان بيقولي انك مت وأنا قولت لا ، ولدي حي ، تعالي في حضن أمك يا ولدي

نظر حسن إلى فاطمة وكأنه يأخذ الأذن منها ليحتضن حسن فأذنت له بإشارة من رأسها فغاب الاثنان في حضن استمر دقائق ما بين دموع وتقبيل ولهفة وقالت رحمة بعده :

- الحمد لله ، الحمد لله يا ربي ، طلبتها وادتهاني يارب

سجدت لله شكراً على لم شملها بولدها ولكن عندما أفاقت وجدت صفية ابنتها تترنح ووقعت مغشياً عليها ، كان ذلك رد فعل طبيعي لمستجدات الأمور فالرجل الذي أحبته وكانت تحلم أن تتزوجه وتقضي معها بقية عمرها أصبح بقدرة القادر أخيها ، الأمر ليس هيناً . جرت عليها رحمة وحملتها هيا وفاطمة إلى حجرتها وبعد أن اطمأنوا عليها . عادتا إلى الأسفل حيث وجدوا كامل يضع رأسه بين يديه فقالت رحمة :

- كل ده يطلع منك ، وعايشلي فيها دور الغلبان اللي نفسه يسعدني ، ياما قولت كده محدش صدقني ، انت إيه ازاي جالك قلب تحرمني من جوزي وحبيبي عشان أنانيتك وجبروتك ، لا وإيه مكافكش كل ده ، تحرمني من ابني ، كنت تنام ازاي وانا جمبك وبتقطع كل يوم على فراق ابني .

رفع كامل رأسه ولأول مرة تنزل دموعه ، لا يدري دموع ندم أم خوف ، لأول مرة يشعر أنه ضعيف ضعيفٌ جداً ، تمنى حينها أن يرجع بالزمن للوراء ولا يفعل كل ما فعل وبعد صمت طويل بين الجميع نطق كامل ومازالت دموعه تبلل خديه :

- أنا عارف إني مهما قولت أو اعتذرت مش هيكفي اللي عملته فيكي ، حسن قولتلك قبل كده إني مطمن عشان هموت وهسيبك لرحمة والبنات ، دلوقتي بقيت مطمن أكتر عشان سايبلهم أخوهم ، وأنا هكتبلك كل فلوسي وأراضيا عشان أعوضك عن سنين العذاب اللي شفتها ، أنا خلاص نهايتي قربت ، سامحوني عشان خاطر ربنا ، أنا ندمان على كل حاجة عملتها

- تحامل كامل ودخل حجرة مكتبه وأتى بأوراق الملكية وتنازل عنها جميعاً باسم حسن وأخيه وأخته وأوصى أن يعيش الجميع في المنزل حتى عوض وفاطمة ثم توجه إلى رحمة قائلاً :

- رحمة ... يعلم ربنا أنا حبيتك ، بس كنت أناني مفكرتش غير في نفسي سامحيني

ثم توجه إلى فاطمة وقال :

- فاطمة أنا عارف أنا عملت فيكي إيه، أنا كنت وحش جداً معاكي سامحيني ... وأنا عايز اشكرك على انك ربيتي علاء أو حسن لحد ما جه اليوم اللي يقابل فيه أمه تاني ..

وذهب إلى حسن وقال :

- حسن ... انت عرفتني إن قدر ربنا غصب عننا كلنا لازم يحصل ، أنا حكمت عليك بالإعدام لكن حكمة ربنا إنك تعيش غصب عني وعن تخطيطي غصب عن كل حاجة ... سامحني

وتوجه إلى عوض :

- دراعي اليمين ، مش عارف أستسمحك ولا أشكرك على إنك كنت أحسن مني ومرضيتش تلوث إيدك بدم طفل يتيم برئ ... سامحني

ثم جلس على كرسيه وقال :

- سامحوني كلكم ... أبوس إيديكم سامحوني

قال كلمته وفارقت روحه جسده أغمضت رحمة عينه وقالت :

- ربنا يرحمك ويغفرلك ، إذا كان علينا احنا مسامحينك ، يا ترى باقي الناس اللي انت ظلمتهم هيسامحوك ، ربنا يسامحك على كل حاجة

تمّ دفن كامل وتولى حسن مع عوض إدارة تجارته وأرضه بالإضافة إلى عمله في الجامعة

بعد وقت ليس بقليل بدأت صفية تتعامل مع حسن على أنه أخوها وليس حبيبها

رحمة كانت فرحتها بلم الشمل أكثر من أي شيء فحبيبها وولدها الآن أصبح معها

عوض تابع الأرض ولم يترك باباً للخير إلا طرقه تنفيذاً لتعليمات رحمة وكله على روح كامل ، بنى باسمه مسجداً وفتح جميعة خيرية

وعاش الجميع في سلام وأمان

**تمت بحمد الله**